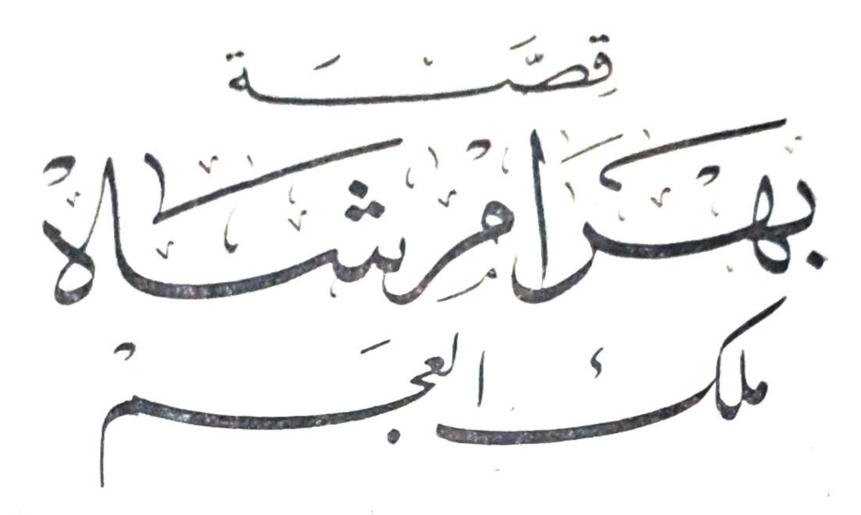


وما جرى له فى بلاد الملك النعمان و تملكه عرش مملكة فارس
والأقاليم السبعة وقهر ملوكها العظام وزواجه
بالسبع بنات ملكات البهاء والجمال

وهى قصة تاريخية واقعية

منقحة ومهذبة وبها زيادات بقلم

عبد الله الصاوى

الجزء الثانى

عبد الحميد احمد حنفى

بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨

المراسلات : مصر - صندوق بوستة الغورية رقم ١٢٧

اشتريته يوم الخميس ٨/ذو القعدة/١٤٤٣هـ
٥/٦/٢٠٢٢م

سرمد حاتم شكر السامرائي

م. سرمد حاتم شكر



فأطرق بهرام شاه وقال في نفسه لابد أن نسرين بوش قد فعلت ذلك تحببا إلى ورغبة في خدمتي ولما صار عند باب الصيوان نزل عن جواده وقصد الدخول وإذا به يري عند الباب جواداً جميلا بديع الشكل مزينا بالسرج الفاخر المرصع باليواقيت الثمينة لونه أحمر وسرجه أحمر وكل ما عليه أحمر . فاندهش بهرام من منظره وسأل لمن هذا الجواد فقيل له أنه أرسل اليه لأجل ركوبه الى القصر ففرح به لأنه أعجبه كثيرا ثم دخل الصيوان فرآه مزينا أيضا من الداخل بأبدع النقوش وأغربها وأثمن الاقمشة وأغلاها مما يكل عن وصفه اللسان . وفي وسطه قد نصب سرير من الياقوت فجلس عليه وإذ ذاك حضر رئيس الفرقة فقبل الارض بين يديه ودعا له ولدولته بالعز والاقبال . ثم أخرج من جيبه رسالة مضمخة بالطيب والمسك قدمها له بكمال الوقار والاحترام فأخذها من يده وهو يفتكر فيما تتضمنه وفي الحال فتحها واذا مكتوب فيها .

« مولاي سلطان العالم ومالك رق العباد صاحب التاج والعظمة والبطش والاقتدار القابض على السبعة أقمار حبيبي ومالك قيادي لقد تجاسرت بتقديم عريضة الحب والاخلاص إظهارا لشعوري وميلي الى ذاتكم العالية وقد أرسلت لاستقبالكم الحاجب وأصحبته صندوقا من الألبسة لأجل تغيير ملابسكم فالتمس من معاليكم قبولها مع التنازل بالتعطف على رهينة أمركم وغريقة بحور هواكم »

امضاء

« نسرين بوش »

فلما أتم بهرام شاه قراءة الرسالة سر من زوجته وامتلأ قلبه حبا لها وفي الحال فتح الصندوق وأخرج مافي داخله فرأى ثوبا مزركشا بالياقوت الاحمر يضيء كالشفق وهو مطيب بأزكي أنواع الطيب فانشرح لذلك صدر بهرام شاه ونزع ماعليه من الثياب ولبس الثوب المذكور وجلس للاستراحة نحو ساعة ثم نهض وركب الجواد المرسل من طرف زوجته وسار نحوها محفوفا بالعظمة والاجلال .

ملك يسير مطوقا من جيشه بمواكب الاسعاد والاجلال
فكأنه قمر أحيط بأنجم بزغت بنور العز والاقبال

وكان الرائى لايقدر أن يحدق بصره فيه لشدة لمعانه وكان وجواده قطعة واحدة من الياقوت الأحمر البراق وكانت المهابة والشوكة تزيده أشراقا حتى أن العيون كانت تنبهر وتندهش عند وقوعها عليه ولما لم يبق بينه وبين القصر الا مقدار نصف ساعة رأى نحوا من مائة رجل على جانبي الطريق بالملابس الحمراء اللامعة يحملون قربا حمراء مملوءة بالماء السكرى تفوح منها الروائح الزكية التي تشرح الصدور وهم ينادون (سبيل يا عطشان) ففرح لذلك بهرام شاه فرحا لا يوصف وقال فى نفسه ان نسرين بوش أشد من غيرها رغبة فى تكريمى وتفريحى ولا ريب أن الحكاية التي سأسمعها منها تكون أبدع الحكايات وأحسنها . ولما قرب بهرام شاه من القصر نزل عن جواده ودخل الباب بالأبهة والافتخار وما وصل داخل الباب الا وأشرق عليه نور محيا زوجته نسرين بوش وهي تتمايل كغصن البان وقد لبست ثوبا من الحرير الشفاف الأحمر مرصعا باليواقيت الحمراء وعلى رأسها تاج أحمر مرصع باحجار اليواقيت الكبيرة ووجهها البديع الزاهر كان يتدفق باحمرار الجمال كأنه ورد جوري حتي أن بهاء محياها الساطع بأنوار الجمال أكمد لون اليواقيت والاحجار البراقة التى كانت فوق جبينها اللامع وتحت عنقها الساطع .

البدر طلعتها والغصن قامتها والمسك نكهتها ما مثلها بشر
كأنها أفرغت من ماء لؤلؤة فى كل جارحة من حسنها قمر

وكانت نسرين بوش محاطة بنحو خمسين أو ستين جارية من الجوارى الحسان كل واحدة منهن تفضح البدر جمالا والغصن دلالا وكلهن بالملابس الحمراء الزاهية المرصعة باليواقيت وعلى رؤوسهن أكاليل من الازهار حمر الألوان وبيد كل واحدة طبق من الذهب مغطى باليواقيت والجواهر الكريمة . وحالما التقى بهرام شاه بزوجته صافحته وأخذته من يمينه وتقدمت به بين الجوارى وكان كلما خطا خطوة تشير نسرين بوش للجوارى فيفرغن الجواهر عن الاطباق عند قدميه فيدوس عليها ولا تلحق قدماه الارض وما زال يخترق الجوارى وهن يرمين باليواقيت عند قدميه ويسرعن إلى أذياله فيقبلنها وينشدن أناشيد الاستقبال حتى أوصلته من فناء القصر وجلست واياه على سرير من الذهب

مرصع بالجواهر وقد عرشت فوقه أزهار الورد والمنثور ونحوهما واحتاطت به الجوارى من كل ناحية صفا صفا . وبعد قليل قدمت اليه بعض الجوارى الشراب السكري الوردى على طبق مرصع بالياقوت فشربه وانتعش به صدره ثم التفت إلى نسرين بوش وأبدى لها امتنانه من اهتمامها باظهار كل ما يسره ويرضيه . ودعت له بدوام العز والبقاء وقالت له من الفرض على جاريتكم الاخلاص فى خدمتكم ولا سيما وأن الامر الوحيد الذي ينشرح له صدرى وأتمناه فى سري وجهرى أن تكون فرحا منشرح الخاطر راضيا عن جاريتكم .

وما استقر به المقام حتي أخذهو زوجته يتعاطيان كؤوس الصفا والمسرات والمداعبة والملاعبـة ولم تفاتحه نسرين بوش لا بحكاية ولا بقصة وهو منتظر منها أن تسليه بحديث أوقصة حتى مر عليه مقدار ساعتين وهى تشاغله بالتكريم والتبجيل والمؤانسة والمباسطة . وحينئذ ظن بهرام شاه أن زوجته لم يخطر في بالها أن تحـكي له حكاية فاستحسن أن يطلب اليها ذلك فأخذ رأسها بين يديه وضمها الى صدره وقبلها فى خدهـا وقال لها . أى بدرى ونور عيني وحبة قلبي ان معدات الأنس والصفا كاملة شاملة وأري اتماما لسروري وامتناني أن نقطع قسما من الوقت بالسمر والحكايات فأحب أن أسمع من فمك العذب وحديثك الشهى حكاية أو حديثـا مسليا يسليني ويزيد فى حبورى خصوصا اذا كانت الحـكاية بديعة عجيبة تنطبق على كمال اهتمامك بأعمالك .

فلما سمعت نسرين بوش كلام بهرام شاه أظهرت الفرح والانبساط وعادت بدورها فعانقته وقبلته وقالت له انى يامولاى ومالك رقى كنت منتظرة صدور أمرك بذلك اذ لا يمكنني أن أتجاسر على ذلك بدون أن تأمرنى به والآن حيث قد تنازلت فتعطفت بالامر لجاريتكم الحقيرة بأن تحكى لـكم حكاية غريبة فقد صممت على الاسراع بانفاذ أمركم واجابة طلبكم ولـكن لي اليكم رجاء واحد إذا تنازلتم به جعلتمونى غريقة فى بحار كرمكم ولطفكم . فقال بهرام شاه اطلبي ما شئت فانى مصغ اليك لا أتأخر عن قضاء غرضك ولا أتوقف عن اجابة سؤالك فهو فرض واجب على فأبدت السرور وأكثرت من عناقه وتقبيله وقالت له اعلم ياسيدي اني وأنا بنت صغيرة فى بيت أبى كنت أتبادل المكاتبات مع آذريون بنت سلطان ولما سمح القدر وصرنا نحن الاثنتين فى قبضة يدك وشرفنا الزمان بأن نكون زوجتين لك فكذلك لم نقطع المـكاتبة ومن جملة مادار بيننا التفاخر

في خدمتك والقسابق الى مرضاتك لنعرف من منا أكثر اهتماما وأقدر على ارضائك ومسرتك واتفقنا على أن نتخذك حكما في ذلك وأن تصغى إلى الحكاية التي أحكيها أنا اسموكم والتي تحكيها أذريون ثم تبدى رأيك في أى الحكايتين أحسن من الأخرى وأيهما نالت استحسانك وميلك . وها أنا الآن أضمك إلى صدرى وأفتخر على بنات العالم لكونى زوجتك وقادرة على خدمتك ومسرورة برضاك عنى وفى الغد ستضمك اليها أذريون وتسألك ما أسألك أنا الآن ويبقى بعد ذلك الحكم لك فى استحسان حكايتى أو حكايتها ومن منا أحسنت خدمتك واستجلبت رضاك أكثر من الثانية . ثم ختمت كلامها بأن قبلته فى عينه وجبينه وعنقه وخديه حتى سكر من مؤانستها له وتحببها اليه فأخذها الى صدره وقبلها بدوره وقال لها أقسم لك بالله العظيم أني أحكم بينكما بالحق وأتكلم بالصدق ولا أفضل فى الحكم احداكما على الأخرى . فلما آمنت نسرين بوش على قضاء مرامها وسمعت يمين بهرامشاه فرحت ومن ثم دعت بطول العمر والبقاء وأخذت فى سرد حكايتها فقالت .

حكاية أولاد ملك سرنديب الأذكياء

اعلم يامالك الزمان يحكي أنه كان فى قديم الأيام فى مملكة سرنديب ملك رفيع القدر عالى الشأن كثير العدل والانصاف كريم الأخلاق والطباع حكيماً عالما عارفا بجميع العلوم والفنون واقفا على تواريخ العالم وأحكام الأزمان باحثاً فى أمور الدول وأعمال الملوك والحكام وبالنظر لعلومه ومعارفه ورقة طباعه وعظيم انصافه وعدله كان محبا لرعيته جدا يباشر الأمور بنفسه ولا يعين حاكما قط فى بلد أو على قوم ولا يرضي بمأمور مالم يمتحنه بنفسه ويعلم مقدار علمه ومعارفه ويختبر طباعه وأوصافه والغاية أن ذلك الملك كان كاملا فى كل عمل . وقد أنعم الله عليه بثلاثة أولاد ذكور اجتهدوا بتتبع خطوات أبيهم باكتساب العلوم والمعارف والسير في طريق الامانة والحكمة مقتدين به في كل عمل حتى برعوا فى كل علم وفن وفاقوا علماء الأرض وانتشر صيتهم فى شرقها وغربها فكان لو سئل من أعلم علماء العالم لقيل أولاد ملك سرنديب . ومع أن أباهم أيضا كان يعتني بتربيتهم ويراقب آدابهم ويلازمهم ليلا ونهارا كان أيضا متظاهرا

أمامهم بالهيبة والوقار سالكا معهم على الدوام سبيل الجد حتي كانوا يخافونه ويرهبون بأسه ولو رأى الرائى حاله معهم لقال ان هذا ليس بأبيهم وأمامهم فبالعكس كانوا يعلمون ويحققون أن كل مايفعله أبوهم هو لأجل نفعهم ومصلحتهم ويحبونه وعلى ذلك مرت عليهم الاوقات وفى كل يوم يستدعى الاب أولاده ويتباحث معهم فى العلوم والفنون ويتجاذب الحديث فى أمور الدول وأحوال الممالك ويتداولون الشؤون والوسائل التى ترقى بها الهيئة الاجتماعية العالمية وتقوى الروابط بين الاجناس البشرية وتصل العالم الانسانى بعضه ببعض فكان مايراه الملك ويسمعه من أولاده موجبا للفرح وللسرور فكان يشكر الله على هذه النعمة العظمى التى كان يراها فى عينيه أعظم وأفضل من كنوز العالم وخزائنها المملوءة ذهبا وجواهر وإذ ذاك قال فى نفسه لم يبق على الا أن أمتحنهم فى أمرين مهمين أعرف بهما غاية ماأريده منهم . فالأول هو أنى استدعى كل واحد منهم على انفراد بغير علم أخويه وأكلفه بقبول السلطنة فاذا قبل أو مال اليها أرى أنه لايزال فيه وجه نقص فأهتم فى طريقة أخرى توصله الي الكمال وان رفض أكون مسرورا منه والثانى إذا لم يقبل ما أعرضه عليه من السلطنه واعترف بنقصه ورآنى قد طردته ثم طلب الى أن يتسرح فى الممالك لأجل اختبار أحوالها وملاقاة العذاب والمحن اعرف انهم قد أدركوا درجة الكمال واصبحوا على غاية ما أرغب .

وبعد أن وطد رأيه على هذه الأفكار عزم على اخراجها الى الفعل . ففي ذات يوم استدعي ابنه الأكبر إلي خلوة وضمه اليه وقبله وأجلسه الى جانبه وفتح له باب النصائح قائلا له أى ولدى وفلذة كبدى ونور عينى انى أرى الآن أن الكبر قد أحني ظهرى والشيخوخة تدنو منى وتكثر من اعتناقى ولهذا أرى أنه غير لائق لى بعد أن وصلت الي هذا السن التفرد بأمر السلطنه والجلوس على عرش المملكة بل من الواجب على أن أتفرغ لعبادة الله جل جلاله وألازم الصلاة والصيام والدعاء إلى الله لأجل امداد يده لمساعدتكم . ولما كانت أمور السلطنة عائدة لك أفوض اليك أمرها وأبين النصائح اللازمة فأنت من فضله تعالى كامل عاقل وخير خلف أسر به فكن ليلا ونهارا في مصالح الحكومة وانظر فى أمور عباد الله ولا تغفل عن صغائر الامور فان من تغاضى عن الصغيرة يسهل عليه بحكم العادة التغاضى عن الكبيرة وإذا أحسنت العمل ذكرت بالخير واتصفت بالعدالة

والانصاف والذكر الحسن خير من كنوز العالم . واعلم أنك أنت الراعى والرعية قطيع من الخرفان فاذا لم تنصف فيهم وتسهر عليهم وتعتنى بأمورهم انحل عقد راحتهم وافترسهم ذئاب الضعف وتمكن منك ومنهم العدو فهم أمانة فى عنقك فكن صائنا للامانة حريصا عليها تنل ثواب الدارين .

فلما سمع ابن السلطان الاكبر هذا الكلام من أبيه علا وجهه الحياء والخجل وأخذ العرق يتصبب من جبينه وانعقد لسانه عن الجواب ولما سكن روعه قليلا كرر عليه أبوه الخطاب فقال لا أحرمنا الله منك ياسيدى وأطال عمرك ووقاك من كل ضرر وصانك من نكبات الزمان أنت تعلم ضعفي وعجزى عما تدعونى اليه وليس من حدى أن أقبل مثل هذا الامر وأنا ما أنا عليه من الجهل وقلة الادراك ولهذا أري أنى غير لائق لاستلام زمام السلطنة ورعاية الرعية .

فسر الملك وامتلأ قلبه فرحا عند سماعه كلام ابنه المملوء بالحكمة والتعقل وعدم الانتفاخ بالعلم والمعرفة وشكر الله فى سره ولكنه لم يتظاهر أمامه بالفرح بل قطب وجهه وأظهر الغضب وقال له ولك أتخالف كلامي ولا تصغى لما أطلبه اليك فاخرج من أمامي بالعجل ولا ترنى وجهك بعد ذلك .

فلم يتكدر ابن الملك من طرد أبيه له واهانته اياه ولا غضب من معاملته القاسية بل أظهر له الطاعة والانقياد فتقدم من السرير الجالس عليه أبوه فقبل أطرافه وخرج بأدب مكررا له الدعاء بطول العمر والبقاء وذهب الى محله حزين القلب منكسر الخاطر وهو يفكر فى نفسه لماذا احتدم أبى غيظا وحنقا منى على غير عادة وطردنى من أمامه وأنا لم أقل الا ما أعتقده فى نفسى

أما الملك فاستدعى اليه ابنه الثانى على انفراد وهش فى وجهه وبش وأبدى له من الالتفات والاعتناء والاهتمام ما أجواه مع الاول وأجلسه إلى جانبه ثم قال له أى ولدى العزيز وقرة عينى أنت تعلم انى قد كبرت وقربت من الشيخوخة ولم أعد لائقا للسلطنة لان تعبها ليس بالقليل ولا يمكن لى أن أتحمله ولا سيما وان الانسان عند كبره يطرأ على عقله الخلل ويعتريه الضعف والخوف فأخاف أن يتغير عقلى وأنا لا أعلم فأغير نظام حكمى ويقل عدلى واهتمامى برعيتى وارتكب الاثم وأنا غير شاعر به فضلا عن أن من الواجب على أن اصرف العمر منزويا فى احد المعابد أعبد الله واقدم له الصلاة وفروض العبادة ولهذا

لما كنت أراك عاقلا وحكيما ومحباً للناس ولمصالحهم وأعلم أنك لائق للتولى على الرعية خطر لى أن أسلم اليك السلطنة وأجلسك على عرشي فى حال حياتى .
ولما فرغ الملك من كلامه وقف ابنه بين يديه ودعا له بطول العمر والبقاء وقال له انى ولدك وغرس نعمتك وان كان من حدى الانقياد على ارادتك والمخالفة لأمرك لكنى أرى نفسى عاجزاً عن حمل مهام السلطنة وليس فى من القدرة ما يؤهلنى لتاج السلطنة وانى أرى أن أخى الاكبر أوسع منى عقلا وأعظم لياقة بالملك فهو أحق به منى ولهذا أتجاسر الآن لديكم بالالتماس أن تستدعوه وتفوضوا اليه انفاذ أمركم . فطار قلب الملك فرحا لجواب ابنه المملوء بالحكمة والزهد والحب لأخيه لكنه لم يظهر ذلك له بل قطب حاجبيه وتظاهر بالغيظ والكدر وقال لابنه انى اعرف ان كنت أنت أوسع عقلا من أخيك أو أن أخاك أوسع عقلا منك وحيث انك لم تطاوعنى فاخرج عني فى الحال واذهب من أمامي سريعا .

فلم يتكدر ابن الملك من أبيه ولا من طرده اياه وغضبه منه بل دعا له وقبل الارض بين يديه وخرج الي مكانه مفكرا فى السبب الذى حمل أباه على طرده دون موجب حيث لم يجبه جوابا يغيظه . ثم أحضر الملك ابنه الثالث وبعد الاعتناء به والالتفات اليه أجلسه الى جانبه وقبله فى جبهته وقال له أى ولدى ومهجة فؤادى ومحط آمالى لقد تبين لى من أخويك أنهما بغير عقل فقد ضاعت فيهما آمالى وخالفا أمرى على خلاف ما كنت أرجوه منهما وانى على يقين انك لن تكون مثلهما فلا تخرج عن دائرة أمرى وارادتي سيما وانى أعهد فيك كل حكمة ودراية واستقامة ولما كنت قد شخت وأحب أن أرتاح من متاعب السلطنة فانى أريد الآن أن أنفرد الى عبادة الله واعهد اليك بالسلطنة وأسلمك زمام المملكة تسوسها بما أعهده بك من الدراية واللياقة . فأطرق ابن الملك الثالث عند سماعه كلام أبيه وقد أخذ العرق يتصبب خجلا على جبينه ثم رفع رأسه الى أبيه وقال له عفوا ياسيدى فانى أرجوك الحلم والمعذرة انى أعلم أن الله قد فرض على الطاعة لك والانقياد لأمرك حتى الموت لأن ابراهيم لما عزم على ذبح ابنه اسحق لم يخالفه ابنه بل مد اليه عنقه وفقا لطلبه لكنى لما كنت على يقين من عجزي وعدم اقتداري على التولى على الرعية والنظر فى شؤونهم أسألك ان تسمح لى برفض ما تأمرنى به وأن تسلمه لأحد أخوى الاكبر منى لانهما أوسع علما

وأرفع فهما وأكمل عقلا وأليق مني في كل حال على سياسة الرعية ففرح الملك لكلام ابنه وما أبداه من الحكمة في الجواب والحب لأخويه ولكنه عامله كما عاملهما فقال له وأنت ايضا تخالف أمري وتضاد ارادتي فاذهب من أمامي ولا ترني وجهك بعد ولا أريد أن أرى أحدا منكم يبقي في بلادي ومملكتي فسيروا أين شئتم فلا أري لى رغبة بكم . فقبل ابن الملك الارض ثم قبل طرف السرير ودعا لأبيه بدوام العز والبقاء وخرج وهو غارق في بحار الافكار والتأملات .

هذا وبينما كان الابن الأوسط حزينا كئيبا وبعد ان أقام في مكانه قضى وقتا طويلا وهو يفكر فيما جري بينه وبين أبيه من الامور قال فى نفسه يلزم ان أذهب لاخى الاكبر وأخبره بواقعة الحال واتخذه شفيعا لى عند أبى عساه يعفو عنى ويسكن من غضبه وفى الحال نهض الى مكان أخيه فدخل عليه فرآه فى حالة حزن واكتئاب يضرب أخماسا فى أسداس فلما رآه داخلا عليه اخفي حزنه وكدره ولاقاه بالفرح والابتهاج وصافحه وأجلسه الى جانبه وهو يهش بوجهه ويبش . غير ان ابن الملك الثانى لحظ منذ دخوله كدر أخيه ولم تخف عليه حالته ولذلك قال له أرجوك العفو يا أخي وحبيبي فانى منذ دخلت رأيت على وجهك علائم الكدر والحزن وأخاف أن يكون لذلك سبب لا علم لي به أو أن لذلك علاقة بحضورى اليك . فضمه اخوه الاكبر الى صدره وقال له ما هذا الفكر يا أخى هل انت غريب منى الست انا وانت من دم ولحم فما الذي يغيظنى منك بل بالعكس انى كنت مكدرا من جهة ثانية فحالما رأيتك زال الكدر وانفرج الغم عن صدرى ورأيت نفسى براحة تامة . وحينئذ أعاد الاخ الثاني على اخيه الاكبر ما وقع بينه وبين أبيه وكيف انه اغتاظ منه وطرده وانه ماجاء نحوه الا ليشكو اليه أمره ويتخذه وسيطا لدى أبيه . فلما سمع منه كلامه تبسم وقال له ان كنت تطلب لدى أن اكون شفيعا لك عند أبيك فمن سيكون شفيعا لى أنا الذى وقع لى نظير ما وقع لك . ثم حكي له ما كان من الامور بينه وبين أبيه .

وكذلك فعل ابن الملك الاصغر فانه بعد ان رجع الى محله حزينا وغاص بالتفكر قال فى نفسه انى أذهب الى أخى الاكبر مني وأخبره بحالى واسأله عن رأيه والذى يكون موافقا أعمله . فنهض فى الحال وجاء الى محل اخيه الثانى ولما لم يره هناك اخبر بأنه سار الى أخيه الاكبر فسار فى اثره ودخل الغرفة الموجود

فيها أخواه فوجدهما على ما تقدم يتخابران وهما فى شاغل من عمل أبيهما معهما فحالما شاهدهما على تلك الحالة ظن من نفسه انه ربما يكون عندهما أمر مهم اجتمعا لأجله فعزم على الرجوع والانتظار . فنهض اليه اخوه الاكبر وقال هلم يا أخى العزيز لا ترجع فتقدم حينئذ وسلم عليه وقبله فقال له قد خفت ان يكون عندكما شاغل مهم أوجب انفرادكما فقصدت الانتظار كي لا أثقل عليكما . فقال له كلا لا يوجد عندنا أسرار قط وان كان فلا نخفيها عنك لأنك واحد منا ولست غريبا . وبعد أن أجلسه فى مكانه سأله عن حاله وعن سبب القلق المستولى عليه فأخبره بما كان من أمر أبيه وكيف أنه أظهر الكدر من جوابه وطرده من أمامه .

وبعد أن سمع الأخوان كلام أخيهما الاصغر أخذوا يتشاورون مع بعضهم ويفكرون فى طرق التدبير فقال بعضهم لبعض لا ريب أن أبانا ما دعانا اليه وعمل ما عمل معنا إلا لأجل أن يمتحننا ويمتحن حبنا لبعضنا البعض وما طردنا من أمامه ومن بلاده إلا وفى قصده أن نسافر فى البلاد لأجل التمرين وملاقاة الاهوال لأن الغربة تفيد وتعلم مالا تعلم الكتب والاساتذة المحنكون فأول شيء يلزم أن نسافر واننا والحمد لله ثلاثة أخوة من أب واحد وأم واحدة وثلاثتنا قد حصلنا العلوم العالية والفنون الواسعة واتفقنا على السراء والضراء ولم يكن منا من يخالف الآخر فلنتمم ارادة أبينا وبعد ان اتفقوا على السفر ذهب كل الى مكانه وفى اليوم الثانى أخذوا فى تهيئة لوازم السفر دون تردد ولا تأخير فأحضروا ثلاثة أفراس جياد واخذ كل منهم ما يلزمه من السلاح الكامل والدراهم اللازمة وباقي الاستعدادات السفرية ثم أنهم ساروا إلى أبيهم لأجل وداعه فدخلوا عليه فى قصره فتقدم منه فى الاول ابنه الاكبر . فقبل يديه ودعا له بالبقاء وطول العمر وأخبره بعزمه . فلم يقدر الاب على الثبات أمام ألم الفراق المر فضمه إلى صدره وقال انشاء الله اراك عائدا إلى بصحة وسلامة فأينما ذهبت فاذهب لكن اريد أن أقدم لك بعض نصائح أبوية تتخذها لك قاعدة لكل عمل وتتذكرها عند الاحتياج اليها . وهي يلزم أن تتأنى فى كل عمل جزئيا كان أو كلياً لان الباحث والمتأنى لا يلحق به الندم قط بوجه من الوجوه فالتأنى والبحث أمران عظيمان وكذلك لا تنوى عملا دون أن تستشير به لأن عقلين افضل من عقل واحد وأيضا كن مع اخوتك ثابت القدم على التعاضد والاتحاد فلا يمكن أن

يقاوم اتحادكم مقاوم . فلما سمع ابن الملك الاكبر من أبيه هذه النصائح وشاهد منه الحنو الغريب لم يتمالك نفسه اسقاط الدموع فقبل يديه ودعا له وانسحب وحينئذ تقدم الابن الثانى وقبل أذيال ابيه ويديه ووقف بين يديه فقبله أبوه ودعا له أيضا بالسلامة والتوفيق وقال له انى اسأل الله ان يكون مساعداً لكم فى السير والترحال وأن يسهل لديكم كل أمرعسير فأوصيكم بالاتحاد واذا انفصل احدكم عن الآخر يلزم ان يكون بغاية التيقظ والاحتراس لأنكم جميعا على أرفع جانب من العقل فاتحاد عقولكم على كل صعوبة وانفصالكم يضعفها ولهذا لا يعمل أحدكم عملا من رأيه لوحده وإذا تعذر عليه استشارة أخويه فليتأن ولا يعجل ويستشير من يمكن له ان يستشيره أى يقرن رأيا آخر برأيه وإلا يندم فيما بعد ..

ولما فرغ أبوه من وصيته قبله ودعا له فقبل يديه وذيله وانسحب الى الخارج وحينئذ دخل عليه ابنه الاصغر فلم يتمالك الملك من البكاء عند نظر ابنه الاصغر ثم تجلد وقال له أسأل الله ان يحفظك ويصونك من حوادث الايام ويعيدك مع اخوتك سالما الىّ وانى الآن انصح لك ياولدى واقدم لك الوصية الوحيدة وهى إذا رأيت نفسك قد وقعت فى مشاكل وصعوبات فلاتعجل من نفسك فى مقاومتها بل اسأل رجلا مسنا حكيما واستشره واستعن به على قضاء مصلحتك لأنك لاتزال فتى لاتعلم الدقائق والحقائق فتغتر بفراستك وعلمك مع ان كثيرا ما كان من هو أكبر منك يوما أكثر منك علما وإذ ذاك انسحب ابن الملك الاصغر إلى اخوته وأما الملك فلم يقدر أن يضبط نفسه من الحزن فدخل الى قصره وانفرد بنفسه حزينا آسفا كي لايعلم بحزنه وقلة جلده أحد .

وفى الحال ذهب أولاد الملك الى خيولهم فركبوها وأصحبوا معهم كل مايحتاجون اليه وخرجوا من المدينة وقد رافقهم الوزراء والأمراء وأعيان المملكة للوداع وهم يسكبون دموع الاسف على بعدهم وسفرهم وقد عرضوا عليهم البقاء فى المدينة فيكونون طائعين لأمرهم ويبايعونهم عوضا عن أبيهم فنفر أولاد الملك من كلامهم وقالوا لهم ما هذا إلا جهل وحماقة فاننا راضون بعمل ابينا مطيعون لآرائه فهو لا يأتى عملا الا وفيه خيرنا ونفعنا ثم انهم ودعوا الجميع وساروا فى طريقهم .

ثم إن أولاد الملك الثلاثة خرجوا من وطنهم المحبوب مكرهين مضطرين للتنقل فى البلاد الغريبة وفيما هم في طريقهم يتفكرون فى أمورهم وما جرى لهم والحزن يملأ قلوبهم وأحيانا كانوا يرون أنفسهم بسرور وفرح لمرافقتهم بعضهم بعضا وتارة كانوا يلتفتون الي وطنهم ومسقط رأسهم ويتحسرون عليه قائلين هل يا ترى يساعدنا القدر بالرجوع اليه . وعلي هذا الوجه قطعوا مسافة من الطريق حتي خرجوا من حدود البلاد الواقعة فى حكم أبيهم ودخلوا فى البلاد الأجنبية ولكن لم يفترق أحدهم عن الآخر قط في كل هذه المدة بل يقيموا متحدين في كل أمر لا يتركون البحث والتنقيب فى كل شأن وبينما كانوا يسيرون علي هذه الحالة كانوا ينظرون بدقة أمامهم وإذا رأوا أقداما بحثوا فيها وأمعنوا فى تركيبها ومحل وجهتها واستنتجوا منها معانى غريبة لا يعرفها الا ذوو الفطانة والكياسة العالية وكلما دخلوا بلدا أو قرية أوقعوا فى قلوب أهلها المحبة لهم والاعتبار لما يشاهدونه من ذكائهم المفرط وآدابهم إلي أن كان ذات يوم أشرفوا فيه من بعيد على مدينة عظيمة ولما رأوها فرحوا كثيرا وقالوا لابد أن تكون هذه المدينة عاصمة مملكة ومن الضرورى أن نقيم فيها مدة أيام للراحة بها والاستكشاف عن أحوالها .

وبينما هم يتقدمون الى جهة المدينة نظروا عن بعد فرأوا رجلا يسير إلى جهتهم بسرعة الطير فتعجبوا من دعوتا جريه وقالوا لبعضهم البعض نقف وننظر سرعة ما هو السبب فى شدة جرى هذا الرجل ووقفوا فى مكانهم منتظرين وصوله اليهم . وبقى الرجل فى سرعته حتى وصل الى أولاد الملك وهو على آخر نفس من التعب وقد سال العرق من جسده حتى بلل ثيابه وبعد السلام سألوه عن سبب ركضه . فقال انى اضعت جملي فبالله عليكم هل صادفتموه فى طريقكم .

فقال الاول :ــ على الغالب أن جملك أعور أى بعين واحدة .

فأجاب الجمال :ــ نعم نعم الله يرضي عليكم فهو كما قلت بعين واحدة .

فقال الثانى :ــ وكذلك الذى الحظه أنا أن جملك أعرج من احدي رجليه .

فأجاب الجمال :ــ صحيح . صحيح . تمام . تمام هو هو كما تقول أعرج من رجله .

فقال الثالث : على ما يظهر لي أن الجمل قد قلع من فمه سن .

فسأل الجمال . بالله عليكم أن تعلمونى كيف عرفتم أن الجمل بعين واحدة وأنه أعرج وقد قلع من فمه سن واحد فقط .

فلم يجيبوه بل قال له الأكبر سر على هذا الطريق مستقيما فلا بد أن تصادف الجمل . فذهب في الطريق الذى دله عليه وساروا هم أيضا فى طريقهم إلى المدينة حتى وصلوا من أطرافها فرأوا عين ماء جار صاف فنزلوا عن خيولهم وجلسوا يستريحون ويفكرون فى كيفية دخولهم المدينة . وما لبثوا أن جلسوا حتى رأوا الجمال قد عاد لجهتهم بسرعته المعتادة ولما قرب منهم قال لهم ان الامارات التى أشرتم اليها وهى موجودة فى نفس جملى ولـكنى ذهبت فى الطريق الذى أشرتم اليه وفتشت فى السهل والوعر فما وقفت للجمل على أثر .

فقال له الأول :ـ عجبا كيف لم تر الجمل مع أنه عليـه حمل والحمل ضرفان فى واحد منهما سمن وفي الآخر عسل .

فقال الثانى :ـ نعم وفوق الجمل كانت تركب امرأة .

فقال الثالث :ـ وليس هذا فقط بل ان المرأة التي كانت على الجمل هي حامل أيضا .

فلما سمع الجمـال من أولاد الملك هذه الاشارات والعلامات زادت حيرته ودقق فيهم فرآهم مسلحين بالأسلحة الـكاملة فقال لا ريب أن هؤلاء من من الاشقياء يتجولون للغارة ونهب أرواح وأموال العالم . وفي الحال أخذ فى الصياح والبكاء وهو يقول لم يبق خلاص لـكم أيها الاشقياء فانى لا أتركـكم إلا إذا رجعتم لي جملى ومالي وعيالى . ان الامارات التي أشرتم اليها هي مطابقة جدا لحالة جملى وما عليه لـكن الجمل غير موجود تكلموا واخبرونى به اكراما لله فأسير اليه وآخذه . وبينما الجمال يصيح ويبـكي كان الناس الخارجون من المدينة والآتون اليها يعرجون لجهته حتي اجتمع الخلق هناك وقد سمعوا كلامه ورثوا لمصيبته وتبين لهم من حالة الاولاد أنهم من الاشقياء قطاع الطرقات وإلا لما كانوا تدججوا بكل هذا السلاح . وفى الحال هجموا عليهم فلم يمانعوا فربطوهم وادخلوهم المدينة ولما رأى أولاد الملك الحالة التى وقعوا فيها ندموا على ما فرط منهم واحتاروا فى أمرهم وصاروا يرجون الناس أن يطلقوهم قائلين لهم اننا غرباء الديار لاعلم لنا بأمر مما تزعمون ولا رأينا لا جملا ولا امرأة فلم يصدقوهم وساقوهم إلى دار الملك وأخبروه بأمرهم وما سمعوه منهم . فاستدعى الملك فى

الأول الجمال وسأله عن القضية . فقال أدام الله سيدى الملك أني أملك جملا أعور وأعرج وناقص أحد أسنانه ففي هذا الصباح حملت الجمل ضرفين لأجل البيع أحدهما عسل والآخر سمن وأركبت زوجتى فوقهما وأخرجتها أمامي من القرية وجئنا نقصد المدينة . ثم بعد مدة سرت فى أثرها حتى دخلت المدينة وفتشت فى مكان المعهود الذى نقصده فما وجدت لا الجمل ولا الأحمال ولا المرأة فأسرعت فى العودة مفتشا وسائلا فصادفت هؤلاء الثلاثة فسألتهم اذا كانوا صادفوا الجمل فقال لى أحدهم أن الجمل أعور وقال الثانى انه أعرج وقال الثالث انه ناقص احد أسنانه فوصفوه وصفا مطابقا له ثم دلوني على طريق زعموا أن الجمل سار فيه فسرت فى الطريق حتي آخره فلم أر شيئا فعدت وإذا بهم عند العين جالسين وأخبرتهم انى مالقيت الجمل فى الطريق فقال لى الاول وكيف مالقيته وهو محمل ضرف عسل وضرف سمن وقال الثاني وكان فوق الضرفين امرأة راكبة وقال الثالث والامرأة أيضا هي حامل وبالحقيقة كما وصفوا ثم أنكروا أنهم لارأوا الجمل ولا المرأة فهل يصدق ذلك بعد أن أبدوا الأوصاف والدلائل المنطبقة على الحقيقة وهذا الذي جعلنى أؤكد انهم من الاشقياء وقد اغتنموا الجمل بما عليه فأرجوك ياسيدى أخذ حقى منهم وارجاع مالى وزوجتى .

وبعد أن سمع الملك كلام الجمال استحضر أولاد الملك وسألهم عما يدعيه عليهم الجمال فأجاب ابن الملك الاكبر بعد ان دعا للملك بالبقاء وطول العمر وقد اظهر الادب والحشمة وقال له لسنا من الاشقياء ياسيدى الملك ولانقبل أن يشاع عنا فى مدينتكم وتحت عنايتكم هذا الاسم بل نحن غرباء عن بلادكم مقصدنا السياحة والتطواف فى الممالك والبلدان الوقوف على عوائد أهلها والفرجة على آثارها ومصنوعاتها وفيما نحن قاصدين هذه المدينة رأينا هذا الجمال وجري لنا ما جرى معه وقد استنتج من وصفنا آثار جمله وزوجته اننا من الاشقياء فجمع النـاس وقبضوا علينا بدون تردد ولا فحص وأحضرونا إلى حضرتكم ورجاؤنا أن تعاملنا بالعدل والانصاف وتطلق سبيلنا لنسير فى طريقنا . فتقرر عند الملك لما سمعه من الجمال ومن اولاد الملك واعترافهم بوصف الجمل بما عليه أنهم رأوه وسلبوه وانهم دون شك من الاشقياء وقطاع الطرق . وحينئذ اشتد غضبه وأجابهم بحدة لقد ثبت عنـدى أنكم من الاشقياء ومغتصبون وقد اعترفتم بالنهب والسلب فمن أين علمتم لولم يكن الجمل عندكم انه أعور واعرج وناقص

سنا وان عليه ضرفا عسل وسمن وفوقهما امرأة حامل فكل ماتكلمتم به كذب دمين . فقال ابن الملك الأكبر انا في الواقع مثلما رأيتم لكن يقع أمور كثيرة مثل هذه فالانسان كثيرا ما يصف أشياء غائبة عن عينيه بحذاقة فكره وبناء على استنتاجات ادركها بما أعطاه الله من التمييز ويكون الوصف صحيحا منطبقا على الموصوف . فقال الملك كلا كلا لا يمكن ذلك ومن المحال أن تتخلصوا من يدي قبل ارجاع الجمل وماعليه والمرأة ونوال الجزاء ماجنت أيديكم . ثم أمر الحجاب بحدة وغضب ان يجروهم الى السجن ففعلوا وكان أولاد الملك تارة يضحكون من أمر هذه الحادثة التي جرت معهم وطورا يحزنون ولكنهم كانوا يسلون بعضهم البعض قائلين ان الانسان في ديار الغربة والسفر يكون معرضا لوقوع حوادث كثيرة فمن الحكمة التحمل والتأني والصبر .

أما الجمال فانه عاد في المساء إلى بيته فرأى الجمل هناك كما كان قبلا وكذلك امرأته جالسة في مكانها لاشيء جرى عليها فتعجب من ذلك وسأل امرأته عن غيبتها فقالت له ذهبت إلى المدينة وحال وصولي بعت السمن والعسل وبما اني لا شغل لي هناك لم استحسن الانتظار فعدت في الحال من الطريق الفلاني . فقال لها وهل لم تصادفي في طريقك ثلاثة فرسان مسلحين بالسلاح الكامل وتحتهم خيول جميلة قالت لم اصادف إلا مشاة وجمالين يسوقون جمالهم إلى المدينة . فندم على ما فرط منه في حق أولاد الملك ولم تطعه نفسه ولا رضيت ذمته أن يصبر إلى الصباح بل عاد في ذاك المساء إلى دار الملك واستأذن بالدخول فأذن له ولما وقف بين يديه اخبره بأن جمله في بيته سالم من السلب والنهب وكذلك زوجته ولم يفقد له مقدار ذرة وان من المؤكد عنده انهم لم يصادفوا الجمل في الطريق ولا رأوا ما عليه قط . فتعجب الملك العجب الزائد وقال أيمكن ذلك . وفي الحال أمر الملك أعوانه ان يخرجوا أولاد الملك من السجن وأن يحضروا بين يديه بمنتهى الرقة واللطف فتأهل بهم وترحب وأمرهم بالجلوس فأبوا مظهرين التأدب واللياقة في حضرة الملك فأمرهم ثانيا وثالثا بالجلوس وألح عليهم حتى رأوا الطاعة فرضا فجلسوا مطرقين رؤوسهم إلى الأرض لا يرفعون نظرهم في الملك وعند ذلك فتح الملك باب الاعتذار فقال لهم لقد أهنتكم تعديا وحبستكم بغير حق ولهذا أريد أن استجلب خواطركم وأبين لكم غلطي فأجابوه بكل حشمة ورعاية وقالوا العفو يامولانا . أنت المتسلم أزمة العالم والمتسلط على بلادك

بالحق الشرعى فما أجريته كان بحق وعدل منك . وكان علينا بقضاء وقدر إذ قدر الله وجوب وقوع هذا الحادث علينا لأمر يريده . فقال الملك ان كان كذلك فلى اليكم رجاء واحد والأمل أن لا تردوه بل تخبرونى بالصدق . فأجابوه معاذ الله أن نقول غير الصدق أو نتكلم بغير الحق فى حضرة سيدنا الملك فمر بماشئت ولك منا الصدق فى القول . فقال ان الاصاف الصحيحة التي ابديتموها للجمال عن جمله كيف عرفتموها وأنتم لم تروا الجمل ولا صادفتموه فهذا هو الرجاء والالتماس الذي أطلب اليكم ان تصدقونى به . فأجاب ابن الملك الاكبر نعم اننا لم نر الجمل ولا الذى عليه قط لكن ان أبانا أوصانا بعض وصايا ونصحنا عدة نصائح وهي لا تزال نصب أعيننا لا تفارقنا ونعمل بموجبها على الدوام ومن نصائحه التدقيق والانتباه فى كل شيء وفي كل وقت . وعليه فاننا لا نغفل قط عن البحث والاعتناء فى كل أمر . ففيما كنا آتين فى الطريق رأيت أثر جمل فى الارض وتبين لي من الحشيش النابت هناك ان الجمل قد رعى الطرف الواحد وأبقى الآخر على طول الطريق فادركت ان كان أعور أو انه كان وهو سائر يأكل النبات من الجهة الواحدة حيث يراه بعينه الصحيحة ولا يأكل من الجهة الثانية حيث لا يراه فاستحسن الملك هذه الحذاقة ومدحه عليها .

ومن ثم تكلم ابن الملك الثانى فقال وأنا ياسيدى عرفت ان الجمل أعرج من رجله الواحدة لأني كما كنت أنظر فى أثر رجليه كنت ارى أثر ثلاثة منها بالغة فى الارض والرابعة تكاد لا تظهر فرأى الملك فى كلامه الصواب فمدحه أيضا

فقال ابن الملك الاصغر وانا أيضا ياسيدى فانى كنت أبحث فى النبات وأوفق فيه فرأيت ان الجمل لما كان يرعاه كان يقتلع أكثره ويبقي فى الوسط عشبة واحدة من النبات قائمة لا تمس فعرفت ان الجمل ناقص سنا والا لو كانت أسنانه جميعها سالمة لما سلمت تلك النباتات وان سلمت واحدة فلا تسلم الثانية . فتعجب السلطان من حذاقتهم وادراكهم وذكائهم وقال لهم اعترف بأنه لا يوجد فطنة ولا ذكاء تعادل فطنتكم وذكاءكم فالآن أظهرتم لى سبب معرفتكم أوصاف الجمل ولم يبق فى نفسى من هذا الوجه شاغل فأرجوكم أن تبينوا لى سبب معرفتكم ما عليه .

فقال ابن الملك الاكبر انى لما رأيت أثر الجمل فى الطريق مستقيما فى الطرف الواحد النمل قد اجتمع صفوفا صفوفا وفى الطرف الثانى قد اجتمع الذباب بكثرة

فعلمت ان النمل اجتمع على السمن والذباب على العسل ولهذا لابد ان يكون الجمل محملا عسلا وسمنا وقدسقط منه على جانبي الطريق قطرات وقال ابن الملك الثانى أما أنا فقد عرفت ان الذى ركب الجمل امرأة لانى رأيت أثر ركب الحمل فى الارض فعلمت ان الجمل قد أنيخ فى تلك الناحية ورأيت عند أثر ركبه أثرا لاقدام شخص ثم رأيت منديلا واقعا الي الارض فتناولته وحالما شممته تحركت بى الشهوة فعلمت ان ذلك الشخص هي امرأة .

وقال ابن الملك الاصغر وأنا ياسيدى عرفت ان تلك المرأة حامل لأنى رأيت انها بعد ان نزلت عن الجمل جلست وبينما هى تنهض للركوب تركت بجانب أثر رجليها أثرا ليديها فلاح لى من الثقل أنهاوضعت يديها على الارض ونهضت والذى عليها لابد من أن تكون حاملا .

فلما سمع السلطان من أولاد الملك هذه البراهين والأدلة العقلية تعجب من كياستهم وحكمتهم وصار يمدحهم ويطنب فى ذكائهم وقال لهم لست انا وحدى ممن يعجب بفراستكم وافراط ذكائكم بل العالم أجمع لو رأوا مارأيت وسمعوا ما سمعت لاعترفوا لكم بالفضل وأقروا أنكم حكماء هذا الزمان وفلاسفته ولهذا ترونني قد استفدت منكم أمورا كثيرة منها أن لاأحكم بعد الآن على الظواهر ولا أباشر عملا بدون ترو ولا أترك شيئا بدون البحث فيه والانتباه اليه ولكى تزيدوني فائدة أرجوكم ان تقيموا فى ضيافتى بضعة ايام وتبقوا عندى مدة لان طعام هذه المدينة لايوجد مثله قط فى غير بلادى . فأجابوا طلبه وفي الحال أمر بأخذهم إلى القصر الملكي وعين لهم الخدم والحشم والجواري لخدمتهم فصرفوا عنده خمسة عشر يوما وفى كل يوم سواء كان فى النهار أو فى الليل يذهبون إلي الملك أو أن الملك يذهب اليهم فيقتلون الوقت فى الاحاديث المفيدة والمباحثات النافعة والحكايات التاريخية إلي ان كان ذات يوم أراد الملك ممتحنهم فأرسل اليهم أبريقا من الخمر وصحفة من الشواء ثم جاء واختبأ [illegible] الباب ليسمع ما يقولون فى حقه .

أما اولاد الملك فانهم لما وضع الشراب والشواء أمامهم أظهروا السرور والامتنان وابتدأ ابن الملك الأكبر فأخذ كأسا وصب فيه خمراً وشربه وقال انى اشتم فى هذا الخمر رائحة دم انسان . ثم اخذ الثانى قطعة من الشواء فأكلها وقال

يترجح لى ان الماعز الذى أخذ منه هذا اللحم رضع من لبن الكلاب وكان الملك يسمع الكلام من وراء الباب . وأخيرا قال الاصغر . والذي يلوح لى يقينا ان هذا الملك ولد من صلب طباخ . فلما سمع الملك هذا الكلام لعب به الغيظ والغضب واحمرت عيناه وهاج دمه . وجعل يفكر فيما يفعل فلم ير أفضل من الصبر والتأنى ورجع إلى مكانه والكدر يقيمه ويقعده ولما وعي إلي نفسه قال من اللازم أن ابحث أولا فيما قالوا وإذا وجدت كذبا فى كلامهم قتلتهم بدون تردد وإذا كانوا يصدقون فيما يقولون فلا أمسهم بضرر . فأرسل أولا فاستدعى بائع الخمر وقال له اصدقنى الخبر من عمل الخمر الذى ارسلته الى فاضطرب صاحب الخمر ثم قال أنا ياسيدى عملته . فقال من أين اخذت العنب الذى عصرته منه . قال من الكرم الفلانى والكرم المذكور بين القبور . فتعجب الملك مما سمع وقال ان كلام الفتي الأكبر صحيح لا ريب فيه فلننظر هل كلام الثانى صحيح أيضا وأمر أن يأتوه بالرجل الذى باع الماعز فحضر بين يديه فقال له من أين اخذت الماعز الذى بعتنا اياه قال اخذته من الراعى فلان فأرسل الملك واحضر الراعى فوقف بين يديه وهو يرجف من الخوف ويقول فى نفسه ماذا يا تري يريد منى الملك . فسأله الملك الماعز الذى بعته لفلان من أى موضع . أجاب رضع من أمه . فقطب الملك حاجبيه واظهر الغيظ والغضب وقال له انك تكذب فاما انك تخبرنى بالصحيح أو إنى أقتلك فى هذه الساعة فوقعت الرهبة فى قلب الراعى ولم ير بدا من الاقرار فقال اني اخبرك بالصدق ياسيدي ان أم الماعز المذكور ماتت حالما ولدته وحيث لم يكن عندى وقتئذ غيرها ترضعه وقد صادف ان كلبة ولدت عندى فأرضعته منها ليعيش ولا يموت فربى مع أولادها .

فلما سمع الملك كلام لراعى طار عقله من العجب وغرق فى بحر من الحيرة والاندهاش وبعد ان صرف الراعى وهدأ من سكرة الاندهاش نهض فدخل الحريم وهو يفتكر فى نفسه ويقول العفو يا ربى إذا وجد كلام الفتي الأصغر صحيحا كيف يمكن لى أن اعيش بعد واصرف باقى عمري .

ثم استدعي والدته العجوز إلى خلوة فرأته متحيرا ومرتبكا وغاضبا فقالت له ما بالك يا ولدى مضطربا ومكدرا وما ذا جرى عليك فقال لها نعم أنى أريك اليوم عدالتي فزاد تعجبها وكررت عليه قائلة ماذا وقع لك ولم ذا الكلام .

أما الملك فكان يرغى ويزبد ونيران الغيظ والكدر تضطرم فى فؤاده وقد قال لها نعم أريد منك ان تعترفى لى بالصدق ولا تكذبى بحرف واحد فاخبريني أنا ابن من وما هو أصل أبى فتغير لون والدته من كلامه وصار وجهها أصفر كالموتى واحتارت بما تجيب ... ثم عمدت إلى الحيلة حالما سكن روعها قليلا وقالت ما هذا الكلام ياولدى ضع عقلك برأسك ألا تعرف اباك ماهذا الكلام الفارغ ان العالم أجمع يعلمون ان اباك كان ملكا عالى الجاه وسلطانا مرفوع المقام فأظهر الملك غيظه وحدته واستل سيفه من غمده وهجم على والدته ورفع السيف فى يده وقال لها مادمت لاتتكلمين بالصدق وتكذبين علي فستصادفين جزاءك. وعندما رأت شدة غضبه ثبت عندها أنها إذا انتظرت لحظة واحدة قطعها نصفين صاحت مهلا مهلا يا ولدى اني اخبرك بالصدق واطلعك على سر الأمر فتوقف الملك حينئذ وقال الآن وفى هذه الدقيقة أريد أن تعلمينى بالحقيقة وإلا كانت العاقبة وخيمة.

ولما رأت الملكة أن لا وسيلة الى الانكار وان لابد أن يكون قد اتصل بالملك سرها الذي كان محصورا بين اثنين أو ثلاثة عزمت على الاعتراف بالحقيقة فأخذت تتأسف وتظهر الندامة وتذرف دموع التوبة وتتأوه وتتأنف فزاد ضجر الملك فصاح بها وقال تكلمى لسنا الآن فى مقام العبادة فاذا كنت لاتجيبنى فانى أضطر إلى ان أتخلص منك بحد هذا الحسام فقالت كلا لا أتأخر وسأخبرك بكل شيء. فقط أسأل الله سبحانه وتعالى المسامحة على سابق عمل ارتكبته فى زمن الجهل فقد كنت حينئذ فى الحرم وكنت جميلة وشابة طائشة ففي ذات يوم خرج الملك للصيد فأتيت أنا ووقفت عند النافذة ابعث بنظرى إلى الحدائق البهجة المحيطة بالقصر وكانت الأطيار تتنقل على الأغصان والروائح العطرية تنبعث من الأزهار وتتصل لي فتنعش روحي وقد أهاجت مناظر الطبيعة البديعة أشجانى وحركت فى نفسي عوامل الصبا احساسات غريبة وبالصدفة جاءنى فى تلك الدقيقة بالطعام فتى طباخ كان قد ألحق جديدا بخدمة المطبخ فالتفت اليه فرأيته جميلا بديعا لا يتجاوز العشرين وأنت تعلم حالة الصبوة والشبوبية فان الفتاة الشابة تميل دائما إلى الشاب الجميل ولاتميل إلى الكهل أو الشيخ إلا كارهة مغصوبة ولاأخفي عليك انى علقته ووقعت محبته فى قلبي وغلبت على شهوة النفس حالما وقعت عينى عليه وحينئذ انسحبت إلى خلوة وأمرت إحدى الجواري التي

كنت أثق بها أن تدخل إلى الفتى الذى جاء بالطعام ففعلت و كان الشيطان الذى وسوس لى فى هذا الحب حرك بى فعل الطبيعة فانقدت اليه ولما أخذت بمداعبة الغلام وملاعبته لم أتمالك نفسي ولا عدت أقدر على مقاومتها فقضيت منه وطراً وانا مسرورة وممتنة من ذلك ومن حبي لفتى فى بدء العمر أديره كيف أريد ولكن بعد أن مر على ذلك عدة أيام رأيت نفسى قدحملت فيك . وعندما لفظت هذه الجملة وقع السيف من يد الملك وندم الندم العظيم على تحريه هذا الأمر ولكن ما الفائدة فقد صار الذى صار ... (وفى الواقع ان الانسان كثيراً ما يبحث عن أشياء ترغمه النفس على الوقوف عليها وحالما يعلمها يقع فى الندم والأسف ولكى لا يحزن ويتكدر الأفضل له ان لا يسأل ولا يبحث ولا سيما فى مسائل نظير هذه لأنه فى الاول يكون مرتابا فتارة يتوهم صحتها وطورا يكذبها من نفسه الى أن ينساها ولكن إذا تحققها وثبتت لديه لا يعود ثمة وسيلة للنسيان فيصرف عمره حزينا كئيبا فيندم حين انه لا ينفع الندم) وهذا مصداق لقول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم)

وبعد ان حقق الملك من أمه عن حقيقة حاله ومن هو أبوه ووقع السيف من يده خرج وهو فى أشد الخجل من نفسه لا يعي على شيء والحزن ملأ قلبه وجعل يعض اصابعه ندما وأسفا ولكن وقع القضاء فلا مرد له وتأكد لديه أنه ليس من نسل شريف فاختلي بنفسه وهو فاقد الصواب وبقي مدة يعاتب دهره فلم ير وسيلة إلا الصبر والتحمل على فعل القضاء .

ثم خطر على باله ضيوفه فقال يلزم أن أحقق معهم من أين عرفوا ذلك فنهض اليهم ولما رآه أولاد الملك داخلا عليهم وشاهدوا على وجهه علامات الغيظ والكدر لم تخف على فراستهم حالته فوقفوا فى الحال وخفوا لاستقباله بالتبجيل والتعظيم .

ثم ان الملك جلس على سرير هناك وأطرق إلى الارض ساكتا لا يفوه بكلمة وهو يفكر كيف يفتتح الكلام معهم في هذا المعنى وأخيرا التفت إلى ابن الملك الأكبر وقال له انى أمس ارسلت اليكم ابريقا من الخمر وصحفة من اللحم المشوى واختبأت خلف ستار الباب فأخذت انت بعضا من الشراب فشربته ثم قلت ان رائحته دم انسان فحققت فكان في الواقع كما قلت فالآن اخبرنى من أين عرفت ذلك .

فلما سمع أولاد الملك سؤال الملك أدركوا الباقي فخجلوا ثم فكروا قائلين في نفوسهم مهما جري يجري فاننا لم نتكلم كذبا . وحينئذ تكلم الاكبر فقال للملك نعم ياسيدى اننا نحن كما أخبرناك سابقا اخوة لأب واحد ولما كان أبونا عاقلا حكيما أمرنا أن لانترك شيئا يمر علينا بدون ان نتروي به ونفحصه وأن ندقق فى الكليات والجزئيات ولهذا ترانا عندما نأكل ونشرب وننام ونقوم ونذهب ونجلس ونصاحب ونرافق ونتحاور . والحاصل فى أي عمل عملناه أو رأيناه لانباشره بغير تفكر وترو فالبحث لدينا دستور العمل . وبمجرد التأنى والتدقيق نعرف باطن الانسان من ظاهره فلما شربت من الخمر الذى أرسلته لنا فعوض ان ينشرح صدرى أخذنى الملال اي بالعكس يعني ان الخمر يفرح قلب الانسان ويدفع عنه الغموم والاكدار ولنفرض إذا شرب الانسان المغموم والمكدر جدا قليلا من الخمر تنسيه كل هم وغم ويهون لديه كل عمل ويرى فى نفسه العظمة والمجد أما أنا فانى شربت قليلا فشعرت بانقباض وصرت كلما زدت منه زاد انقباضي وغضبي وسألت اخوتى أيضا فوجدت بهم مابى من الانقباض والملال وحينئذ ثبت لدي أنه يوجد فى هذا الخمر شيء وقد توجه فكرى إلي أن ذلك الشيء هو دم إنسان .

فلما سمع الملك جواب ابن الملك الاكبر وتعليله الامر والسبب الذى لأجله أدرك أن فى الخمر دم انسان استحسن ذكاءه ومدحه ثم التفت إلى الثانى فقال له وأنت أيضا عندما أكلت اللحم قلت ان الماعز الذي قطع منه قد تربي من حليب الكلاب فمن أين عرفت ذلك .

فدعا ابن الملك الثانى للملك بالبقاء وطول العمر ثم قال نعم يا سيدى انى لما أخذت قطعة منه ووضعتها فى فمى امتلأ فمي ماء وأخذ الماء يسيل بكثرة من شفتي فقد رأيت له طعما غير طعمه العادى ولأجل ذلك ادركت ان الماعز تربى من حليب كلب لانى قرأت فى بعض الكتب ان اللحم المتربي بحليب الكلاب يسيل ماؤه بعد أكله .

فأعجبت هذه الافادة الملك ومدحه أيضا على ذكائه وكان ابن الملك الثالث عرف ان الدور وصل اليه فكان فى غاية الخجل والحياء وقد أطرق برأسه إلى الارض يتوقع سؤال الملك إلى أن سأله قائلا وقد حققت أيضا ما قلته فاذا هو صحيح فمن أين عرفته .

فأجاب كلا ياسيدي انى لم أقل شيئا صحيحا وان لا وجه للصحة فيما قلته وانى اتبين الغلط من نفسى ولهذا لاأقول شيئا ولايمكننى أن أقول شيئا وحينئذ أقسم له الملك أن لايتكدر ولا يغتاظ وان لابد من اطلاعه على سبب معرفته انه ابن طباح .

فحينئذ قال ابن الملك نعم ياسيدى ان لاذنب فى ذلك عليكم ولا على ولا على أحد انما الذنب على القدر وهذا شأن أكثر حرم الملوك فان نفوسهن تميل إلى ارتكاب المحرمات وذلك لأنهن يقمن طول أيامهن بلا شغل يشغلهن ولا عمل يعملن به والبذخ والتنعم والترف وطيب المأكل وحسنها يقوى من شهوتهن فاذا لم يكن فى قصورهن من الخدم من لايفى بحق اراداتهن توصلن إلى جلب الذكور من الخارج وهذا ليس فى هذا الزمان فقط بل منذ الأزل وكما أن الفقر يجر بالمسكينات الفقيرات أحيانا لارتـكاب الفواحش سداً لجوعهن واحتياجهن الضرورى الذي لا غنى عنه فكذلك زيادة النعمة والراحة تهيج نفوس المتنعمات حتي لاتعدن قادرات على مقاومة الطبيعه ومفاعيلها والاحسن ان لايكون فى قصر الملك إلا واحدة وان لاتترك بلاعمل ففى ذلك تسلية ورياضة بدنية وابتعاد عن المعصية ومع ذلك فلا شيء يجري فى الدنيا إلا بعلمه تعالى والقضاء المقدر لابد من وقوعه مهما تحصن المرء منه وهكذا لابد أن يكون وقع مع والدتكم إذ وقعت تحت حكم ونفوذ القضاء .

وأما سؤالك عن سبب معرفتى ذلك فأنا قلته غير محقق بل من قبيل التخمين والترجيح وذلك لانى منذ تشرفت بلقائك حتى الساعة وأنا لا أسمعك تذكر شيئا أكثر من الطعام فدائما وفى كل وقت وأمام كل واحد تقول مثـلا ان الطعام الفلانى لذيذ جدا والطعام الفلانى ألذمن الطعام الفلانى وطبخ هذا الطعام مستوفى الشروط وأما الطعام الفلانى فكان يلزمه من السمن مقدار كذا وذاك قد زيد فيه الأرز وهذا قد قل فيه الملح وذلك كان من اللازم ان يطبخ نسق كذاويوضع له كذا وكـذا والحاصل لاتقطع من فمك ذكر الاطعمة والطبخ ولو كنت فى أشغال المملـكة وتدبير شئون الرعية على غير قصد منك ومعلومك أن مثل هذا الأمر يؤخذ على وجهين فاما أن يكون المرء ذا شهوة غريبة فى الطعام أكولا كبير البطن نهما سريع الهضم فيشعر دائما بخور فيضطر لذكر الاكل لأنه أحب شيء لديه . واما أن يكون مولودا من رجل صناعته الطبخ فيكون ميله لذكر

الطعام فطرة وتخلقا ولما لم أر فيك الصفة الاولى مال فكرى إلي الامر الآخر فقلته وأرجوك العفو لاننا ما تكلمنا ذلك إلا بيننا ولا يعرفه رابع قط ولو لم تتعمد الاطلاع على أفكارنا وتختبيء لما وقفت علي ماوقفت عليه والشيء الذى نقوله مرة لا نعيده ثانية فنرجوك العفو .

أما الملك فانه كان مطرقا الى الارض وقلبه يشتعل من نار الكدر من وقوفه على حالة وجوده ثم نهض من عند أولاد الملك ورجع الي خلوته يفكر فيماينبغى أن يعمله معهم وقد خطر له في بادىء الامر أن يدعهم ينصرفون عن بلاده لكن رجع فقال فى نفسه هذا لا يمكن لأنهم على جانب عظيم من الذكاء والمعرفة ومن اللازم أن أبقى عندى واحدا وأترك الاثنين فى طريقهما ولا ريب انى أنتفع بذكاء وعلم الذى يبقي عندى ولكن هل يا ترى يقبل أحدهم أن يفترق عن أخويه ويبقي عندى بعد أن ثبت لديهم انى لست ابن ملك ثم خطر له أن يأخذ رأيهم فدعاهم وأظهر لهم الاهتمام والاتفاق وقال لهم بالحقيقة إنكم جميعا على جانب عظيم من الذكاء والفطانة وقد أتقنتم العلوم والمعارف وحزتم أجلها وأرفعها وقد مال قلبي إليكم ولذلك أريد أن ابقي أحدكم عندى فاستوزره وأعهد اليه بتدبير شئون المملكة وأزوجه بابنتي فأرجوكم قبول طلبي هذا وأن لا تضيعوا رجائى فيكم .

فنظر أولاد الملك الي بعضهم البعض برهة دون أن يفوه أحدهم بكلمة ثم التفتوا إلى الملك وقالوا أطال الله عمر مولانا الأعظم انه من الصعب علينا أن يفارق أحدنا الآخر بسهولة ولذلك نسألك السماح لنا بالتشاور مع بعضنا البعض فى خلوة لنري الطريقة التى تقينا من بلايا السفر والنظر فى انفاذ أمركم

فقبل الملك طلبهم وأذن لهم في المشاورة فنهضوا من حضرته وساروا إلى مكان اقامتهم ودارت بينهم المباحثة والمخابرة وأخيرا سكت الاخوان ينتظران رأى أخيهما الاكبر فقال أى أخوى العزيزين ونورعيني الاثنين هانحن قد خرجنا من وطننا المحبوب ووقعنا فى بلاد الغربة وكان لأجل ملاقاة المشاق والمحن والخروج والتخلص منها وكان رجاؤنا أن نعود الي الوطن بالسرور والراحة لكنما الدهر الخؤون لايبقي على أخين لم يتفرقا .

كم فرق الدهر بين الأم والولد هو الظلوم فلا يبقى على أحد

نعم ان الدهر من شأنه التفريق والجفاء والذي أريده فى كلامى الآن هو

أني أرى علائم التفريق بادية أمامنا ولا بد للملك أن يدعوني اليه فلا أعلم بماذا أجيبه فأبدى أخواه علامات الفرح على وجوههم وقالوا له لقد أصبت يامدبرنا ومشيرنا فان الدهر بدأ بمحاربتنا ليوقع بيننا ومن الحكمة أن لا نقاومه لأنه إذا قصد تفريقنا فلا قدرة لنا على مخالفته وأنواع التفريق كثيرة فالاصوب أن نختار الأهون . فالآن أنت لا تفتكر بنا فاننا نقدر باذنه تعالى على اتمام سفرنا حتى يأذن الله برجوعنا فاذا صرت أنت صهراً للملك ومدبرا للملكة ربما تنال خيرا أعظم فيما بعد ويكون ذلك بتدبير من الله ونحن كذلك لدى تطوافنا ربما نلاقي من الخير مالا نعلمه الآن ومتى أذن الله بعودتنا نعود اليك ونذهب سوية الى وطننا وبلادنا .

فبعد المشاورة والمحادثة اتفقوا على ذلك فنهض ابن الملك الاكبر وهو صاغر لحكم القضاء والقدر حتى جاء الملك واخبره بما اتفق عليه رأيهم فسر الملك من ذلك سرورا عظيما وتقدم من ابن الملك فضمه الى صدره وشكره على تفضله بالبقاء عنده وأمر فى الحال باقامة الافراح والولائم وبتهيئة قصر جميل لابن الملك ثم بعد أيام زف ابنته عليه وأقامه وزيرا ومدبراً لمملكته واتكل عليه فى كل أموره .

وأما اولاد الملك الآخران فأقاما الى بعد زفاف أخيهما على بنت الملك ثم ودعا الملك وأخاهما والحزن يملأ قلبيهما والدموع تنهل من مآقيهما غزيرة وخرجا من المدينة وقلبهما مملوء من الحزن والكآبة لفراق أخيهما الاكبر وكما كان الاثنان يعاملان أخاهما الاكبر بالاعتبار والاحترام لكونه بمثابة أب لهما اصبح الاصغر يعامل أخاه الثانى معاملة الاكبر ويحترمه لكونه أكبر منه سنا وبعد أن سارا مدة يوم أراد الأخ الثانى أن يمتحن الاصغر فقال له أنظر كيف أن أخانا الاكبر قليل الوفاء عديم المحبة فقد تركنا نسير وحدنا وشغل عنا بالعيش والمسرة والصفاء والهناء فأجابه ان ما عمله أخونا معنا لم يكن ناشئا من قلة وفاء أو محبة بل كان ذلك لأجل مصلحتنا وخيرنا . لأن الانسان عندما يكون منفردا بنفسه يفكر أكثر ويدقق أكثر وينظر فى المشاق والمحن أكثر والا لو وجد ثلاثة أشخاص أو أربعة سواء ولاقوا المحن والمشاق لم يهتموا ولم يفكروا فيها ولذلك لا يمكن ان يحنكهم الزمان وتعلمهم الايام وعليه فيكون أخونا قد أراد امتحاننا وليس كما تزعم أنه تركنا بغضا وقلة وفاء أرأيت كيف ان أبانا قد طردنا نحن الثلاثة سواء . هل كان ذلك منه بغضا او كرها كلا بل انه

قصد خيرنا ونفعنا . فلما سمع اخوه كلامه سرَّ منه سرورا لا مزيد عليه واستحسن جوابه .

ومازالا في مسيرهما عدة أيام وليالي حتي انتهيا إلى نقطة يتفرع منها طريقان الواحد لجهة اليسار والثانى لجهة اليمين فوقعا مفكرين ناظرين الى الطريقين وهما ينظران فى أيهما يجب أن يسيرا . وبعد برهة قال الاكبر لأخيه انى أرى من مصلحتى على ما يدلنى عليه قلبي أن أسير فى الطريق الشمال لان لى خيرا هناك . فأجابه الأصغر وأنا أيضا أرى أن من خيرك ان تسير فى الطريق الشمال وأسير أنا فى الطريق اليمين وبالنظر لما يلوح لى ان لى نفعا وصالحا هناك . ولهذا قد قضى علينا ان نقف فى هذه النقطة للوداع فهلم ياأخي هلم للوداع أن الله حكم بذلك وعلى المرء أن يخضع ويمتثل لحكم القضاء وأن يكون شجاعا مقداما لمحاربة الايام والاهوال .

فلما سمع أخوه كلامه قال فى نفسه ان أخى مصيب في كلامه فاذا كانت شجاعته وحكمته حملتاه على ركوب الاخطار لوحده اجابة لحكم القدر فمن اللازم وأنا اكبر منه سنا أن أكون أشد بأسا وأقوى قلبا . وفى الحال نزل كل منهما عن جواده وضم أخاه الى صدره ودموعهما تسيل على الخدود كالامطار . ولما دنت ساعة الفراق قال الاوسط للاصغر أى اخى العزيز ونور عينى إن الفراق قبيح جدا والهجران أمر لا يحتمل قط . ها ان أخانا الاكبر قد أصبح صهرا للملك فى بلاد جميلة عظيمة وهو يصرف أوقاته بالانس والصفا ولذلك أفكارنا مرتاحة من جهته ففراقه لم يكن فراقا يذكر بالنسبة لهذا الفراق . فقد تركنا وحدنا لانعرف الطريق ولا نعلم ماهي الاهوال والمصائب التى ستمر علينا أما نحن فاننا سنفارق بعضنا وافكارنا محزونة ولا يعلم أحدنا ماذا يتم على الآخر فهنا نقطة المرارة ومركز الصعوبة اذ يبقى أحدنا حزينا على الآخر .

فلما سمع الاصغر كلام أخيه له لم يتمالك من البكاء فتدفق من عينيه الدمع ثم قال له ان ما قلته هو الواقع ولكن ما العمل وإذا وقع القضاء والقدر لا ينفع التحرز والحذر فنحن عبيد الله وهو خالقنا ومعبودنا وحافظنا ورفيقنا فى طريقنا فهو الذى يرى خيرنا ويعرف طريق نجاحنا وهو بالحقيقه والدنا الشفيق الرحيم والذي أراه لأجل نفعنا أوجد هذين الطريقين وقادنا اليهما ووضع فى قلب كل منا الميل إلى طريق واحد منهما وبالطبع متى كان الانسان متكلاً على الله

حق الاتكال فعليه ان لايخالف دلائل قلبه لأنها الهامات ربانية فلنفعل الآن كما شاء ربنا وهو المدبر المتمم . وبعد أن انتهى الاصغر من كلامه انفصل أحدهما عن الآخر وهو مملوء من الحزن والغم فاستلم الأكبر طريق الشمال والاصغر طريق اليمين وبقى كل منهما يلتفت إلى أخيه وهو سائر والدموع تذرف من عينيه كالأنهار حتى غابا عن بعضهما البعض .

فلنترك الآن ابن الملك الأصغر سائرا فى طريقه وننظر فيما يجرى على أخيه فانه بقى سائرا فى الطريق الشمالي محزونا يائسا وفيما هو سائر جعل يفكر ويلوم نفسه قائلا لأى شيء أحزن واتكدر إن الدنيا حالها هكذا . فلا لقاء الا ويعقبه فراق ولا فرح إلا ويعقبه ترح كل هذه أمور تمر على الانسان فالعاقل من يصبر عليها سيما وانى على يقين من أن أخوي بخير ومن المرجح أن نعود جميعنا ذات يوم إلى أبينا ويجتمع بعضنا ببعض باذن الله . وكان يسلي نفسه بمثل هذا هذا الكلام وهو سائر فى طريقه حتي قطع مسافة خمسة عشر يوما على تلك الحال وقد صادف فى طريقه كثيرا من البلدان والقرى والآثار القديمة وكل شيء كان يراه يدقق فيه ويسأل عنه . وأخيرا انتهي الى مدينة عظيمة كبيرة فدخلها وسار إلى أحد الفنادق فاكترى له حجرة سكن فيها وقد رأى من المناسب أن يقيم فى تلك المدينة أياما ليستريح من التعب ومشاق السفر وكان فى النهار يذهب الى الاسواق والشوارع فيطوف فيها متفرجا باحثا وفي المساء يعود الى الفندق وكان مسرورا جدا من حسن هواء تلك المدينة واتساعها واتقان أبنيتها وكثرة جنائنها وحدائقها .

فصرف بضعة أيام على هذه الحال وفى ذات يوم خرج من حجرته على جارى عادته وأخذ يطوف فى الاسواق حتي وقف أمام دكان رأى الناس مجتمعين بكثرة عندها فاختلط بينهم ليرى السبب فشاهد شيخا قابضا على ولده الفتي وهو يضربه ضربا شديدا ويجتهد فى منعه من الذهاب وهو يقول له أنت ابني ولى عليك حق السلطة فلا أدعك تذهب . فتعجب ابن الملك من هذه الحال والتفت إلى أحد الحضور وسأله قائلا لماذا ياترى يضرب هذا الشيخ ولده وإلى أين يريد أن يذهب وهو يمانع فى ذهابه . فسأله الرجل ألست من سكان المدينة فأجابه كلا بل أنا غريب دخلت هذه المدينه منذ أربعة أيام فقط .

فقال الرجل يوجد فى هذه المدينة ملك عظيم واسع الملك عالى الجناب ولكنه

عادل وظالم رحيم وعديم الرحمة . فتعجب ابن الملك من كلامه وقال له كيف يكون الملك ظالما وعادلا وشفوقا وقاسيا . قال نعم ان ملكنا كذلك فان له ابنة جميلة جدا حتى أنه يندر وجود مثلها فى زمانها وهى ذكية وفهيمة للغاية وقد أقسم الملك ان لا يزوجها الا لمن يبيت عنده أسبوعا كاملا ولا يقتله لان ذلك الملك كان غريب الاطوار يقتل لأقل هفوة وحتى الآن قد اضاف الملك نحو الثلاثة آلاف فتى من الغرباء ومن أهالى مملكته بعضهم من أولاد الملوك وبعضهم من الاعيان وبعضهم من الفقراء ولا واحد منهم قدر أن يقيم فى ضيافة الملك أسبوعا كاملا ولا قدر أن يتخلص من بين يديه بل جميعهم قتل فهذا هو ظلمه وأما قولى بانه عادل فانه لا يجبر أحدا على ضيافته بل بالعكس يمانع فى بادىء الامر وقد فوض وزيره أن ينصح كل من يريد الزواج بابنته ويمنعه ويجتهد فى ردعه ويخوفه من القتل والاعدام وهذا هو عدله . وبنت الملك المذكور تخرج فى الاسبوع مرة الى الحديقة الكبيرة المحيطة بقصرها فيذهب الكثير من الناس لأجل رؤيتها وهذا اليوم الذى نحن فيه موعد خروجها وقد قصد ابن هذا الشيخ ان يسير ليراها فلم يهن على أبيه ذلك فهو يضربه ويمنعه من الذهاب إلى هناك .

فتعجب ابن الملك وقال لابد لهذه المسألة من سر خفي وتاقت نفسه فى الحال لرؤية الصبية فسار حالا نحو قصر الملك فرأى كثيرا من الناس قد تجمعوا عنده لرؤية بنت ملكهم واذا بها قد دخلت الحديقة باحتفال عظيم وبين يديها نحو خمسين جارية جميعهن بالملابس الحسنة والجواهر النفيسة وهى بينهن كالقمر بين الكواكب تتمايل كغصن بان أو كقضيب خيزران وقد سلم عليها الناس بكل خضوع واحترام . ثم أنها أخذت تطوف فى الحديقة من طرف الى آخر وهى تشاهد الناس وتحييهم . أما ابن الملك فحالما رآها تحركت فيه عوامل الحب عن غير ارادته فكأن الله قد سخر حسن ودلال ذلك الغصن الميال لاستعباد قلبه وتقييده بحبال الهوى . وكذلك بنت الملك فانها حالما وقع نظرها على شخصه أدركت بذكائها أنه من أولاد الملوك النجباء وظهر ذلك واضحا فى سيمائه وعندما تعطفت بكليتها اليه وانجذبت روحها نحوه ولم تقدر ان تضبط نفسها عن التبسم له والاشارة اليه بالسلام على نوع خاص ثم انسحبت الى قصرها . فأحدق فيها ابن الملك برهة وهو يفكر فى أمرها وجمالها .

ولما غابت عن عينيه سار إلى مكانه وصرف تلك الليلة مشتغلا بما رأى باحثا في عقله عما يعمل وهو يقول في نفسه هل أبيع حياتي رخيصة في سوق جمال هذه الفتاة التي لم تر عيني أجمل وأبدع منها . كلا . كلا . ليس من السهل أن أسلم نفسي على الخفة والطيش وأضحي حياتي لأجل الحب . يلزم أن أتحمل . وكذلك مر عليه اليوم الثاني والثالث حتى الاسبوع وهو على تلك الحالة لاهم له إلا التروي والتفكير والتدبير . ولما آن وقت خروج بنت الملك إلى الحديقة سار اليها واختلط بجماعة الملك ولكنه لم يقف في المكان الذي وقف فيه في المرة الأولى بل وقف في جهة ثانية وفي يقينه أنها ان كانت أحبته كما لاح له منها فلابد أن تبحث بنظرها عليه بين الجموع فيتبين له ذلك ويعرف من هيئتها وحركاتها ما يرتاح اليه ضميره . وبقي منتظراً دخولها الحديقة . وإذ ذلك خرجت الفتاة من قصرها كالعادة ودخلت الحديقة للنزهة وبعد أن حيت الجماعة بدأت بالتطواف في الحديقة . وقد أرسلت بنظرها الأول وهلة إلى المكان الذي كان واقفا فيه ابن الملك في الاسبوع الماضي فتأكد له أنها تبحث عليه ولما لم تره فيه أكثرت من التلفت والبحث في كل جهة حتى وجدته في مكانه وكان في هذه المرة قريبا منها فتمكنت من السلام عليه وبعد السلام وضعت أصبعها على شفتيها ثم ضمت أصبعها هذا إلى أصبع آخر ومضت فلما رأى الناس منها هذه الاشارة تعجبوا وكل واحد أول الاشارة الى معنى الطابق هواه ولكن لم يدرك أحد منهم المعنى الذي تقصده الا ابن الملك .

وبعد أن طال به التأمل رجع الى مكانه وهو يبتسم ويتفكر وقد صرف تلك الليلة على هذه الحال وخيال محبوبته يلوح أمام عينيه لا يفارقه لحظة واحدة وحبها يزيد وينمو في فؤاده إلى أن كان الصباح فلبس ثيابه وسار الى الوزراء المعينين لنصيحة الضيوف وتحذيرهم وبعد أن دعا لهم وسلم عليهم واخبرهم بأن قصده ضيافة الملك .

ولما رأى الوزراء نجابة ابن الملك وسمعوا فصاحة كلامه وشاهدوا رقة جانبه سروا منه فأكرموه وعزوه كثيرا وأجلسوه ما بينهم ثم سألوه في بادىء الأمر من هو ومن أى البلاد جاء فقال لهم أنه ابن أحد أمراء مدينة سرنديب وأنه قد خرج من بلاده لأجل السياحة والفرجة على البلاد والآثار . وإذ ذلك فتح الوزراء باب النصيحة فقالوا له إنك ترمى بنفسك في بحر الهلاك وتختار الموت

لنفسك بدخولك فى ضيافة الملك لأن الرجل الذى لاتقبله بنت الملك ولا يوافق مشرب أبيها يقتله ولا يبقيه حيا ومن الصواب رجوعك عن عزمك هذا فبنات الملوك والامراء كثيرات فيمكنك ان تختار منهن من تحلو لك فتتزوج بها بغير عذاب ولا خطر وأنت لاتزال شابا وفى بداية عمرك فيخاف عليك وعلى صباك فلم يقبل نصيحتهم وقال لهم انى أشكركم على تحذيركم اياى ونصيحتكم لى فقد أبرأتم ذمتكم وفعلتم الواجب الذى يطلبه الله منكم وزيادة أما أنا فانى مصر على عزمى وليقضى الله أمرا كان مفعولا . فلما رأي الوزراء اصراره قالوا له اذهب انت الآن اليوم وفى الغد عد فندخل بك على الملك والآن ندخل عليه ونخبره بكل ما جرى لنا معك واننا نصحناك وحذرناك فلم ترجع عن عزمك ولا قبلت النصيحة .

فعاد ابن الملك إلى منزله بعد أن شكر للوزراء عملهم وأثنى عليهم وقد صرف باقي يومه وليله وأفكاره تقرب بين الرجاء واليأس وكلما فكر فى العدول عن عزمه وجد من قلبه زاجراً وتبين له من إشارتها انها بدون شك ستلتصق به وقد أعجبها فتقوى آماله ويتأكد عنده نوال غايته . وفى صباح اليوم الثاني ذهب الى قصر الملك فلاقاه الوزراء وأعادوا اليه النصيحة وخوفوه من العاقبة فلم يصغ اليهم ففي الحال ساروا به إلى الملك وأخبروه بأنه راغب فى ضيافته فنظر فيه الملك وكان حكيما فطنا فتبين له فيه دلائل الذكاء والنجابة فرحب به وزاد فى اكرامه وأجلسه الى جانبه وسأله من أين هو وإلى أي جهة هو ذاهب . فأخبره أنه من مدينة سرنديب وأنه سائح فى الدنيا يستطلع أخبارها ويتفرج على آثارها فأرسله الملك الى المكان المعد للضيافة وأمر عدة من الخدم بملازمته والاهتمام بخدمته .

ولما كان المساء خرج الملك من ديوانه وسار إلى حرمه فأقام هناك نحوا من ثلاث ساعات ثم جاء الى المكان الذى يقيم فيه ابن الملك فاستقبله ابن الملك بالترحيب والاكرام وأكثر من الدعاء له والثناء عليه فصافحه الملك ومدحه وجلسا إلى جانب بعضهما البعض ولما كان الملك قد رأي من هيئة ضيفه انه لابد أن يكون ابن أحد الملوك الكبار أخفى ذلك فى نفسه ولكنه كان يعامله بالوقار والاحترام كما يعامل الملوك وبعد أن صرفا وقتهما بالاحاديث والاخبار

حضر الطعام فجلسا على والملك يمتحن ضيفه ويسأله المسائل العظيمة وهو يجيب عن كل شيء بحكمة وتعقل وتأن حتى سكر الملك من ذكائه .

ولما حان وقت النوم نهض الملك ودخل الى حرمه وأخذ ابن الملك الى غرفة نوم مزينة بكل أنواع الزينة قريبة من محل الحرم . وكان ابن الملك يتعجب من الاكرام والاحترام اللذين لقيهما من الملك مع أنه كان سمع أن الملك يقتل ضيفه بعد أسبوع فلماذا يكرمه فى الاول ثم يقتله فى الآخر . ومن بعد أن دخل الغرفة نزع عنه ثياب النهار ولبس ثياب الليل أى ثياب النوم وجلس يتفكر فى أحواله وفى سر هذا الأمر برهة ثم نهض الى سريره وقبل أن يتسلط عليه سلطان النوم سمع صوت فتح الباب فاضطرب قلبه وارتجف ونهض جالساً وأمعن فى الداخل فرأى فتاة فى سن الخامسة عشرة قد دخلت منه فحقق النظر فيها فعرف أنها بنت الملك نفسها فخرج فى الحال من سريره وترحب بها غاية الترحاب وقدم لها مايليق بها من الاعتبار والاكرام . ومن بعد أن حيته بكلمات الغنج والرقة والدلال جلست ودعته للجلوس فلم يؤخذ ابن الملك بكل ما أبدته من حركات الغنج والتيه بل جلس الى جانبها مطرقا الى الارض لا يرفع نظره الى وجهها فضاق لذلك صدر الفتاة وقالت له لماذا تعرض عنى هل لم أعجبك فأجابها كلا ياسيدتى فأنت معدن اللطف والكمال ولكنى مخجول من زيارتك فى مثل هذا الوقت ولم أر لها معنى واضحا وظاهراً إلى فلماذا شرفتيني فى وقت ليس وقت زيارة والأعجب من ذلك انفرادك بى فى مثل هذا المكان وهذه الساعة .

فقالت نعم ياسيدى انى أتيت لأراك لأنى حالما رأيتك وقع حبك فى قلبي وعشقتك بالرغم منى وأصبح قلبي أسيرا فى يديك .

قال لا ألومك على ذلك انما ليس من الحكمة العجلة بل من الواجب ان تصبري الى حين يدنو وقت نوال المراد . فقالت له رفقا بى يامالكى المحبوب كأنك لم تسكر من خمرة الحب ولم تأسرك حبال الغرام والا لما كنت تجيبنى بمثل هذا الجواب واني أعذرك عليه لانى كنت مثلك قبل أن رأيتك لا أعذر عاشقا ولا أرحم مغرما فهل يطيق العاشق الصبر على وصال معشوقه وهو قريب منه .

قال فى الواقع كما قلت لكن العرض والناموس أعظم بكثير من العشق والمحبة لا أخفى عليك انى عاشق شديد الغرام بك لكن العرض والناموس يمنعانى عن اجراء ما أروم .

فأظهرت الفتاة التأثر وقالت له المعنى أنك تظن أنه لا يوجد عندي عرض وناموس . قال حاشا ياسيدتي أن أفكر بذلك فاني لم أقل لك أن لا عرض ولا ناموس عندك بل انى أرى ان العشق والمحبة عندك قد التقيا بالعرض والناموس وهذا الذي حملك على الجراءة لزيارتي في مثل هذا الوقت مع أنه لايزال الناموس عندي منفصلا عن الحب .

فقالت له العفو يا محبوبي العزيز إن كل كلامك حكمة وعقل فليس الآن وقت الكلام واللوم فالوقت قصير هلم الآن نغتنم هذه الفرصة فنقضي ساعتنا القصيرة باللهو والتسلي فلم يوافقها وقد دله قلبه أن عملها هذا هو دسيسة وحيلة لامتحانه فقال لها أرجوك يا سيدتي إكراما لمجد الله لا تمسي شرفي وناموسي بأذي فاذهبي عنى لأنه لا يمكن لى أن أدع قلبي يتغلب على عقلي ولا أعمل أمراً مالم أفتكر فى عواقبه ولا آتي عملا إلا بعد التروي والتبصر فزاد نفوره وعفافه في هواها وغرامها فقالت له مما أنت خائف ياروحي فاني أقسم لك الايمان العظيمة أنى أصبحت عاشقة لك مغرمة بك ومنذ رأيتك أول مرة فى الحديقة انسحب قلبي اليك على غير رضى مني وعدت لا أطيق صبرا على بعدك وما ذلك إلا بأمر من الله تعالى . فالآن لماذا تظلمنى وتجافيني هلم إلى ارحمنى انصفني لا تتركني يائسة حزينة .

فقال . كلا يا سيدتي فقد يستحيل على أن أوافقك على ما تدعونى اليه بل أرجو كى أن تتركيني وحالى هذه الليلة وتذهبي عنى ولا أقول ذلك إلا لزيادة حبي لك انى أحبك وأهواك أكثر مما تحبينني وتهوينني بألف مرة . لكن عدم الصبر والتأنى مضر فاصبرى أسبوعا واحدا فقط فاذا تخلصت فيه من أبيك سهل علينا الاجتماع ونوال الوصال . فتبسمت الفتاة وقالت له أى حبيبي ومالك لى لاتعر أذنا لما تسمع ان هذا الأمر هو بيدى وما يشيع عن أن أبى يقتل طلابى والراغبين بى بعد زيارتهم له أسبوعا هو غير الحقيقة بل اذلك سر آخر لاأخفيه عليك وهو أنه إذاجاء أبى ضيف راغب فى فبعد ان يجرى معه التجملات والاحترامات اللائقة بالمضيف مدة ستة أيام وفى الليلة السابعة يأخذ في امتحانه فيرسلني اليه ويختفي هو خلف الباب والسيف فى يده . وعندما أدخل أنا على الخاطب وابدي لديه اشارات الحب وافاتحه بالغرام يأخذه الطمع بى فيهجم على قاصدا ضمى واعتناق ونوال غرضه منى فى الحال فيخرج اليه أبى فيقتله ويعلم انه غير صالح لى

لدناءته وعدم صبره . أما أنا فحتى الساعة لم أمل قط الى واحد من جميع الذين رغبوا فى ولا أحببت قط واحدا منهم أما انت فحالما وقعت عيني عليك توسمت فيك العقل والكمال والحكمة فرمانى الله بالرغم منى فى هواك ولهذا لا يمكن لي أن أسلم بقتلك مالم أقتل قبلك . والدليل انى لم أصبر عليك بل أتيتك اشكو اليك حبي لأصرف واياك هذه الليالى الستة على الحظ والانشراح وفى ليلة الامتحان تتحذر فيرى أبى فيك المطلوب ومن ثم يعقد لي عليك ويتم اقتراننا فلاتخف الآن من محذور فمتي دمت أنا فى قيد الحياة لاتقع عليك أذية .

فلما سمع ابن الملك كلام خطيبته زاد به التعجب وهو غائص فى بحر من الافكار ثم دار بوجهه اليها وقال لها مادام الأمر كما قلت فاصبرى فبعد مرور السبعة أيام ننال المراد ويتم لنا الحظ والفرح ولا يبقى فى سبيلنا مانع ويبقى ناموسنا محفوظا فتأوهت الفتاة وظهرت على وجهها علائم الذل والانكسار وقالت له لماذا أنت ياحبيبي عديم الرحمة والشفقة أيمكن لى الصبر سبعة أيام وانت في قصرى ولم يكن بيني وبينك حاجب فارحمنى واطفي لهيب قلبي باجابة سؤالى ودعنا نصرف ايامنا بالانس وأنا على ثقة من اننا نقترن حلالا ولا يفرق بيننا الا الله سبحانه وتعالى فلا تدعنى حزينة قانطة من الحياة .

ولما رأى ابن الملك حالة الفتاة وشدة ولوعها به وقلة صبرها على قربه كاد يعذرها ويجيب سؤالها ولكن فى الحال خطر على ذهنه وصية أبيه وهى (لا تعمل أمرا ربما تندم على عمله فيما بعد ولا تعجل بعمل الخ) وعليه فقد عاد إلى ممانعة الفتاة وقال لها لا أمل فى هذه الليلة الى اجابة سؤالك فاتركيني واذا كنت لاتزالين مصرة على طلبك فانه خير على قتل نفسي من أن اجيبك الى مرادك خفية عن أبيك وانا ضيفه وفي يده حتى لو كنت أينما كنت .

فلما رأت الفتاة عناد ابن الملك وامتناعه الى هذه الدرجة انفطر قلبها وغاب رشدها فرمت بنفسها على قدميه ترجوه وتسأله الرحمة ولما رأى ابن الملك أن الفتاة لاتقنع ولاتتركه أخذته الحدة والغضب وقال لها ألم اقل لك اذهبي عنى هذه الليلة فلا يمكن لى ان اجلس واياك دقيقة واحدة بعد فاما أن اقتل نفسي واما ان تذهبي عني واذا كنت لاتذهبين عنى فها أنا ذاهب الى حجرة الضيافة حيث كنت فى النهار ثم خرج وهو بحدة وكدر الا أنه مالبث ان اخرج رجله من الباب

حتى رأى نفسه وقفا تجاه الملك والسيف مسلول فى يده فخار واضطرب ورمى نفسه على أذيال الملك يقبلها بدهشة ورعب .

وكان الملك لما فارقه ذهب لغرفته وهو يفكر فيه وفى نجابته وذكائه وجماله وقد وقع فى قلبه موقعاً عظيما وخاف من أن تقوده الظروف الى قتله فأراد أن يذهب الى ابنته ويخابرها بشأنه وقد خطر على ذهنه أن يزوجه بها بدون أن يمتحنه اذا تبين له انه شريف ومن أصل عال فخرج من غرفته وقبل ان يصل لغرفة بنته وجدها سائرة تحت الظلام فشغله أمرها فانزوى الى أن مرت فتأثرها حتي دخلت على ابن الملك فوقف خلف الباب وقد اشهر السيف بيده وسمع كل مادار بينهما حرفا بحرف .

ولما رأى أن ضيفه قد ارتمى على أقدامه قبض عليه من يده وأنهضه عن الأرض وقبله فى جبينه وأدخله الى الداخل وقال له وهو مملوء من السرور والفرح لقد أحسنت أيها الشريف الذات والصفات بالحقيقة أنك ابن حلال فهيم عاقل لا يوجد لك ثان بين الناس ولم ترعيني قط مثلك فأنت هو الرجل الذى أبحث عنه وأسعي وراءه وارغب فى مصاهرته وأتطلبه زوجا لبنتي . ومن بعد أن أكثر الملك من مدح ابن الملك واطنب فى صفاته أحضر في الحال الفقهاء فعقدوا لابن الملك على بنته . ثم تركهما وحدهما وانصرف الجميع وبقي العاشقان فى خلوتهما يقطفان ثمار الحب ويتلذذان بوصال بعضهما البعض وداما على حظهما حتى الصباح فخرج ابن الملك للحمام فاغتسل وجىء له بالثياب الفاخرة فلبس وخرج الى القصر واذا بالأفراح قائمة والموسيقى تعزف وكان الملك من فرحه قد بكر الى اعداد الافراح واخبار حاشيته ورجال معيته بزواج ابنته فتوارد المهنئون يهنئون الملك وصهره وهم يتعجبون كيف أن يزوج بها في أول ليلة ولم يجسر أحد أن يسأل عن السبب ولكنهم قد أحبوا ابن الملك جدا ومالوا اليه وعجبوا من سياسته وحكمته وبقي ابن الملك عند عروسه على البسط والانشراح فهذا ماجرى لابن الملك الثاني فلنتركه فى فرحه لانكدر له عيشا .

أما ابن الملك الأصغر فانه بعد أن انفصل عن أخيه سار فى الطريق الايمن حتى مساء ذلك اليوم فعرج الى قرية هناك بات فيها تلك الليلة وفي صباح اليوم التالى نهض من نومه واستأنف المسير حتى المساء فبات فى احدى القرى وفي اليوم الثالث عاد الى التقدم فى طريقه ودام على ذلك مقدار خمسة وعشرين يوما

وفي اليوم السادس والعشرين وصل الى مدينة كبيرة واسعة لم ير في زمانه مثلها قط فسر لذلك لأنه كان قد أعياه التعب وشدة السير فتاقت نفسه الراحة ولذلك عزم على البقاء بضعة أيام في تلك المدينة حبا في الراحة والفرجة عليها فدخلها في الحال واستأجر له غرفة في أحد الفنادق وصرف تلك الليلة في الخان حتى أقبل الصباح فخرج الى الحمام ولبس ثوبا نظيفا جديدا وأخذ يطوف الأسواق والشوارع متأملا وباحثا في كل مايراه وكانت المدينة جميلة جدا وعامرة وهي محاطة بالحدائق المعشبة المثمرة والمتنزهات الغناء الزاهرة وأبنيتها جميعها من الحجارة البيضاء المرمرية مزينة ومزخرفة بأبدع النقوش وطرقها ومسالكها واسعة ومعتدلة على ترتيب هندسي جميل مما يدل على أن ذوق أهاليها بديع وأنهم على جانب من العقل والذكاء والرقة والأنس فأعجبته جدا ولذلك دام على التطواف والتنقل من جهة إلى ثانية حتى قادته الصدف إلى جمع غفير من نساء ورجال يسيرون مجتمعين الى جانب بعضهم البعض فتعجب ابن الملك من كثرتهم وقال في نفسه يلزم أن أسير بينهم لأرى الى أين ينتهي بهم المسير وأي جهة يقصدون فاختلط بينهم وسار معهم وفيما هو سائر قال لأحدهم الى أي جهة ياترى تسيرون فأجابه الرجال هل انت غريب الديار حتى تجهل المكان الذي نقصده .

أجاب نعم لقد دخلت المدينة مساء أمس ولم أكن أعلم قط . قال ألم يخبرك بعد أحد فزاد تعجب ابن الملك وقال له كلا فاني لا أعلم ولا سمعت ولذلك رجوتك أن تخبرني فقال له اعلم أنه يوجد في هذه المدينة ملك عظيم الجاه عالي القدر وله بنت وحيدة جميلة لا نظير لها قط في الحسن والذكاء والفراسة والعلم والآداب ولما لم يكن له أولاد غيرها أحبها كثيرا وفي يوم ولادتها زين المدينة وقام بالولائم والعزائم وكان يوم فرح عظيم لم يسمع بمثله وتربت بالنعمة والدلال حتى بلغت الثانية من العمر وكانت وهي في حالة الطفولة يشاهد عليها من آثار الحسن والجمال ماينذر وجود مثاله في هذه الدنيا فانعطفت اليها كل أميال الملك وكانت كلما تقدم بها السن ازدادت محبة أبيها لها ولما أدركت التاسعة عين لها المعلمين والاساتذة لتلقينها العلوم بأصولها وفروعها وكانت الفتاة من فطرتها على جانب عظيم من الذكاء والفطنة فلم تصل الى الرابعة عشرة حتى برعت في جميع العلوم والفنون ثم أحضر لها والدها الفلاسفة والحكماء من البلاد الغريبة وكان كلما سمع بفيلسوف ماهر أحضره وغمره بالانعام وعين له الرواتب وخصصه لتعليمها كي لا يوجد

فى الدنيا من يفوقها علما وأدبا كما لا يوجد من يفوقها حسنا وعقلا والغاية أن بنت الملك برعت فى كل فن وتقدمت فى كل علم وأتقنته ووعته حتى علم الفلك والجفر والرمل والحساب والهندسة والطلاسم والسحر فقد أتقنتها جميعها حتى أدركت درجة الكمال فيها .

أما جمالها فقد يتعسر على وصفه تماما ولكن لكى تعلم فى أية درجة هى من الحسن أقول لك إن لا نظير لها في الدنيا وأنا أراهن على ذلك فأنها لما أدركت الرابعة من عشرة من عمرها كان من الصعب على نساء قصر أبيها وجواريها أن ينظروا اليها دون أن تأخذهن رعشة عصبية فاذا كانت النساء تهيم وتجن عشقا لجمالها ودلالها فكم بالحرى الذكور وقد شاع في الدنيا خبر حسنها وجمالها وآدابها وكمالها فكانت آية الحسن الكبرى وفريدة فى الجمال والكمال وهى ربعة القامة مندمجة الجسم متناسقة التركيب بجبين أبيض وحاجبين سوداوين وعينين (أجلبن الهوي من حيث أدرى ولا أدرى) إذا مشت يحمل لها جواريها ذيل شعرها خوفا من أن تدوسه بأقدامها وخدين موردين وأنف أقنى وفم كخاتم سليمان قد ملكها الله اياه لتأمر به على الانس والجان فتطيعها ولها عنق وصدر لا أقوى على وصفهما وليس النظر كالعيان فلا أنا ولا أفصح العالم لسانا وأقدرهم علما يقوى على وصف جزء من جمالها وقد أعطيت وحدانية المحاسن فأرجوك أن تعذرنى اذا كنت لا أعرف أن أصفها لك فسوف تشاهد بنفسك صورتها وتتيقن صدق كلامي . وكما أنها وحيدة فى الحسن والبهاء فريدة فى العلوم والفنون فكذلك لها معرفة وشغف بالصيد والقنص وقد برعت فيهما . فهى تخرج فى الاسبوع مرة منتخبة لمرافقتها مائة أو مائة وخمسين فتاة وتوسع التجول فى الغابات والاحراش . ولما كانت محبة أبيها تزداد لها اليوم بعد اليوم فهو لا يخالها قط بوجه من الوجوه بل يظهر لها رغبته فى كل ما تعمله ولا سيما فى خروجها للصيد مع جواريها فيركبن الجياد من الخيول ويخرجن الى الصحارى والوديان بغير حجاب ولا نقاب .

ولهذا عندما يعلم الناس بيوم خروج بنت الملك يتجمهرون ويتجمعون منذ الصباح ذكورا وأناثا شبانا وشيوخا وأطفالا ويصطفون من المدينة حتى الصحراء بترتيب وانتظام ينتظرون مرور بنت ملكهم (على أنه لو كانت بنت الملك قبيحة المنظر وارادت الخروج لاجتمع الأهالى للفرجة عليها فكم بالحرى وبنت الملك

أجمل فتاة صنعتها القدرة الالهيــة وأبدعتها يد الباريء المصور سبحانه وتعالى والآن تري المتفرجين) . ولو بقيوا على هذه الحالة سنتين لما اكتفوا من النظر إلي ملاكهم السماوى وربما تاقت نفوسهم إلى زيادة الوقوف والتمتع برؤيتها فلا تكفيهم الأيام والشهور والسنون بل كلمازاد الوقوف والنظر فيها كلمازاد الشوق الى جمالها والاستصباح برؤيتها ولقد برعت فى فن الصيد والقنص براعة لم يصل اليها أشد الفرسان بسالة وأقداما فهى تنقض على صيدها مهما كان كما ينقض البازي على أضعف العصافير ولم يكن للاهالى حديث فى حضورهم وفى أسفارهم وفى مخازنهم وفى بيوتهم وفى أشغالهم وفى راحتهم الا التــلذذ بأخبار بنت الملك وأعمالها وكلامها . ولذلك انتشر صيتها فى الضواحى وبعد الى الممالك الأخرى فأخذ الشبان وأولاد الملوك يتقاطرون من كل الجهات للتمتع برؤيتها فزاد عشاقها وكثر طلابها ولــكن دون فائدة لاتميل الى العشق وتمنعها الأنفة والكبرياء من النظر الى وجه أى فتى مهما كان وعلومها وآدابها كانت تصــونها من التفكير فى أمر الحب والاشتغال بأمور ترى نفسها مضطرة للتنزه عنها لأن الله رفعها عن أبناء جنسها ذكوراً وأناثا حتى أصبحت معجبة بنفسها غاية الاعجاب فلم تر فى كل من رأتهم من هو كفء لها أو يليق بأن يكون زوجا ومقارنا لهــا وكان أكثر العلماء والحكماء والفلاسفة يجتمعون بها فتباحثهم فتتغلب عليهم وتفحمهم وتخضعهم وتذلهم لسلطان علمها ومعرفتها وقد وضعت بسحرها بعض طلاسم حارت فيها العقول . وذلك أنها فكرت قائلة فى نفسها حيث أن شهرتى وصيتي قد أحاطا بأكثر أقسام الدنيا فيلزمنى اثبات ذلك والاثبات يكون باظهار عدم ميلي الى الذكور فاصنع طلسما والشاب الذى يقدر على ازالة هذا الطلسم أرضى بالتزوج به وأقبله رفيقا وشريكا لحيــاتى لأنه يكون ولا ريب أكثر منى علما ومعرفة . وبعد ذلك أمرت ببناء قلعة على جبل كبير عال قريب من المدينة . وبنت حولها حائط ولــكن أى حائط إنه حائط كالجبل فكأنها أقامت جبلا على جبل فلم تر عين ولا سمعت أذن أصعب منه متانة ولا أكثر ارتفاعا وحينئذ عملت عمارة بالسحر والطلسم في داخل الحائط وعملت من الحائط الى أسفل الجبل عدة طلاسم سحرية حتى أصبح من المستحيل أن يقدر أحد من البشر على الصعود إلى الجبــل .

ومن بعد أن أتمت الفتاة كل هذه الاعمال أبانت لأبيها غايتها وأن مرادها

أن تقيم داخل القلعة فكل من يقدر أن يبطل سحرها وطلسمها يقوم بأربع شروط شنتها وعينتها كانت له زوجة وكان لها بعلا وسألت أباها أن يرخص لها فى ذلك ولا يخالف ارادتها فوافق أبوها علي ما أرادت لأنه كان يحبها كثيرا ولأنه كان يعلم أيضا أنها أكثر أهل زمانها عقلا وأرفعهم حكمة فلا تفعل الا صوابا . ومن ذلك الحين دخلت بنت الملك الي قصرها الجديد وقد أخذت معها نحوا من مائة وخمسين من الخدم والحشم والجواري والعبيد ولها الآن مقدار سنة فى تلك القلعة وكانت قد صورت نفسها بيدها صورة بديعة وعلقتها علي أشهر أبواب المدينة وكتبت تحتها شروطها الاربعة أما الأهالي فقد يئسوا جدا من تحاميها منهم وامتناعها فى تلك القلعة ولما عجزوا لم يروا وسيلة الا الاصغاء وقنعوا بالتفرج على تلك الصورة والتلذذ بمرآها فصاروا في كل أسبوع يذهبون مرة الى المكان الذي علقت عليه الصورة وكثير منهم من يذهب يوميا لمشاهدة الصورة وها نحن الآن فى طريقنا إلى ذلك المكان نسير اليه بأجمعنا لنرى صورة بنت ملكنا التى أحببناها وعبدناها .

فلما سمع ابن الملك من الرجل هذا الكلام تعجب غاية العجب وبعد التبصر والتروي حمله الميل والرغبة وما ركب فى طباع الشباب من حب الاستطلاع والبحث على السير ليرى تلك الصورة وهل هى على الصفة التى سمعها أو مبالغ فيها وقد رأى من نفسه وقلبه انجذاباً الى تلك الفتاة وتاقت نفسه إلي رؤية تلك الصورة بدون ابطاء ولا تريث فأسرع فى المشي .

وعند وصول السيدة نسربن بوش بنت ملك صقلاب صاحب الاقليم الرابع الى هذا الحد رمت نفسها على زوجها بهرام شاه ولفت يديها الى عنقه وضمته الى صدرها تقبله فى خديه وعينيه ولما كان بهرام شاه يحب استماع الحكايات والقصص من طبعه كان مأخوذاً بهذه الحكاية مصغيا لاستماعها زيادة عن سواها وكان يدقق فى كليات الاشياء وجزئياتها وقد بهت من ذكاء بنت الملك وتفردها بالعلم والجمال وتشوق للاستطلاع عما سيكون لابن الملك معها فهل ينال مراده من زمانه كما نال أخواه ولذلك أسرع الي ضم نسربن بوش الى صدره وتقبيلها فى فمها وعنقها وصدرها وخدها وجبينها وقال لها لقد أحسنت ياروحي ومنية فؤادي اذ علقت قلبي وفكرى بهذه الرواية فأطلب اليك أن لا تنقطعى عنها وتتركيني فى شغل أفكار لأجل ابن الملك .

فتبسمت نسربن بوش ومالت عجبا ودلالا وقالت له أرأيت يابهرامي المحبوب اعراضك عني وتمسكك بالحكاية حتى لم يبق لنا وقت للانس والصفا فاذا كنت لاأنقطع عن الحكاية ففي أي وقت نقطف زهرة الحب وصفو العيش أواه من من غدر الزمان فانه ينتزع مني فرحة الهناء ويختلس مني ساعة حظ كنت أتمناها مع الحبيب . وكان من غاية بهرام أن يستمع نهاية الحكاية قبل كل شيء ولكن خوفا من أن يكدر صفو هناء زوجته عاد فضمها اليه ثانيا وثالثا وأكثر من تقبيلها وملاعبتها ثم أخذ كأسا بيده وسقاها اياها ورأسها على زنده وبعد أن شربته استأذنته وأخذت كأسا وسقته أياها مقابلة بالمثل ثم قربت شفتيها من شفتيه فامتصهما فى مكان النقل (المزّه) حتى امتلأ فمه عسلا وذاق حلاوة ولذة كاد يغيب عن هداه منهما ثم بعد أن صرفا نحوا من نصف ساعة على تلك الحال عاد بهرام شاه فطلب الى زوجته أن تتم الحكاية فأجابته الى طلبه وقالت .

ولما وصل ابن الملك الثالث مع المتفرجين من باب المدينة فحالما وقع نظره على صورة بنت الملك انعطف قلبه اليها وقد اندهش من حسنها وذهل من فرط جمالها وبقي نحوا من نصف ساعة محدقا فيها يتأمل تركيب جسمها وبديع تكوين جمالها وقوة جاذبيتها ويتعجب من حسن صنعتها ومعرفتها العالية بفن التصوير وأما الاهالى فمنهم من كان يتأوه ويتحسر ومنهم من كان يعض شفتيه حسرة وندما فيدميهما ومنهم من يبكي ومنهم من يكفر ومنهم من لا أعلم ماذا كان يعمل فعذرهم ابن الملك على أعمالهم لأنه يستحيل على ابن انثي أن يراها ولو مرة ثم يعود يملك عقله ولو لم يكن قد أعطى نعمة الصبر وترفع عن أبناء جنسه من البشر بالعقل والحكمة والتدبير أكثر مما فعلوا .

وفيما كان ابن الملك يدقق فى حسن الفتاة وبراعة التصوير وقعت عينه على لوحة معلقة تحت الصورة مكتوب عليها ما يأتى :

(ايضاح)

ان جميع ابناء البشر فى هذه الدنيا ذكورا وأناثا يتمسكون جميعهم بحبال الراحة والسعادة فاذا نظرنا إلى أحاد الناس عموما نراهم يرغبون فى صرف أوقاتهم بالانس والصفا . فبنوا البشر ينقسمون الى قسمين يقال لأحدهما الخواص وللآخر العوام ولأجل ذلك اذا كان الشخص المعدود من الخواص يطلب الراحة والسكون اللازمين فعليه أن لايختلط بالعوام وكذلك صنف العوام اذا

مال أحدهم الى الراحة الواجبة له في حالته فعليه أن لا ينظر الى الخواص ولا يتقرب منهم يعنى أن كل جنس ينبغى له أن لا يعاشر الا أبناء جنسه ليجد الراحة والسعادة ومن المحال أيضا معاشرة الجاهل للعاقل والعاقل للجاهل لأنها لا تكون باعثا للراحة والهناء كمعاشرة بنت الملك لابن الزبال أو بنت الزبال لابن الملك . فانها لا تأتى بالراحة والسعادة لهما . ولكن لو عاشر الجاهل جاهلا والعاقل عاقلا يجدان الراحة والهناء بسهولة وعليه فاذا كنت أرى نفسي بنت ملك عظيم وقد أعطيت من العقل والعلم والحكمة والذكاء ما جعلنى أري من الواجب على أن أعيش مع من هو مثلى فلكي أجد قرينا فى كل معنى موجود فى وضعت هذا الطلسم فمهما قال العالم عنى فليقل فليس من شأنى ولا يهمنى فكل طالب يرغب فى فما عليه الا إزالة السحر والطلسم وأن يراعى هذه الشروط الاربعة الآتية وهي :

(الشرط الاول)

يلزم المباشرة بفتح هذا الطلسم في الساعة كذا من اليوم كذا المخصوص وإذا فرض انه لم يراع هذا الشرط وأمكن فتح الطلسم فأقبل .

(الشرط الثانى)

على الطالب من بعد فتح الطلسم أن يأتى الى حد الحائط الكبير ويقف هناك

(الشرط الثالث)

عندما يأتى الحائط عليه أن يبحث عن بابه فى أى جهة هو ويفتحه .

(الشرط الرابع)

اذا أمكن وجود الباب وفتحه فعليه أن لا يدخل الى الداخل بل ينزل الى أسفل وينتظر إلى حين مجىء أبي وآتي معه وأنا متحجبه وأسأله أربع أسئلة فاذا أجاب عليها حق الجواب رضيته بعلا لى وشريكا لحياتى ومن لا يراعى هذه الشروط ولا يقدر عليها سيحل به الاسف والندم إذ الموت أمامه فى كل دقيقة .

وبعد أن قرأ ابن الملك الاعلان المذكور غرق فى بحر من الافكار وهو محدق بالصورة يتأمل فيها وهو يتأوه ويتمنى الحصول عليها ثم ان الجماعة لما عادوا من الطريق الذي جاؤا فيه خرج معهم وتلك الصورة نصب عينيه ويتعجب من اللطافة والظرافة اللتين شاهدهما في الصورة ويسبح الله على غريب صنعته . وكان يقول بنفسه فى الحقيقة اذا كان يوجد فى الدنيا جمال ففي هذه الفتاة فيحق لها أن تباهي وتفتخر على أبناء جنسها .

ومنذ تلك الساعة شغل ابن الملك بالفتاة بمجرد النظر الى صورتها وتعلقت أفكاره بالحصول عليها وزرع فى قلبه بذرة حبها فبدأت بالنمو يسقيها بمياه الأمل بالفوز إذا ساعدته العناية ولم تكن تبرح عن فكره لحظة واحدة وانفرد بنفسه ولزم مسكنه وما زال يقدح زناد الفكر فى تدبير نفسه حتى أشرق الصباح فنهض من فراشه ولبس ثيابه وخرج الى ذيل ذاك الجبل يتمشى عنده ليرى الطريق المساعد لنوال غايته فوجد حوله جماجم الطالبين مطروحة بعضها فوق البعض والشبان الذين يأتون ويقعون في ذاك الميدان يئنون أنين الموتى فى حالة النزاع وما من مساعد لهم أو معين . فتأثر ابن الملك عند نظره هذا المنظر المحزن وتمنى لو أنه لم ينظر ذلك المنظر المفتت للاكباد وبعد أن طاف قليلا باحثا ومدققا رجع الى مكانه . وأخذ يفكر قائلا فى نفسه كيف العمل يا ترى وكيف أقدر على فتح هذا الطلسم وكان تارة يقول الأوفق صرف النظر وعدم التفكير فى هذا الشأن والسفر عن هذه المدينة والخروج منها فى الحال للخلاص من مرض الغرام وطوراً يتصور أمامه ذاك الجمال الباهر والحسن الزاهر فيهون فى عينيه الموت ويقول كلا كلا لا أتركها وأسافر وأعجز عن الحصول عليها وهي بشر مثلي ومن اللازم الثبات فى الحب والحكمة فى التدبير والتأني فى العمل فاما أن أنال غايتي وأتزوج بها وأخلص الناس من أيدى سلطتها وإما أن أضم إلى أولئك الفتيان المساكين الذين قد استشهدوا فى سبيل حبها وهواها .

وعلى هذا الوجه كان ابن الملك يصرف الليالي بالتفكر والاهتمام وتخطيط الطرق اللازم اتخاذها وفى النهار يذهب الى الجبل فيطوف حوله باحثا فاحصا فمن الجهة الواحدة كان العشق والغرام قد أشغلاه وتركاه فاقد الراحة ومن الجهة الثانية كان معظم همه إيجاد الوسيلة الموصلة لازالة الطلسم وفتحه . وعند فراغ الوقت (ولكن من أين للعاشق الولهان فراغ وقت) كان يقول هل يا ترى أتقهقر أمام هذه الفتاة وهل تفوز علي بعلمها ومهارتها كما قويت بسلطان حسنها اذا كانت تفتخر بكل ذلك فلأي شيء لا أفتخر أنا عليها فاذا كانت هى بنت ملك فأنا ابن ملك واذا كانت هي شابة فأنا شاب أيضا واذا كانت هى ذات علم ومعرفة وفضل فأنا أيضا تعلمت كل علم وفن مع أنها هي فتاة وانا رجل أتمكن أن أغلب منها . من يعلم . لا يلزم أن أخافها فاما أن أغلب واما أن أغلب والله يفعل ما يشاء .

وعندما كان يطوف حول الجبل ويرى عنده جماجم الفتيان الذين طمعوا فيها كان يصعب عليه الأمر ويقول وا أسفاه على هؤلاء المساكين لقد قادهم الغرور والعشق ولعب بهم تيار الطمع والعنفوان مثلي فهل يا ترى يوجد بينهم رأس شيخ كلا بل رأس شبان يعملون مالا يعلمون ولا يفكرون في عواقب الطيش والحمقة .

وبقي ابن الملك على هذه الحالة مقدار شهر لاهم له الا التفكر والتدبر لايجاد وسيلة وقد أصر كل الاصرار على المباشرة في السعي لنوال مراده وخلاص الفتيان والشبان الجهلاء من عاقبة غرورهم وفيما هو على ذلك خطرت في ذهنه وصية أبيه وهي (اذا وقعت في أمر صعب ومشكل ولم تقدر أن تتوصل الى حله من نفسك فابحث عن شيخ عاقل خبير محنك فاستشره) ولما لاح في ذهنه هذا الخاطر رآه عين الصواب فأخذ من تلك الساعة يختلط بالناس ويصاحب ذوى الاختبار والعلوم ويبحث عن غرضه بينهم وكل الذين اجتمعوا وصادفوه كانوا يعجبون من ذكائه وفطنته ويتحيرون من سمو معارفه وعلومه وآدابه حتي اشتهر وذاع صيته وتمكن حبه من القلوب .

ففي ذات يوم بينما كان مجتمعا مع بعض أصدقائه وقد أخذوا يتفكهون بالأحاديث والاخبار ويتطيبون بذكر الملوك والوزراء وأفاضل الرجال سأل ابن الملك ألا يوجد يا ترى فى هذه المدينة رجل شيخ حسن خبير بأحوال العالم حكيم فى أعماله وأقواله فأجابه أحدهم انه يوجد فى مدينتنا رجل شيخ فاضل وهو أكبر من فى المدينة من الرجال والنساء ومع أنه مسن لدرجة أنه لم يبق قادرا على التحرك بسهولة فهو قادر على الكلام بحكمة وفصاحة غريبتين وهو مقيم فى المعبد الفلانى خارج المدينة وأقيم لخدمته عدة أشخاص من نساء ورجال وفضلا عن أنه محنك ومختبر ومجرب لكل أمر فهو غاية في العلوم والمعارف .

فسر ابن الملك عند سماعه هذا الكلام وقال لهم على ما أظن أن زيارة رجل كهذا لاتخلو من فائدة وأرى من المناسب أن نقصده ذات يوم فأظهروا امسرتهم بذلك وقالوا له إننا لا نمتنع عن مرافقتك اليه عندما تريد قال اذاً نذهب في الغد فوافقوه وعادوا إلى ما كانوا عليه من حديثهم الى أن كان المساء فتفرقوا الى أماكنهم وسار ابن الملك الي منزله فبقي فيه الي الصباح فنهض وصلى واغتسل ولبس ثيابه وانتظر الي الوقت المعين وحينئذ سار الى أصحابه ومشوا جميعهم

ولما وصلوا اليه قبلوا يديه بكل احترام وأدب وجلسوا . فنظر ابن الملك الي الشيخ فرأى النور يتدفق من وجهه وذقنه بيضاء كالثلج تغطى صدره الى حد منطقته وشعره الابيض يتدلى على أكتافه كعقود من لؤلؤ فتوسم فيه الخير ولاح له من هيئته أنه من ذوى العلوم والمعارف وأنه لاقي فى زمانه من حوادث الدهر شيئا كثيرا وخط الزمان على جبينه أثراً لعجائبه وغرائبه . وكان الشيخ قد نظر الي وجه ابن الملك المرة بعد المرة فأدرك أنه غريب وأنه على جانب رفيع من الذكاء والنجابة . فقال له مرحبا بك يا بنى لقد حللت بلادنا على الرحب والسعة وأخذ يتأهل به ويستفسر منه عن صحته وأحواله بكمال اللطف والحب فأجابه ابن الملك بأحسن جواب يمكن أن يصدر من أعقل عاقل . ومن بعد مرور ساعتين نهض مع رفاقه فودعوا الشيخ وسار كل منهم بطريق . وفي صباح اليوم الثانى سار ابن الملك الي الشيخ منفردا فتأهل به الشيخ ورحب وأجلسه الى جانبه ودار بينهما الحديث ولما رأى الشيخ ماهو عليه من العلم والمعرفة والذكاء والفطانة والفصاحه تعجب غاية العجب وأدرك من سيمته ومن هيئته أنه من أولاد الملوك .

وبقى ابن الملك على ذلك المنوال مدة أسبوعين يأتى بيت الشيخ كل يوم ويتحبب اليه ويظهر له كل الميل والرغبة فى خدمته واقتطاف الفوائد من رياض علومه وفى اليوم الاخير التفت اليه الشيخ وقال له أى ولدى أنى أظن أنك معلق آمالك ببنت الملك وراغب في الحصول عليها ولهذا أتيت هذه المدينة . فأجابه كلا يا سيدى إنى لم آت المدينة لهذه الغاية ولكن بعد أن دخلت المدينة تصادف لى فيها وقوع بعض حوادث أوجدت فى الميل والأمل وبعد التفكر في هذا المعنى أكثر من شهر وطدت الامل على سلوك هذا السبيل ورأيت من اللازم فى الأول أن آتى اليك وأستشيرك وأستنصحك وأعمل برأيك وقولك . فسكت الشيخ عند سماع كلامه وأخذ يفكر مطرقا ثم رفع رأسه وقال فليساعدك الله على مرادك وانى فى الواقع أرى على ناصيتك أثر الادراك والدراية وهذا الذى يجعلني أعلق الأمل بنوالك مقصودك لأن كل الذين جاءوا المدينة لهذه الغاية رموا بأنفسهم في بحور الهلاك به غير ترو ولا تأن ولم يشاور أحد منهم أحدا من الناس قط وبالنظر لكونك قد تمسكت قبل المباشرة بالعمل المشاورة وأخذ رأى من هو أكبر منك عمرا وأكثر خبرة وتجربة ستفوز لكن لا يخفاك يابنى أن هذا الذى

تطلبه كثير الصعوبة والسير فى طريقه كثير الخطر فهذه الفتاة تزيد عن الناس عموما فى هذه المدينة وفى غيرها أيضا علما وذكاءً فصنعت طلسما لا يمكن فتحه قط لأنه لا يوجد له طريق غير الصعود على الجبل والصعود من الطرف الآخر مستحيل وغير ممكن وقد وضعت فى هذا الطريق قبل الوصول من الحائط ثلاث عمليات سحرية أولها أنك فى حال ذهابك ترى الطلسم الأول وهو هيكل معمول بادراك وصناعة غريبة فى يده سيف مشهر دائما وحالما يقرب منه الانسان ويريد أن يجتازه يقع السيف بقوة الصناعة على عنقه فيقطعه ويقع رأسه الى أسفل الجبل فجميع الذين جاءوا فى طلب ابنة الملك أضاعوا أروحهم فى هذا السبيل وهذا هو السبب الذى حملنى على أن أقول لك ان إزالة هذا الطلسم من الأمور الصعبة والخطرة .

ولما سمع ابن الملك من الشيخ هذا الكلام أطرق قليلا وهو يفكر ثم رفع رأسه وسأله ألا يوجد وسيلة إذاً فأجابه اعلم يا ولدى أنى عشت كثيرا فى الدنيا ولاقيت حرها وبردها ودرست العلوم قليلها وكثيرها ولكنى لم أدرس علم السحر والعرافة ولهذا لا يقدر عقلى أن يدرك شيئا فى هذا المعنى . ومع أن هذا الكلام قد أوقع ابن الملك باليأس وجرّ له ضيق الصدر غير أنه تصبر ولم يقطع الأمل وعاد فسأله الشيخ ألا تعلم على من أخذت بنت الملك علم السحر والطلسم ومن هو معلمها الذى علمها اياه فأجابه يستحيل وصولك اليه لأن بنت الملك بعد أن درست علم السحر عليه وأتقنته اتقانا تاما لم يعد يرى قط ولا علم أحد الى أين أرسلته والحاصل اصغ لى واقبل منى واخرج من رأسك هذا الوهم ولا تجر البلاء على نفسك فأظهر ابن الملك الطاعة وشكر الشيخ لحبه اياه ونصيحته له ولكن كرر السؤال عليه قائلا وهل لا تعلم أيضا كيف عمل هذا الطلسم وفى أى زمان عمل . فأجاب الشيخ ان الذى أسمعه أنه لما كان الصعود الى الجبل صعبا وغير ممكن وبالنظر لعدم وجود طريق أيضا من أية جهة كانت حملت الناس على أن يبذلوا غاية مافى وسعهم لحفر خندق من طرف الجبل وعملت فى داخل الخندق سلالم وحالما يبتدىء الانسان بالصعود عليها يرى هيكلا فى يده سيف وقبل أن يقرب الانسان من الهيكل بعشر درجات ينجذب السيف من يد الهيكل الى عنقه فيقطعه ومن بعد ذاك الهيكل أسد لأنه إذا أمكن الانسان التخلص من سيف الهيكل وتقدم الى حد أن يبقى بينه وبين الأسد خمس درجات يتحول

الأسد ويخرج من فمه ماء فاذا أصابت النقطة الواحدة الرجل قطعته اربا اربا ومن بعد هذا الأسد هيكل أفعي عظيم ينفث النار من فمه فالذي ينجو من السيف والماء لا يقدر أن ينجو من الحريق . فهذا جميع ماأعرفه عن بنت الملك وقصرها والسلام

فسأل ابن الملك الشيخ قائلا وإذا لزم شيء لبنت الملك من المدينة فكيف يأتون به اليها وبأى طريق . فأجاب الشيخ انه يوجد لذلك خادم مخصوص مطلع على ذلك وعارف قاعدة هذا السحر ففي أى وقت لزم لها شيء من خارج قصرها أرسلت ذاك الخادم أحضر لها ما تطلبه . واذا فرض أن الخادم غلط أو أخطأ مرة هلك ونفذ فيه حكم الطلاسم وقد قتل حتي الساعة نحو عشرة أنفار من خدمها ممن زاغوا عن الطريق ونسوا ماأهدتهم اليه .

فحزن ابن الملك عند سماعه كلام الشيـخ ونهض من أمامه فودعه وسار الى مكانه يائسا مفكرا .

وعندما وصلت نسرين بوش من حـكايتها إلى هذا الحد سكتت ونهضت فأخذت كأسا حمراء ومملوءة بالخمر الأحمر الممزوج بالسكر وتقدمت من بهرام شاه وهي تمايل وتتحلى بحلل البهاء وتتيه بثياب الغنج والدلال فناولته اياه فشربه ثم تبسمت وقالت له كيف يا ترى حكايتي يا زوجي وسلطانى المحبوب . فأظهر لها استحسانه وقال لها فى الحقيقة إنها حكايه نادرة بعجائبها وغرائبها منها يتعلم الانسان فضائل شتي ولـكنها تستجلب خاطر السامع حتى لا يطيق صبرا عن استماع باقيها فهل ياترى ان ابن الملك الثالث يبطل سحر بنت الملك وينال وصالها ويبلغ غايته منها . فأعادت نسرين بوش التبسم وقالت الأفضل أن لا أخبرك لأنى اذا أخبرتك بذلك تتخلص من الانعطاف والميل الي استماع تتمتها أمكن للانسان وهو فى نصف الحـكاية أن يخبر بآخرها . فقال لهـا إذا يا حبيبتى وساكنة فؤادى أنهى الحكاية وخلصينى من الارتباك والتعلق ثم ضمها إلى صدره وقبلها في خديها وعينيها ورجاها الاسراع فى اتمام حكايتها . وبعد أن قابلته بالمثل قالت .

ثم إن ابن الملك عندما فارق الشيخ وعاد الى مكانه صرف مدة وهو يبنى فى فكره ويخطط طرق الوصول الي غايته والتغلب على من سلبت لبه وقلبه قبل ان يرى جمالها الحقيقي وكان كلما رأى صورتها تتجدد فيه الرغبة والمحبة وتقوى فيه الآمال فيوطد العزم على عدم الرجوع عن غايته ولـكنه كان عندما يذهب

الى الجبل ويشاهد جماجم عشاقها الذين أهلكهم عشقهم وغرامهم ولم يقدروا على نوال مرادهم يأسف على نفسه ويفتر عزمه فيقع فى الارتباك والحيرة وتزيد لديه المصاعب والمتاعب فيرى التأنى والامهال والاتكال على مدبر الاحوال من أهم الأشياء فيصبر ويزيد فى البحث والتروي والفحص فيقول فى نفسه لابد لى من ازالة هذا الطلسم لأخلص الناس من شر هذا البلاء ومن الممكن أن أتوصل الى مفتاح هذا الطلسم الذى لابد أن تكون إزالته بواسطة المفتاح إذجعل لكل باب مفتاح وبنت الملك ما أقامت هذا الطلسم حاجزا منيعا يستحيل فتحه بل جعلت فتحه فى الامكان لأنها على جانب من العقل والعلم فارادت أن تعرف الفتى المماثل لها فى الذكاء والحكمة فالذى يرى هذه الطلاسم بعقل وحكمة يراها فى الظاهر صعبة وغير ممكن ازالتها ولكن على ماأرى أنهالابد أن تكون وضعت واسطة لازالتها من أسهل الوسائط وأهونها وأخفت تلك الوسائط تحت حواجز لاتدرك الا بالفطنة والذكاء الفائقين فهى ولا ريب ترغب فى الزواج ولكنها لاترغب إلا الزواج بمن يثبت أنه يماثلها علما وذكاء والدليل على أن فتح هذه الطلاسم هو من الأمور السهلة أن الخادم الذى تعينه للدخول والخروج منها متي بينت له الطريق مع جهله وقلة علمه عرفه وصار يدخل ويخرج دون خوف ولا خشية من الموت نعم لابد لى من الوصول الى الغاية وكشف هذا المعني ورفع الستار عن هذه الخفايا كيف لا وأنا أعتقد أنى وأخوتى بلغنا من العلم والذكاء مالم يبلغه سوانا فى هذا العصر فكيف أعجز عن فتاة مهما ترفع عقلها وعلمها لاتدرك مدارك عقولنا وعلمنا فلابدمن زيادة الفحص ولا بد من التروى والبحث ولابد من نوال المراد ولو طال الزمان ومرت السنون ولا أقدم على الطلب إلا بعد التحقيق والاستيضاح التام واتخذ الله معينا ومساعدا وعلى هذا صرف ابن الملك مدة غير قصيرة .

في ذات يوم نهض وجاء ذيل ذاك الجبل وهو يتمشى ويتفرج حتي وصل من السلم وكان الخادم نازلا الى أسفل السلم فلما رآه قال فى نفسه ألا يمكن ان أقبض على هذا الخادم وأحمله إما بالرضي وإما بالجبر أن يخبرنى بسر هذا الطلسم . ثم فكر قليلا وقال فى نفسه كلا ليس ذلك من الحكمة . وقد يلزم فى هذا المعني الاحتراز من أمرين الأول أنه إذا بلغ الفتاة ذلك تقول انى لا أقبل لان هذا العمل مخالف للشروط المضروبة ومن اللازم أن يكتشف الانسان بدرايته

وفطنته سر هذا الطلسم فيزيله بالقوة من نفسه وعلمه لا بمعرفته من غيره والثانى أن هذا مما يحط من ادراكي لانى اذا كنت لاأقدر أن أفتح الطلسم الذى وضعته فالأجدر بى أن أكون خادما أو بوابا ولا أكون ابن ملك وقد أفرغ أبى الخزائن على تعليمى وتثقيفي وفيما كان يفتكر فى هذا المعني كان يراقب حركات الخادم حين نزوله ويدقق كعادته فى كل حركاته فرآه يدوس على الدرجة الواحدة من ذاك السلم ويترك الثانية فأكثر التدقيق في ذلك فرآه يتحذر كل التحذير من أن يلحق رجله بالدرجة المتروكة فقال ابن الملك فى نفسه ها قد وقفت على بعض السر اذا لم يكن على كله .

ثم انسحب الى زاوية واختفي فيها وبقي يراقب أرجل الخادم ليرى فى النهاية هل يدوس على الدرجة أم لا اذ كان من الواجب أن يعرف ما هى الدرجة التى يدوس عليها وما هى الدرجة التى يتركها ولما وصل الخادم من الأسفل كان دائسا على الدرجة الثانية فقفز الى الارض وترك الاولى فلم يدسها . وحينئذ فهم ابن الملك أنه لا يجب أن يداس على الدرجة الاولى كل هذا والخادم لم يره ولا انتبه اليه قط لأنه كان ينزل على السلم بتمهل وأعينه لاتفارق درجاته خوفا من الغلط وبعد أن صار على الارض سار وغاب عن الأعين فانسحب ابن الملك من مكانه وجاء الى الجهة التي ينتهى اليها أسفل السلم وأخذ فى أن يفحص الدرجة الاولى ويدقق في وضعها وتركيبها فوجد أنها مسمرة بمسامير رفيعة جدا تكاد لا تظهر ولا يمكن أن يراها الا الناقد البصير ثم نظر فى الدرجة الثانية فلم ير أثرا لدسار أو لمسمار وحينئذ أدرك سر المسئلة فسر سرورا لا مزيد عليه ورجع فى الحال الى مسكنه وهو لا يدري ماذا يعمل من الفرح بل كان يقول فى نفسه لقد وجدت السر وفهمت السحر والطلسم على أى طريقة وضعا كل ذلك هو عمل الحكمة والعقل فقد نلت مرادى وخلصت الناس من هذا البلاء .

وفى اليوم الثانى لبس الألبسة الجميلة وسار رأسا الى قصر الملك وقد دخل عليه وبعد أن أدى واجب السلام والاحترام أخبره بأنه جاء من بلاد بعيدة وأنه يريد أن يفتح السحر والطلسم اللذين وضعهما بنته .

فلما رأى الملك هيئته وشاهد فيه آثار النجابة والذكاء وقعت محبته في قلبه حالا فرحب به وأجلسه الى جانبه بالاعزاز والاكرام وغزير الالتفات ثم قال له اعلم ياولدي أنى لاأقبل منك مطلقا ان تتمسك بمثل هذا الامر لأنى حالما رأيتك

أحببتك ولذلك لا أطيق أن أراك واقعا فى حضرة الهلاك فالله يجازى ابنتى فانى وان كنت فى البداية رضيت عن عملها لكن ما كنت أعلم بأنها ستكون باعثا لقتل الكثيرين من عباد الله وترانى الآن نادما على موافقتها ولكن ما الفائدة لم يبق باليد حيلة والآن تفرغ عن هذا الطلب وأبعد عنك هذا الفكر وأعرض عنه فأنا اتخذك ابنا لى ووريثا للملكي فهو أفضل لك من الموت والهلاك وبعد أن فرغ الملك من هذه النصيحة انسكب الدمع من عينيه . فتأثر ابن الملك من كرام الملك وحسن طويته وأظهر له الطاعة والتأدب وأفاض فى الشكر له والامتنان منه والدعاء له والثناء عليه ثم قال له نعم ياسيدى الواقع أن الحق وكل الحكمة فى كلامك وتأثرك على هلاك الكثير من الشبان هو فى محله لكن لا يلزم أن تنظر إلى الجميع بعين واحدة اذ لا يمكن أن يتساوى الناس عقلا وعلما فليس الكل مثل الواحد ولا الواحد مثل الثاني .

فأنا أيضا لما نظرت أنه هلك قبلي العدد الغفير من الفتيان عرفت أنهم ألقوا بأنفسهم فى وهدة الهلاك عن طيش وخفة وقلة ترو مع أن من ينظر فى عمل دون تأن ولا ترو وفحص وتدقيق لا يحصل على النجاح أما أنا فقد أتيت هذه المدينة منذ شهرين تقريبا وشاهدت هذه الاحوال بعين الناقد البصير فاستشرت ثم فحصت وبحثت وما أتيت بين يديك الا وأنا على يقين من اكتشاف السر .

فلما سمع الملك كلام ابن الملك ورأى فيه الفصاحة والذكاء وتبين له أنه ليس كالشبان الأوائل الذين طلبوا اليه بنته بل ظهر لديه أنه أرفعهم درجة وأوسعهم عقلا وأثبتهم حكمة ومع ذلك لم يوافقه على طلبه لأن قلبه كان يختلج من الحب والميل اليه . فأعاد ابن الملك الالتماس والرجاء وقال له لا يشغل لك بال ولا تخف على وان شاء الله بعنايتك وبركة دعاك أفتح الطلسم وأخلص الناس من هذه البلية فلما رأى الملك اصرار الفتى تحير ولم ير بدا من إجابة طلبه فقال له لقد رخصت لك يابنى فى ذلك لكن يابنى أرجوك أن تتمعن وتدقق فان الذين جاءوا قبلك كانوا مغرورين بعلمهم ومعرفتهم فأملوا فتح هذا الطلسم الصعب وتكلموا كما تكلمت مع أنى لم أكن أشاهد فيهم المعرفة والنجابة التى أشاهدها فيك فلاقوا حتفهم فقال ابن الملك كلا ياسيدي لا يأخذك الخوف والوجل على فقد اكتشفت السر وعرفت ماهنا لك لكن لما كان قد كتب بالاربعة شروط أن فتح السر يكون فى يوم مخصوص فأرجوك أن تتكرم على بمعرفة هذا اليوم المخصوص .

فأجابه الملك ان اليوم المخصص لذلك هو يوم الاربعاء . وحيث أن هذا اليوم هو الاربعاء فافتكر فى ترك هذا الطمع من الآن ليوم الأربعاء الآتى وراجع ذاتك جيدا . وحينئذ افعل ما يخطر لك وما تراه مناسبا فقال ابن الملك ما دام هذا اليوم هو اليوم المخصوص فأنا سأتمم ما أريده فى هذا النهار وإن شاء الله لا يأتى المساء إلا وقد أنهيت المسألة وعدت فائزا . ولما رأى الملك أنه لا يزال مصرا على اجراء قصده وراغبا فى العجلة ولا يريد أن يمر ذاك النهار دون أن يحصل على مراده أو يلحق بغيره ممن سبقه انقاد لارادته وقال له فليعنك الله . وحينئذ نهض ابن الملك وقبل يد الملك وقال له أرجوك أن تزودنى بالدعاء والرضي والصلاة فضاق صبر الملك وانهمل الدمع من عينيه وأحدق فى وجهه حزينا عليه والحب ينمو فى فؤاده ويزداد .

وخرج ابن الملك من أمام الملك وتهيأ وتحضر بالأسلحة الكاملة وسار نحو الجبل . وكذلك الملك والوزراء ركبوا خيولهم وساروا الى جهة الجبل ليروا مايتم على ابن الملك وهم لا يفترون من الدعاء والصلاة والطلب الى الله لنجاته وخلاصه ولما رأى أصحاب ابن الملك ومعارفه الذين صحبوه فى مدة وجوده فى المدينة ماعزم عليه اجتمعوا حوله والتمسوا اليه بحرارة ودموع سخية أن يعدل عن عزمه ويترك الطمع ولا يرجو نوال المحال وعددوا له الصعوبات والاخطار وأصروا كل الاصرار على ممانعته فلم يصغ ولم يسمع لهم بل قال لهم انى أشكركم على غيرتكم واخلاصكم والانسان العاقل لا يباشر عملا قبل الفحص والتروى ولما صار قريبا من الجبل وجد الاهالى عموماً كبارا وصغارا نساء ورجالا قد خرجوا للفرجة وكلهم يتأسفون على ابن الملك ويدعون على بنت الملك ويسألون الله مجازاتها وقد ارتفع لهم جلبة وضجة فى ذاك المكان حتي خيل أن يوم القيامه قد دنا وما منهم إلامن ينادي الله أن يحفظ ابن الملك وينظر الى شبابه ويخلصه من الموت .

أما ابن الملك فانه عندما رأى اجتماع ذلك الجمهور من الخلق وكلهم ميالون اليه يتمنون خلاصه دبت فيه الغيرة والحماسة وتقدم فى طريق الجبل كالأسد الكاسر والسيف فى يده وكان لا يسمع الا أصوات الدعاء والافواه جميعها تلفظ هذه العبارات (الله يصون هذا الشاب من الهلاك وينتقم من بنت الملك الساحرة الفاجرة ومن الملك الظالم العاتى) وما من واحد الا منديله بيده يبكى ويمسح

دموعه وكان الملك أيضا يسير خلف ابن الملك متأسفا عليه وعلى صباه وذكائه وفطنته . وحالما دنا ابن الملك من الجبل وقف متفكرا ونظر بدقة فى الجهات ثم بدأ بالصلاة فقال ياألله أنت حاضر وناظر انى رجل غريب الديار وقد تصديت لازالة هذه الحيلة التى يتوهمون أنها سحر لخلاص العباد من الهلاك فساعدنى اللهم ولا تتركنى لأيدى الفناء والموت ولا تدمع عين أبى وأخوى حسرة على ولا تدع هذه الفتاة واسطة لتفريقنا فراقا أبديا فاستجب لى اللهم أنت السميع المجيب .

وبقى نحوا من نصف ساعة يسكب الدموع وقد جاء فى خاطره أبوه وأخواه فأهاجوا شوقه ولكنه سلم الأمر لله واتكل عليه وتقدم حتى قرب من السلم فذكر اسم الله تعالى ثم وضع رجله على الدرجة الأولى وجرب بأن ضغط عليها قليلا وأعاد أذنه فسمع من تحتها الأرض صوت سلك رفيع يكاد لا يسمع فرفع رجله عنها فى الحال ووضعها على الدرجة الثانيـة وضغط قليلا فلم يسمع شيئا فزاد الضغط واذا بالدرجة ثابتة فصعد عليها ومنها الى الرابعة ومن الرابعة الى السادسة ومن السادسة الى الثامنة وصار يترك واحدة ويصعد على الثانية ولكن لا يصعد مالم يجرب برجله كما فعل عند الدرجة الاولى حتى وصل الى الدرجة الثمانين فنظر من هناك الهيكل الذى قيل له عنه قبلا وهناك جرب بأن ضغط على الدرجة الثانية والثمانين قليلا فرأى الهيكل بدأ يتحرك فرفع رجله فى الحال فوقفت حركة الهيكل ثم وضع رجله على الدرجة الثالثة والثمانين فلم يتحرك بل بقى ثابتا ورأى الدرجة ثابتة فصعد عليها ولم يدس على الرابعة والثمانين والخامسة والثمانين بل على السادسة والثمانين ولما لم يبق بينه وبين الهيكل الا أربع درجات فقط ثم وقف ومن بعد أن تنفس الراحة جيدا استل سيفه وقد تأكد أنه أصبح إذا مد يده تصل اليه وضربه به على يده الحاملة السيف فقطعها ووقع السيف وحينئذ مسك ابن الملك الهيكل وكسره قطعا قطعا واذا به سمع عدة أصوات تحت الارض وبعد لحظة انقطعت تلك الاصوات . فلحق به من الفرح ماحمله على أن ينزل الى الملك ومن معه ليبشرهم بذلك .

وكان الملك والمتفرجون عندما صعد ابن الملك على درج الجبـل يبكون ويتأسفون على شبابه وفيما هم على ذلك رأوه من بعيد نازلا فاستدلوا من نزوله بأنه فتح الطلسم فتبدل كدرهم بفرح وعلا الصياح من كل ناحية بألفاظ الاستحسان والامتنان . الا أن ابن الملك بينما كان نازلا رأوه قد رجع ثانيا

وذهب إلي طرف الجبل وذلك لأنه طلب النزول فلما وصل إلى نصف الطريق افتكر قائلا فى نفسه لا يناسب الآن النزول قبل فتح الطلاسم وإزالتها . كل شيء يلزمه دقة وتأنى فأحسن شيء أن أرجع إلى الملك بعد أن أتم العمل وأزيل الموانع كلها أي الطلاسم التي وضعتها عثرة فى الطريق ولذلك رجع إلى طرف الجبل ولما وصل إلى مكان الهيكل رأى وامتحن الدرجات فوجدها جميعا مدسرة وكلما وضع رجله على درجة سمع من تحتها صوت الأسلاك وحينئذ غاص فى التفكير وقال لو كنت نزلت إلى الأسفل ولم أدقق جيداً لكنت أندم فيما بعد مع أن هذا الأمر أكثر إشكالا . ومن بعد أن فكر كثيرا رأى عند مكان الهيكل ثقبين يشبهان أثقاب المفاتيح وبالقرب من الثقبين عند رجلى الهيكل مفتاحين أيضا فأخذ على الفور مفتاحا وأدخله فى أحد الثقبين وأداره فلم يدر فأخرجه ووضعه فى الثقب الآخر وأداره فلما رد سمع له صوت غريب وبقي يديره إلي أن وقف فأخرجه وتقدم من الدرجات ولمس برجله واحدة فسمع صوتا فتركها وداس التى فوقها فرآها ثابتة ففرح غاية الفرح وصعد على السلم يدوس على الواحدة ويترك الثانية حتي قرب من الأسد ففعل به كما فعل بالهيكل وقطعه قطعا قطعا ثم أراد أيضا أن يمتحن درجات السلم الباقية فوجدها غير ثابتة كالتي قبلها فعاد وأخذ المفتاح الثانى ووضعه فى الثقب الثانى وأداره إلى أن وقف وعاد الى فوق واذا بدرجات السلم جميعها ثابتة لا تتحرك فزاد فرحه وكاد يطير من الفرح والسرور وبقى فى صعوده حتى رأس الجبل وعندما نظر الحائط المصنوع فى أعلاه تعجب من جسامته واحكامه ثم أخذ يطوف حوله مفتشا على بابه فلم يهتد فأخذته الحيرة والارتباك ثم عاد أيضا فطاف حوله ثانيا وثالثا دون جدوى ولما أعياه الامر وعظم عليه جلس ليستريح برهة متكئا على الحائط غائصا فى بحار التأملات

وكان الملك والجماعة المنتظرون فى الاسفل يتعجبون مما رأوا من ابن الملك فانهم بعد أن رأوه آتيا اليهم عاد فرجع من نصف الطريق وكانوا يتساءلون عن سبب ذلك وجل ما أمكنهم أن يستنتجوه فى هذا المعنى أنه قدر أن يصعد الى أعلى السلم ولكنه لم يقدر أن يتغلب علي الطلاسم ويزيلها ولذلك قصد النزول وتركها ولكنه عاد فافتكر أن يعود ثانية اليها ويعالج فتحها وقد خشى أن يعود بالخيبة والفشل .

أما ابن الملك فانه جلس بطلب الراحة ولكنه كان يتفكر كثيرا وعينه تكاد تخترق الحائط وفيما هو على ذلك رأى ورقة ملصقة بالحائط من لون الحائط وشكله . فطار قلبه شعاعا وقال هاقد كشف السر ونهض فى الحال فاقتلع الورقة واذا به يرى تحتها ثقبا وفى داخل الثقب سلك من النحاس فمسكه بأصابعه وسحبه فامتد معه وحينئذ قبض عليه جيدا وشده بكل قوته واذا به يسمع قرقعة كأصوات وقوع أحجار ثم فتح باب فى الحائط . ولما رأى الباب وقد فتح كاد يجن ولم بعد يعلم ماذا يجب أن يعمل فخر الى الأرض ساجداً شاكراً لله تعالى الذى وفقه وسهل له كل الموانع فأزالها بعنايته والهامه حتي نال كل ماهو طالب . وكانت بنت الملك في قصرها فسمعت صوت فتح الباب فخفق قلبها وقالت ماذا جرى هل أبطلت طلاسمى ونهضت من مكانها ونظرت من النافذة فوجدت الباب مفتوحا وحينئذ أرسلت أحد خدمها لابن الملك وأمرته أن يسلم عليه ويثنى على مهارته وذكائه ويخبره أنه لم يبق عليه الا الجواب علي الاسئلة الاربعة وذلك يكون فى المدينة فليرجع هو الي المدينة وهى فى الغد تأتى اليها أمام أبيها وتسأله بحضوره فجاءه الخادم وعرض له كل ما سمعه من بنت الملك فأجاب وعاد فى الحال وقلبه مملوء من الفرح والاستبشار ونزل عن الجبل الى الاسفل فلما رآه الملك والجماعة قد عاد ثانية تيقنوا نجاحه ففرحوا به غاية الفرح وانتظروا وصوله فأسرعوا لملاقاته وفي أولهم الملك فأخذه الى صدره وقبله فى جبينه وسأله عن حاله فدعاله بالبقاء وطول العمر والسعادة وأخبره بانتصاره التام حتي فتح الباب فعاد الملك وضمه ثانيا وقال له فى الحقيقة يليق بك أن تكون فى درجة الملوك لا فى درجة العوام لانه لا يوجد لك ثان فى هذا الزمان . فقد خلصت الناس من بلاء هذه الطلاسم وأنزلت عن ظهري حملا ثقيلا وان شاء الله فى الغد يسهل عليك مجاوبتها على أسئلتها وينتهى الحال وتزف عليها فأفتخر بك وبمصاهرتك على ملوك الارض أجمعين . ثم ان الملك أراد أن يعرف كيف فك الطلسم فتقدم وابن الملك الى جهة سلم الجبل حتي قربا من السلم وحينئذ قال ابن الملك ان هذا الذى يسمونه سحرا كله استنباط العقل وهذه المبالغات التى أوهمت الناس وضيعت الشيطان زاعمين أن الملكة سحارة هو كذب فليس للسحر ولا للسحرة أثر فى الدنيا . فاذا أمرت دقق النظر فى هذا الذى زعمتم أنه سحر . ثم تقدم ابن الملك والملك الى جانبه وأراه الدسارات المضروبة فى الدرجة الاولي فسأله لماذا وضعت هذه الدسارات

فوضع ابن الملك رجله على الدرجة وضغط عليها ضغطا ضعيفا وإذا به سمع صوت رنة أسلاك من تحتها فتحير وقال من أين جاء هذا الصوت فأجابه ابن الملك إن على الدرجة الفلانية من هذا السلم الهيكل وفى يده السيف وتحت رجلى ذاك الهيكل قد ربط سلكان فهما يتصلان بالدرج حتى هذه الدرجة وقد ربط بأحد السلكين طرف سلك آخر وأطرافهما تخرج من هذه الدرجة كالمسامير فعندما يغيب هذان السلكان يظهر غيرهما مرتبطا بها تعبىء أسفل الدرجات بإحكام ودقة وحسن صنعته فاذا داس وأمعن النظر سمع صوتها كما سمعت وإذا تحركت هذه الأسلاك اتصلت حركتها بالهيكل فيتحرك على حسب الصنعة الهندسية المصنوع بها ويصدر منه ما يحرك سيفه الطويل حركة قوية عندما يقرب الصاعد منه ويصبح تحت حكم السيف وهكذا الأسد فان الأسلاك متصلة من الهيكل إلى مكان وجوده باحكام ودقة غريبة لكن قد جعل لكل ذلك تدبير فالذى لا يدوس على الدرجة المربوط بأسفلها السلك يأمن من غدر الهيكل و كذلك يوجد تحت رجلي الهيكل ثقبان ومفتاحان لأجل إبطال حركة الأسد وتمكين باقى درجات السلم فلولم أستعمل العقل والحكمة وأخص فى كل ما أراه ولا أتى حركة عن طيش وجهل لاصابني ما أصاب غيرى ولكني استعملت حكمتي فساعدتنى العناية . وكذلك أيضا عند ما وصلت إلي الحائط فقد فتحت بابه بكل سهولة وأزلت كل الموانع .

وكان الملك يصغى وهو متحير مندهش من ذكاء ابن الملك وفرط حكمته ودرايته فمدحه علي عمله وأظهر له كل ممنونيته والتفاته فقبل ابن الملك يديه وشكره بدوره وأبدى لديه الاحترام والاعتبار .

أما الأهالى والأعيان والامراء فكانوا يطوقون ابن الملك ويطيرون من الفرح به ويدعون له بالبقاء وطول العمر علي قصم هذا الأمر وإزالة هذا الطلسم الذى كانوا يظنونه سحرا ويخافون على عباد الله منه وقد انتشر ذلك بين الجميع حتى كان مدحه دائرا على شفاه الجميع ومحبته تدخل فى قلب الكبير والصغير وقد وصل بهم الأمر أن قالوا لبعضهم بعضا إذا كان الملك لا يجيب طلبه فى الحال ويزف ابنته عليه أو اذا امتنعت الابنة عن قبوله نهضنا نحن فأرغمنا الملك و بنته أو قلعناه عن كرسي المملكة وأجلسنا هذا الغريب لان مثله يليق بأن يسوس العباد ويحكم البلاد . ومن بعد ذلك عاد الجميع إلى المدينة وتفرق كل إنسان إلى

بيتة وكذلك الملك سار إلى قصره وقد أخذ معه ابن الملك فأحله محل الاحترام والاعتبار ثم قال له بالحقيقة ياولدى انك وحيد عصرك فى العقل والدراية لكن أخاف أن يبقى بالأمر صعوبته وهو أنى أخاف أنك تعجز عن اتمام الشرط الرابع وهو الاجابه على الأربع أسئلة المزمعة أن تسألها لك فلربما كان فيها صعوبة أكثر من إزالة الموانع التي كنا نظنها من قبيل السحر والطلسم وبالطبع إن أسئلة ابنتى لاتكون سهلة بل صعبة قد هيأتها واستعدت لها من زمان طويل مع أنك اذا كنت لا تعلمها لا تقدر أن تجيب عليها وإذا كنت تعلمها فربما لا تخطر على ذهنك ومتى تعسرت عليك الاجابة فبالطبع تكون ما أتممت الشروط فلا تقبلك وهذا الذى أخشاه وأسأل الله أن يساعدك عليه ويقويك عليها حتى ترغم أنفها ولا يضيع تفكيرك وتعبك الذي تعبته عبثا وأخسر مصاهرتك بعد أن وقع حبك فى قلبى موقعا عظيما . فلما سمع ابن الملك كلام الملك فكر قليلا ومع أنه رأى أن البحث فى السؤال والجواب عليه صعب قال فى نفسه لقد أصاب الملك فقد يمكن أن تسألنى أسئلة لا أعرف لها جوابا فالانسان مهما كثر علمه وقاض فهمه لا يقدر أن يحرز علم العالم أجمع لكنه قال للملك لاأظن ياسيدى أنى أعجز عن اجابة سؤالاتها ومع ذلك فالله المعين على كل حال .

ولما وصلت نسرين بوش الى هذا الحد من الحكاية ورأت بهرام شاه مأخوذا بها مشتاقا لنهايتها سكتت فطار صوابه وعجب من سكوتها ولذلك قال لها لماذا ياحبيبتى ونور عينى تتركينى فى ولع وشوق وتسكتين عند قربك من النتيجة وأنا منتظر لأرى ماذا جرى لابن الملك الثالث هل يجيب بنت الملك على أسئلتها أم لا يجيب وماهي يا ترى أسئلتها . وهل أن ابن الملك بعد هذه المشقة وبعد ملاقاة مالاقى من العناء والتعب ينال وصال بنت الملك أو يرجع بخفى حنين .

فتبسمت نسرين بوش من كلامه وقالت اعلم يا سيدى وحبيبى ومهجة فؤادى وروحى المحبوب أن ابن الملك بعد أزال الطلسم بقى ينتظر اتمام العمل بما تعهده به وهو الاجابة على أسئلة بنت الملك فى اليوم الثانى . فصرف تلك الليلة فى قصر الملك وقد تناول الطعام معه وتسامر وتصافيا ونام هناك حتى الصباح وكانت بنت الملك قد ضاق صدرها من تبطيل عملها وكشف أستار طلسمها وقد حسدت طالبها لتأكدها أنه لا بد أن يكون فوقها في الحكمة والدراية ولكن ماالفائدة وقد ربطت نفسها بذلك وعاهدت طلابها عليه فلا يسعها المخالفة وبقى لديها أمل فى أن

تفوت طالبها بتعجيزه عن الجواب . وحالما أشرقت الشمس وفرشت أشعتها الذهبية على قمة الجبل خرجت من قصرها وسارت توا الى المدينة .

ولما كانت منذ سنة تقريبا لم تخرج من قصرها ولا رأتها عين وقد بلغ الأهالى أنها ستأتى من قصرها فى ذاك الصباح الى قصر أبيها بكر الاهالي الى الخروج من بيوتهم واجتمعوا على الطرقات من الجبل الى قصر الملك صفوفا صفوفا حتي غصت بهم الامكنة وضاقت الفسحات وامتلأت السطوح والنوافذ .

ولما نزلت من الجبل محاطة بجواريها وخدمها سارت أمامها فرقة من الجند لتفتح لها طريقا ومع ذلك كان الاهالى لشدة اشتياقهم اليها يتزاحمون ويتراموذ فوق بعضهم البعض ليمتعوا أنظارهم برؤيتها البديعة . وما برحت حتي جاءت قصر أبيها فدخلت مقر الحريم واذ كان الملك منذ مدة طويلة لم ير ابنته دخل دائرة الحريم فرآها وفرح بها فرحا لا يوصف وقبلها فى جبينها ثم قال لها أى بنتي العزيزة لقد اكتشف هذا الشاب الغريب الذي جاء في طلبك معنى الطلسم الذى كان باعثا لظلم العباد و قتل النفوس وانى عجبت كثيرا من ذكائه وحكمته فهو أعقل فتي رأيته ورآه غيرى فهذا هو الشاب الذى يليق أن يكون لى صهراً وتكونين له عرسا . فقالت ان نظرك فى محله يا سيدى فلو لم يكن فطنا ذكيا لما قدر أن يكتشف سر عمل خفي يصعب على أعظم الناس عقلا كشفه ولكن لا أشهد وأعترف بعقله وذكائه الا اذا أتم الشرط الرابع حق القيام وأجاب كما يجب أن يجيب ليظهر لنا فضله فضاق صدر الملك من كلامها وقال لها

ماذا يكون الشرط الرابع فلا أظنه يصعب عليه ولكن الأحسن أن لا نضع العقبات فى سبيل اقترانك به فهو لائق بك وقد أحببته كثيرا فقالت له كل شيء يلزمه امتحان اذا كان العمل يتم بدون تجربة يعقبه ندامة فشرطى الرابع أن أسأله عن أربعة أشياء فاذا أجاب الجواب الكافى فلا يبقى لي كلام بعد ذلك ولا يحق لى اعتراض عليه مطلقا بل أقبل به ويكون هو قد أقام بعمله وأنا قمت بتعهدي وتمت ارادة الله واذا لم يجب وعجز عن تأدية الجواب فليرجع من حيث أتى لأن ابطاله طلسمى لا يعجبني ولا يكفيني . حينئذ ارتبك الملك فى أمره وبقى حائرا .

ومن بعد أن مرّ ذاك اليوم وتلك الليلة على هذه الصورة خرج السلطان عند الصباح من محل الحريم وقصد ردهة الاجتماع ودعا بالوكلاء والوزراء وأركان

الدولة وأعيان الامة فحضروا وانتظم المجلس بكمال الابهة والاجلال وكانوا جميعهم متألمين ومتأثرين من عمل بنت الملك وقد كرهوا أعمالها حتي تمنوا لها القتل إذا تغلبت على ابن الملك ولم تختاره زوجا لها .

أما بنت الملك فخرجت من مقصورتها وتقدمت تختال وتمايل كغصن البان متباهية مفتخرة بسلطان جمالها الفتان وبقيت تتقدم شيئا فشيئا حتي وصلت من تحت أبيها فجلست إلي جانبه . ولما رأى المجلس والحضور حسن وجمال ملكتهم تاهت عقولهم وخفقت قلوبهم وتغيرت من عقولهم تلك الأفكار التي كانوا يفكرون بها وما منهم إلا من كان يدعو لها بطول العمر ويتمنى أن تبقي جالسة أمامه طول حياته . وبعد أن استقر بها المقام سألت عن الفتي الذى جاء فى طلبها وفتح الطلسم .

فقالوا لها انه فى المكان الذى عين له . فأمرت باحضاره فأرسل الملك أحد وزرائه فسار اليه وبلغه أمر الملك فنهض وجاء نحو المجلس وهو لابس أبهى الملابس وأفخرها . وحينئذ نهضت بنت الملك ودخلت غرفة ثانية فسأل الملك عن سبب ذلك فأجابته من اللازم أن أبقي أنا مكان وأنت وضيفك فى مكان آخر فأرسل اليه بأسئلتي مع رسول فيبعث لى بأجوبتها .

ولما دخل ابن الملك المجلس بكمال الاجلال والوقار نهض جميع من فيه وأبدوا له علامات الاعتبار وألفاظ الاكرام فشكرهم بدوره ودعا للملك ولدولته بالنصر وطول العمر ثم ان الملك دعاه للجلوس في مكان مرتفع عن مكان الوزراء فاجتازهم وجلس فيه وبعد ذلك جيء بالشراب وشرب كل من كان حاضرا فى ذلك المكان وبعد الشراب مدت موائد الطعام وعليها من أصنافه أشكال وألوان فتناولوا الطعام بالفرح والانبساط وعاد كل إنسان الى مكانه منتظرين أسئلة الصبية .

ولما رأت بنت الملك أن الوقت أزف وانتهت فروض الاكرام أخذت من أذنيها حبتين من اللؤلؤ المتزينة به فدفعتهما الى جاريتها وقالت لها ادفعى هاتين للضيف واتيني منه بالجواب عن ذلك .

فأخذت الجارية اللؤلؤتين ودخلت مجلس الملك وسلمتهما لابن الملك بعد أن وقفت أمامه وأبدت رسوم الدعاء والتبجيل وسألته التنازل بالافادة والجواب عنهما الى سيدتها لانها بالانتظار .

واذ ذاك أخذ ابن الملك اللؤلؤتين من الجارية وأطرق يفكر قليلا وأما الحاضرون فقد تحيروا فى نفوسهم قائلين ما هـذا السؤال الخفي الرمزي وماذا يا ترى يكون معناه ولم يقدر أحد منهم أن يفهم له معنى ولا يعلم قصدا ومالوا جميعهم بأنظارهم لابن الملك ينتظرون ماذا يكون منه وبماذا يجيب عليه . وبعد أن فكر ابن الملك قليلا التفت الي الملك وسأله أن يأمر باحضار عدد من اللؤلؤ فأمر الملك فجيء فى الحال بعلبة صغيرة ضمنها نحو ستين أو سبعين لؤلؤة فاختار ابن الملك منها ثلاثا فقط فضمها الى المرسل من بنت الملك ودفع الجميع للجاريه وقال لها هاك الجواب فأوصليه اليها .

فأخذت الجارية اللآلىء الخمسة وعادت بها إلى سيدتها إلا أن الملك وسائر المجلس غاصوا بالأفكار وتأولوا ذلك لمعان كثيرة بعيدة عن القصدلم يقدروا أن يفهموا منها السر المقصود .

وعندما أوصلت الجارية اللؤلؤ الى سيدتها وقالت لها هذا هو الجواب تبسمت الفتاة عند وقوفها عليه وسكتت برهة . ثم أمرت فجيء لها بميزان فوزنت الخمس لؤلؤات كل واحدة لوحدها فوجدتها كلها بوزن واحد لاتزيد الواحدة عن الثانية ثقل شعرة . وحينئذ أخرجت عقدها من عنقها فرفعت ماسة واحدة وضعتها فى هاون وسحقتها حتي نعمت ثم وضعت فوق المسحوق سكرا ناعما مزجته به مزجا كاملا وأرسلته الي ابن الملك . فأخذ ابن الملك الماس والسكر وبعد الامعان قليلا أمر باحضار قدح من اللبن فأتوه به فوضع اللبن فوق السكر والماس فى قدح واحد وأرسل القدح لبنت الملك فلم تنطق الفتاة بكلمة ولكنها أخرجت خاتمها من أصبعها ودفعته للجارية وقالت لها خذي هذا وأتيني بجوابه

فأخذته الى ابن الملك ودفعته . فأخذ الخاتم وبعد أن نظر فيه برهة أدخله فى أصبعه فجاء كأنه مصاغ له فتركه فيــه وأخرج منه ياقوتة حمراء سلمها للجارية وقال لها خذى هـذا هو الجواب فعادت الجارية بالياقوتة لسيدتها . أما الملك والوزراء والجارية والحاضرون جميعا فلم يفهموا شيئا مما كان يجرى بل كانوا مندهشين مما رأوه وشاهدوه .

وعادت الجارية الى بنت الملك وأخبرتها بما عمل ابن الملك ودفعت اليهـا الياقوتة التى أعطاها إياها فتناولتها ونظرت فيها قليلا ثم أخذت يواقيت العقد الذى فى عنقها وأخرجت ياقوتة من بينها بقدر ولون الياقوتة التي أرسلها اليهـا

ووزنها لا يمكن أن تفرق الواحدة عن الثانيه فسلمت الياقوتتين لاجاريه لتوصلهما الى ابن الملك فرجعت اليه وأعطته اياهما فأخذهما وتأمل فيهما برهه ولم يقدر ان يفرق بينهما ولا ان يعرف ايها ياقوتته وايها ياقوتتها طلب فى الحال خرزة زرقاء قرنها إلى الياقوتتين وأرسلها جميعا إلى بنت الملك وبعد أن أخذتها أعادت ياقوتتها إلي عقدها وضمت الخرزة اليها ونهضت تمايل وتتهادى وتعجب بجمالها الذى ميزها الله به عن أبناء جنسها حتى دخلت مجلس أبيها فأنير المكان من بهائها وجمالها ونهض الجميع إجلالا لها حتى جلست إلى جانب أبيها وما من أحد إلا وكان يختلس النظر اليها وكأنه مغرم بها من زمان .

أما الفتاة فانها بعد أن دارت بنظرها على الجميع وصلت إلى ابن الملك ووقعت عينها عليه وقد رأته بديع الجمال نادر المثال فدار فى فؤادها دولاب الهوى فى الحال واستأثرها وأنزلها عن سلطان مجدها إلى حضيض الذل والانكسار وشعرت في داخلها بشيء لم تكن تعرف له تأثيرا قبل تلك النظرة .

ثم انها قالت لأبيها بحضور الوزراء والوكلاء هل ظهر لك يا سيدي نتيجة رأيي وموافقتك عليه بأن كل شيء فى هذه الدنيا كليا كان أو جزئيا يحتاج إلى الامتحان . ولو لم يكن الامتحان فى الدنيا لما عرف الخير من الشر . ولو لم أدقق أنا وأتأنى وأصنع وسيلة الامتحان الصادرة عن ذكاء العقل وقد ظنه الجميع سحرا أى لو لم أضع طريق الامتحان بل قبلت أن أتزوج بفتى جاهل لا معرفة ولا آداب عنده لصرفت كل حياتى بالهم والغم والحزن ومن أين كنت أتوصل للزواج بشاب جمعت فيه كل الصفات الحسنة فهذا هو المطلوب وهذا الذى يستحق أن يكون صهرا للملك وللملكة فيما بعد على البلاد . اذ أنه فضلا عن ذكائه وعلمه فهو ابن ملك .

وعندما سمع ابن الملك كلام الفتاة لم يجب بشيء بل أطرق إلى الأرض خجلا وحياء لكنه كان يتعجب كيف عرفت أنه ابن ملك مع أنه لم يقل ذلك أمام أحد وكذلك الملك والحضار فانهم بعد أن سمعوا كلام بنت الملك بقيوا صامتين متفكرين في أمرها ومتيقنين أنها بعلمها وعملها حصلت على زوج لا يمكن أن تحصل عليه لو تركت طريق الامتحان الذى اتخذته

ثم ان السلطان دار بوجهه إلى بنته وقال لها أصحيح ما تقولين من أنه ابن ملك . فأجابت الفتاة نعم يا سيدى أنه ابن ملك ولا ريب ألم تدرك ذلك من علمه

وسمته وحركته وعظمة نفسه كان كل ما يبدو منه يدل على أنه ابن أصل شريف وملك عظيم .

وإذ ذاك التفت الملك إلى ابن الملك فوجده مطرقا باسما والخجل والحياء والعرق يصبب من جسمه . فسأله أي ولدى العزيز لا بد أن تكون بنتي صادقة في كلامها فأخبرنى من أى ذات علية خرجت ومن أى صلب مقدس أتيت ومن هو ذاك الأب السعيد الذى أوجد مثلك فى هذه الدنيا . حينئذ رأى ابن الملك أن من اللازم أن يخبره بأبيه وأصله إذ لم يبق مانع يدعوه للتستر ففتح فاه ودعا للملك بالبقاء وطول العمر ومدح منه ومن رجال دولته ورعيته وبنته وشكر الله الذى أوصله اليهم اتماما لسعده وحسن حظه وفى الأخير قال نعم يا سيدى إن الملكة صادقة فى كلامها وقد حملها ذكاؤها على اكتشاف حقيقة أمرى فأنا ثالث أولاد ملك سرنديب ونحن ثلاثة أولاد قد صرف سيدى والدنا معظم همه وعنايته فى تعليمنا وتثقيفنا وتهذيبنا وتأديبنا حتى أدرك غايته وخرجنا بعونه تعالى على جانب من الخبرة والعلم ومع أنه كان متهالكا فى حبنا وايصالنا إلى الدرجة المطلوبة فقد رغب ان نسافر ونغترب لأنه يعتقد إن الغربة تعلم الانسان ما لا يعلمه وتفيده فوائد لا يمكن ان يستفيدها من كتاب او معلم فالغربة أكبر معلم ومهذب للانسان . وعليه فقد خرجنا نحن الثلاثة من وطننا وبعد ان سرنا فى الطريق اياما قضى علينا ان نتفرق عن بعضنا وينفصل كل واحد منا فى جهة وما كان ذلك إلا بأمر من الله سبحانه وتعالى .

ولما سمع الملك وجميع الحاضرين من ابن الملك هذا الكلام تعجبوا من ذكائه وغريب أحواله ومن إدراك بنت الملك وفطانتها حيث علمت أنه ابن الملك .

وإذ ذاك نهض الملك بنفسه وعانق ابن الملك وقبله فى وجهه وأبدى له مزيد الاعتناء والترحاب ثم التفت إلى بنته وسألها كيف عرفت انه ابن ملك فأجابت أنه لما أبطل الطلسم وفتح باب الحائط الخفي فلكي لا يدخل الى الداخل بل يرجع الى أسفل لاجل اجراء الشرط الرابع أرسلت اليه أحد خدمى فبعد أن رآه الخادم وأخبره بأمره رجع الى فسألته عن هيئته وحالته ففصل الى ما رآه فيه فقلت في نفسي انه ربما يكون ابن ملك وبقيت في ارتياب الى أن رأيته بنفسى فتأكد لى أنه من أصل ملكى شريف لان هيئته الملكية تطبع على جباه أصحابها فسر الملك من ذكاء بنته وفطانتها ثم قال لها والآن يا عزيزتى لم يبق مانع ولم

يعد لك من عذر تعتذرين به فمن اللازم أن توافقي على عقد زواجك بابن الملك لاننا به نفتخر على ملوك الارض طرا كيف لا وقد جمع فيه الشرف والذكاء والعلم النادر المثال والعقل والحكمة الغير موجودين فى غيره من جميع رجال هذا الزمان فأجابته الفتاة بحرية نعم يا سيدى لم يبق لي قط كلام ولا اعتراض وانى أشكر الله على حسن بختى وطالعى ولا أخفي امتنانى وسرورى بالاقتران بفتى زاد علما ودراية على درايتى .

وكذلك كان الملك وجميع الحاضرين لا يزالون فى حيرة من جهة الاسئلة الخفية التى سألتها بنت الملك بالاشارات والرموز وأجابها ابن الملك بمثلها ولم يفهموا شيئا منها فطلبوا اليها أن تبين لهم معنى أسئلتها وما فهمته من أجوبتها فأجابت طلبهم وأخذت تشرح لهم معنى كل ما رأوه فقالت .

إن معني اللؤلؤتين الاثنتين اللتين أرسلتهما اليه في الاول هو أنى أقصد بهما أن العمر كناية عن يومين فيلزم أن تغتنمهما . فضم إلى اللؤلؤتين ثلاثا وأعاد إلي الخمس يقصد أن العمر ولو طال إلى خمسة أيام فهو سريع الزوال .

وكذلك السؤال الثانى فانى أرسلت اليه الماس والسكر مسحوقين فمعناه أن العمر ذو قيمة كالالماس وهو شيء ممزوج بالشهوة الحلوة كالسكر فهل من الممكن يا ترى انفصال أحدهما عن الآخر . فأجاب ابن الملك بأن أخذ قدحا من اللبن وضعه فوق السكر والماس فذاب السكر وبقى الماس وهو يزعم أنهما بالحقيقة ممزوجان مع بعضهما كالسكر والماس لان انالشهوة تنفصل عن العمر بنقطة من لبن .

ومعنى ارسال الخاتم اليه فى السؤال الثالث قصدت أن أقول له . نعم انك لائق بي وانى أقبل بك وقد رضيت بعقد زواجي عليك وأما معني الياقوتة التى أرسلها لى فهو انى مثل الياقوت لا نظير . وأما معني ضم الياقوتة الثانية المماثلة طبقا لياقوتة وارسالهما اليه هو انى أقول له انى أنا نظيرك ومساوية لك وقد رأيت أنه لا يوجد بين بعضنا البعض زيادة أو نقصان . فلما رأى الياقوتتين بقدر واحد لا تزيد احداهما عن الاخرى فلاجل الحفظ من العين ربطهما بتلك الخرزة الزرقاء وأرسلها الي .

ولما اطلع الملك والوزراء على أسئلة بنت الملك الخفية وعلي أجوبة ابن الملك

عليها بسهولة تعجبوا وغبطوا سعادتها . ومنذ تلك الساعة أمر الملك أن يبدأ بتهيئة لوازم الزينات وان تزين المدينة وتقام الافراح فأقام الناس في الحظ واقامت المدينة برمتها على البسط والانشراح ابتهاجا بالعروسين مدة اربعين يوما ثم عقد لابن الملك على بنت الملك وكان فرحهما وسرورهما ببعضهما البعض يفوق حدود الوصف والقياس إذ كان كل واحد منهما يقدر الثاني حق قدره من الذكاء والعلم والأدب فيؤمل السعادة بالانضمام اليه . وصرفا وقتا بالحظ والصفاء متلذذين مع بعضهما البعض باقتطاف ثمرات الحب والهيام الى ان جاء اليوم الموعود لوفاة الملك فارتحل الى دار البقاء فجلس ابن الملك مكانه واشتغل بتدبير أمور الرعية واصــلاح شئونها والاعتناء بها حتى زاد حب الرعية له اضعاف ما كان .

وكان ابن الملك عندما خطر على باله أخواه يحزن ويتحرق قلبه شوقا لمعرفة أخبارهما وعلى الخصوص أخوه الثاني لأنه ما كان يعلم بمكان وجوده ولا يعرف لأي جهة راح ولا أين ذهب ولذلك أرسل رسالة إلى أخيه الأكبر يخبره بما جري عليه من الأول إلى الآخر وكيف أنه تزوج بنت الملك بعد أن أبطل عملها وفك طلسمها وتولى بعد ذلك على المملكة ثم سأله أن يخبره عن أخيه الثاني إذا كان بلغه عنه خبر لأنه فارقه ولم يعد يعرف شيئا عنه .

وكان ابن الملك الثاني أيضا بعد أن راق باله واستقام حاله أرسل رسالة أيضا إلى أخيه الأكبر يخبره بها بأنه تزوج بنت الملك وجرى له ما هو كذا وكذا وأنه براحة تامة وعظمة تامة لا يكدره الا فراق أخويه ولاسيما أخوه الاصغر لأنه فارقه ولا يعلم بعد ذلك ما جري عليه ويرجوه إذا وقف على خبره أو اتصل به أنه يرسل فيعلمه لكي يسعى للاتصال به .

فلما وصل جواب ابن الملك الثاني لاخيه الاكبر سر وفرح كثيرا بما توصل إلى أخيه من التوفيق والنجاح ولــكنه تكدر لانفصالهما عن بعضهما البعض ولجهله معرفة مكان أخيه الاصغر وبقي بضعة أيام في كدر عظيم يؤمل أن يأخذ خبرا عن أخيه الاصغر وإذا برسالة قد وردت اليه فقرأها وفرح الفرح العظيم لما قرأ ما وصل اليه أخوه من العظمة وخر على وجهه إلى الارض شاكرا الله الذي خلصه من الخطر ورفعه على سرير مملكة عظيمة . وفي الحال كتب رسالتين الى أخويه يهنئهما بما وصل إليهما من السعادة والمجد ويعلمهما بمكان

بعضهما البعض ويخبرهما بأنه بعد أن سافرا عنه بمدة وجيزة مرض أبو زوجته ولما توفى الملك جلس فى مكانه وأنه يشكر أن الذى وفقهم بأن صيرهم الثلاثة ملوكا وسهل لهم التزوج ببنات ملوك . وبعد أن أرسل الرسالتين الى أخويه أرسل رسالة أيضا الى أبيه يطلعه فيها على كل ماوقع لهم من الاول الي الآخر .

وعندما وصلت رسالتا ابن الملك الاكبر الى أخويه فرح كل منهما الفرح الذي لايوصف لما نال أخوه من التوفيق والاقبال وتبودلت بينهما الرسائل يهنيء كل منهما أخاه على ملكه وزواجه وكتبا أيضا الى أبيهما يعلمانه بأمرهما ويسألانه دوام مرضاته والدعاء ولما اتصلت أخبار أولاد الملك بأبيهم فرح وشكر الله حيث أصبحت أربع ممالك في أيديهم وأرسل يهنئهم وبقى هو على كرسى دولته واولاده علي ممالكهم الى ماشاء الله

ولما انتهت نسرين بوش من حكايتها قالت لبهرام شاه والآن يا سيدى قد تخلصت من الولع الذى لحق بك من جراء هذه الحكاية وأريد أن أسألك هل سررت منها أو لم تسر كالواجب فلف بهرام شاه يديه على عنق نسرين بوش مظهرا كمال المسرة والانبساط وقبلها فى عنقها وشفتيها وقال لها إنى سررت من حكايتك سروراً عظيما فقد أعجبتنى جدا ولا أظن أنه يوجد حكاية تماثلها فى حسنها وجمالها وغرابتها .

فقالت له نسرين بوش نعم يامليكى المحبوب إن مرامي من هذه الحكاية مدح اللون الأحمر ولأجل ذلك تري الانسان فى وقت الفرح يحمر وجهه كما أنه فى الكدر والحزن يصفر . فاللون الأحمر بالحقيقة مقبول ومحبوب أكثر من جميع الألوان حتي أن الخمر لما كان أحمر أوجب فرح الانسان وانبساطه . وكذلك الدم فانه أحمر وهم يعبرون عنه بالروح فى الجسم وكذلك الذهب الأصفر فانه يفضل بالذهب الاحمر ويعلو قيمة والياقوت كلما ظهر أحمر كلما كثرت فيه الرغبة وغلا ثمنه وكذلك الورد فما دعي بسلطان الزهور الالكونه أحمر اللون .

فشكر بهرام شاه نسرين بوش وصدق على كلامها . وعندما أقبل المساء اشتغلا فى تلك الحديقة المنشور فوقها رواق الصفاء والانس بادارة الكؤوس الياقوتية بين أغصان الورد المتوج بأقراص الزهر العطر الرائحة إلى أن حان وقت الطعام فتهيأت سفرة الطعام المعمولة من الياقوت والمرجان وصفت أطباق الطعام

الكثيرة العدد والالوان فجلس عليها بهرام شاه وأمامه نسرين بوش وأخذ كل واحد منهما يطعم الآخر بيده ويلقمه اللقمة بعد الثانية وحولها نحو سبعين أو ثمانين جارية كأنهن الاقمار يحملن بأيديهن الشموع الكافورية ينتظرن الامر في كل حين :

وكانت نسرين بوش تأخذ اللقمة بيدها وتمدها باللطف إلى فم زوجته وكثيرا ما يضع أحدهما فمه على فم الآخر وينفحه قبلة شهية فيقابله الآخر بمثلها فتكون سببا للهضم وتهييج القابلية وتجديدا الشهوة للطعام :

وبعد تناول الطعام على هذه الصورة هيء لهما مجلس الحظ والانشراح فأخذا في معاطاة الخمور بين شم وضم وتقبيل وامتصاص وارتشاف حتي لعبت الخمر برأسيهما فناول أحدهما زنده للاخر فلفه على خصره وانسحبا الي خلوة وتمددا على سرير المسرة والهناء ودارت بينهما المداعبة والملاعبة ونسرين بوش تقعد وتقوم وتبدي من أنواع الخلاعة والمعاشرة والحركات العجيبة حتي أطارت النوم من أجفان بهرام شاه وحبيبته بالرغبة بكثرة اقتطاف ثمرات الحب والتنعم بلذات الزواج فدام معها ما بين قطع ووصال حتى بان وجه الصباح وحينئذ تركته لينام ساعتين ويرتاح جسمه من تعب الاياب والذهاب ونامت هي أيضا ذاهبة العقل والجسم منهوكة القوي والحواس ، ولما استيقظ جاءت اليه وألقت بنفسها عليه وقبلته في عنقه وعينيه وعلي جبينه وخديه وشفتيه ففتح عينيه فرأي وجهها عند وجهه فوفاها ما أسلفته ولما رأته على تلك الحالة وقد نهض من النوم وبدنها أطرى من ريش النعام تذكر ماجرى له معها في الليل فأعاده استصباحا ولف كل منهما الآخر نحو ساعة تقريبا ثم نهضا ثملين بخمرة اللذات ودخلا الحمام فاغتسلا كل منهما بيد رفيقه وبعد ذلك جاءته بثوب قرمزى جديد فلبسه وأمرت أن يهيأ له جواد أحمر وخرجا متخاصرين الى ردهة الراحة وقدم له الشراب بالماورد ورد والسكر وكان بهرام شاه مسرورا من نسرين بوش ومن خدمتها له بيدها لكنه كان متحيرا ومندهشا كيف ألبسته الثوب الاحمر وكيف يذهب به الى القصر الازرق وقد خالفت عمل باقي زوجاته ومع ذلك لم يعترض عليها بل ودعها وخرج قاصدا القصر الازرق (السماوي) .

وكان لليوم الذى صار فيه بهرام نحو القصر الازرق يوم الاربعاء فتقدم في طريقه بالأبهة والاجلال وماتقدم الا القليل حتى رأى الارض مفروشة بالقطيفة

الزرقاء الحريرية وعلى جانبي الطريق نحو مائة وخمسين نفرا يلبسون الملابس الزرقاء وقد اصطفوا لأجل السلام وكذلك نحو مائة خادم من الفتيان بالملابس الزرقاء وبأيديهم القماقم المملوءة بالعطريات ومياه الزهور ونحو خمسين أيضا يحملون المباخر المرصعة بأحجار الفيروز . وعند أول الطريق المفروشة ستة حجاب يمسكون جوادا سماوى اللون عليه عدة مطعمة بأحجار الفيروز الصافى اللون وعلى أيدى بعضهم بقجة من الحرير الازرق داخلها الثياب الحريرية الزرقاء الملوكية .

ولما رأى بهرام هذه الشوكة والاجلال سر حتى كاد ينسى الاحتفالات والاهتمامات التي قامت لديه بها نسرين بوش فاجتاز الخدم والحشم وبقى سائرا فى طريقه فلم يقل له أحد استرح هنا أو قدم اليه الجواد ليركبه والثياب ليلبسها ولذلك دام على تقدمه مفكرا أنه سيدخل على آذريون بالثوب القرمزي الأحمر وهناك ينزعه ويلبس غيره وكان الخدم يسيرون من خلفه حتى انتهى الى ساحة فيها مئات من الخدم اللابسين الملابس الزرقاء واقفين لاستقباله ورآهم وقوفا عند باب صيوان مركب من الاشجار اليانعة المتلاصق أوراقها الزرقاء بعضها ببعض وتحت تلك الاشجار المحكمة الوضع سرير أزرق فيروزى اللون والارض مفروشة بالاقمشة الحريرية الزرقاء وعند ما وقف عند باب الصيوان خر الخدام سجودا لديه ودعوا له بدوام العز والنعم ومشى حاملوا المباخر والقماقم بين يديه حتي دخل الصيوان وجلس على السرير وحينئذ قدم اليه الشراب بأقداح زرقاء شفافة فشرب وحمد الله ثم تقدم اليه خادم شاب جميل الصورة بهى الطلعة يحمل على يديه طبقا من الذهب المرصع بالاحجار الفيروزية وعليه رسالة رزقاء اللون فتناول بهرام شاه بيدى الفرح والمسرة الرسالة ففضها وقرأ فيها ما يأتى :

اطال الله عمر سيدى ومولاى وزوجى المحبوب صاحب الشرف العالى والبهاء المتلالىء من سار ذكره فى الآفاق حتى بلغ السبع الطباق وساد على كل ملك وسلطان بالحلم والعدل وباقى الصفات الحسان . لقد ارسلت لأعتابك العلية خدمي وحشمى يقدمون لذاتك الكريمة عني فروض الخدمة فتنازل واقبل منهم خدماتهم كرما ولطفا وما يقدمونه اليك من تقدمات جاريتك وانى اطلب اليه

تعالى ان يحفظ لى ذاتك الكريمة ويقيك من عين كل حسود ويديم ملكك الى آخر الزمان آمين . آمين .

فلما قرأ بهرام شاه الرسالة ورأى ما تضمنته من الرقة واللطف فرح فرحا لا يوصف وحينئذ دخل المحل ولبس الملابس التى أرسلتها اليه أذريون ثم ركب الجواد المرسل منها أيضا وجاء بمنتهى الشوكة والاجلال والأبهة والتعظيم إلى جهة القصر وعند ما أصبح قريبا من الباب ترجل عن جواده ودخل والتفت إلى ما حول القصر فوجده محاطا بالأزهار وقد تهيأت الكراسي الزرقاء حول حوض من الماء وتهيأ أيضا فى صدر المحل سرير عال مرتفع جميل نادر المثال مصنوع من حجر الفيروز وقد اتكأت عليه آذريون وهى فاترة العينين كأنها غارقة في النوم وقد احمرت وجنتاها فأصبحتا بلون الورد والعرق يتصبب من وجهها كأنه حبات لؤلؤ تتدحرج فوقه وقد أسندت رأسها على وسادة من ريش النعام وكشفت عنقها إلى ما فوق نهديها حيث تتدلى جواهرها الوهاجة وصدرها العاجى وعنقها وخداها وجبينها تشع بأنوار الحسن والجمال . ولما شاهد بهرام شاه تلك الحالة تاه عقله وضاع صوابه وتقدم رويدا رويدا حتي جلس بالقرب من أذريون ولم يشأ أن يوقظها وقد قنع بالنظر اليها والتلذذ بالتأمل في جمالها وبهائها ثم مسح العرق المتصبب من وجهها بلطف ففتحت عينيها قليلا ثم أغمضتها وتبسمت تبسم الغنج والدلال فهاج حب بهرام شاه ولم يعد قادا على الصبر والتأني فألقي نفسه فوقها وهو يقبلها فى خدها ويمص شفتيها وقد قال لها أى روحى وحبيبتى ونور عيني وحبة فؤادي ومنتهى آمالى لماذا تتغافلين وتتظاهرين بالاستغناء عني وعدم الاكتراث بي أيمكن لك بعد أن علمت أن بهرام زوجك الذى ملك العالم وخافت الأسود بأسه قد زارك أن تعرضي عنه وتتنامى عند زيارته فانهضي الآن وانظرى ضيفك واعطفي عليه بلطفك . فنهضت شيئا فشيئا وجلست إلى جانبه ثم فتحت عينيها ومدت يديها إلى عنقه وجذبته الى صدرها فقبلته ثم أخذت تعتذر اليه قائلة العفو يا سيدى وسلطانى ومحبوبى ومالك حواسى . فانى منذ أمس بشاغل احزننى ما قدرت أن أنام أما قولك أنى مستغنية عنك فهذا غير الواقع لأنى مستغنية عن العالم بأسره ويكفيني منه أنت فقط ثم غمزته بطرف عينها وتبسمت عن ثغر فاتر فعانقها وعانقته وتبادلا الحب والشكوى ثم بعد ذلك أنشدت تقول :

ان كنت يا سيدي فقت الورى شرفا   فنور خدى منه الشمس والقمر

فقال هذا مما يسرني لأن هذا النور البديع الذي يضيء علي لا يتصل بغيري فأنشدت تقول :

إن كان تاجك من ياقوت جواهره   فتاج حسني منه المسك ينتشر

فقال وهذا أيضاً أشم منه نكهات سعادي وحظي . فقالت :

إن كان تختك من عاج ومن ذهب   فتخت صدري فيه يبهت النظر

فقال ذاك لقيامي وذا لمنامي . فقالت :

وإن بلغت سلمانا بسلطنة   فعظم سلطنتي ذلت لها البشر

قال صدقت وأنا أول من ذل لسلطان حسنك الذي أملكه فأصبحت مالكا مملوكا . ثم أنشدت :

إن كنت تمتلك الدنيا برمتها   فلا عجيب لحسني ملكه القدر

قال لا أنكر عليك أن ما يفعله سلطان حسنك يعجز عن فعله مالك الدينار ثم أنشدت تقول :

إن كانت الشمس من كفيك مطلعها   ففوق عنقي تدور الأنجم الزهر

قال هي بدور أطلعها حسن حظي وحصلت عليها بقوة بأسي . فأنشدت :

وكيف أرهب آساد الشري وأنا   معي الذي خافه الآساد والنمر

قال وهذه نعمة أوصلك اليها حسن حظك وحصلت عليها بنفوذ جمالك . فأنشدت :

فان ملكت بنات الأرض أجمعها   وأنت ملكي وهذا فيه أفتخر

قال من كثرت زوجاته . وتوفرت معداته . زادت مسراته . فأنشدت :

فبنت سلطان أرض الهند قد سرقت   من ليل شعري سواداً فيه تشتهر

وبنت قيصر من حسني لقد خجلت   فأصبحت باصفرار اللون تستتر

وبنت مولى خوارزم لقد خرجت   عن حدها اذ بلون الخضر تختضر

كذاك نسرين من ياقوت طلعتنا   ومن عقيق شفافي شاقها الحمر

قال الكل منكن ما أحببت وما فيكن الا من سادت وتباهت وكلكن في أعيني أقمار حين تنير بأنوار الكمال فمقامكن عندي واحد . فأنشدت :

يهنيك مولاي اذ اعطيت جارية   الورد من خدها الحوري ينتثر

فاقطف ولا تخش من عين الرقيب وزد   حظا وأنسا فمزن الحظ ينهمر

وهاك عنقي فقبله على عجل وكلما زدت بالتقبيل يزدهر
ثم امصصن شفق اللعس مرتشفا ثغري الذي فوقه العناب يعتصر
واجنى بحقك رمان النهود فقد آن القطاف ودلى ذلك الثمر
وهاك صدري فسرح فيه طرفكم فأبيض الصدر قد يجلى به البصر
وهاك خصري فطوقه بزندك واجـــذبه اذ الخصر بالتطويق يختصر
ولا تطل زمن التشويق يا سندي فانني عن وصال لست أصطبر
ان كنت موسى فانى اليوم صخرته فاضرب عسي بعصاك الماء ينفجر
واعجل بالصاق جسمينا لبعضهما فهل عن الوصل يا مولاي تعتذر
ان الغيوم اذا شمنا تراكمها حينا فلا بد يأتي بعدها المطر

فسر بهرام من انشادها وقال لها انى ما أتيت اليك الا وفى نفسي من حبك شيء عظيم وها هو زمن السرور قد حان ولا بد لنا من اقتطاف ثمرات لذاته . وفى الحال أخذت كأسا من الخمر وسقته اياها من يدها ومدت عنقها ووضعت شفتيها على شفتيه حتي اذا التصقا فقضيا مصلحة فى النفس وآذريون تبدى ألذ نوع من الغنج والدلال حتي نسى بهرام ورأي فيها من حركات التشويق والترغيب مالم يره فى غيرها من نسائه ولم يعد يسعه الصبر على مثل هذه الحالة فأخذها بين يديه كما يأخذ الأسد الغزال أو الباشق الواحدة من الحمام وألقاها على سرير مفروش بفراش من ريش النعام قد هيأته لمثل هذه الغاية وملأ فمه بعصير السكر الذى امتصه من شفتيها ونهديها وقد خط على عنقها وصدرها أسطراً من اللذة لا يمحوها كرور الأيام كيف لا وقد ذاق من حلاوة العمل مالم يذقه عند غيرها من نسائه والحاصل أنهما بقيا نحواً من ساعة يطوق كل منهما بيديه جسم الآخر ويضغط عليه ضغط التشفي . ثم افترقا وانفكت أياديهما عن بعضهما البعض وفى الحال نزلا الحوض وسبحا فيه وهما يلعبان ويمزحان وبعد ساعة خرجا من الحوض ولبسا ملابس جميلة فاخرة . وجلسا للمنادمة والمسايرة ولا يخفى مافي هذه الراحة من النفع للجسم والعقل . وحينئذ قال الملك بهرام شاه أى حبيبتى وزوجتى ومنى نفسى أريد أن تسليني بحكاية غريبة لنقتل بها بعضا من الوقت .

فتبسمت آذريون وقالت له نعم يا سيدى انى أحكي لك الآن حكاية عجيبة غريبة جميلة لكن أرجوك رجاء واحداً فقط وهو أن تكون منصفا وتبين وجه التفضيل بين حكايتي التى تسمعها مني الآن وبين الحكاية التي سمعتها من نسرين .

بوش في الليلة الماضية . فوعدها بهرام أن يقول الصدق ولا ينكر على احداهما وجه التفضيل بين حكايتهما . وحينئذ بدأت آذربون بسرد الحكاية فقالت :

قصة ماهان وما جرى له مما يشيب الولدان

اعلم أيها الملك السعيد انه كان في مصر السعيدة تاجر واسع الثروة كثير الأموال ولعظم غناه لقب بشيخ التجار . ولهذا التاجر ولد اسمه ماهان في الخامسة عشرة من عمره كان يهتم بتربيته وتعليمه .

ولما كان ماهان عاقلا وذكيا اجتهد في تحصيل العلوم والمعارف منذ صغره وكان مع ذلك جميل الطلعة . وكان في الصباح يذهب مع أبيه الى المخزن وفي المساء يرجع أيضا مع أبيه الى البيت ويصرف نصف الليل في القراءة ومطالعة الكتب وأحيانا يبقى أبوه في البيت فيذهب هو وحده الى المخزن ويبيع ويشترى برقة ولطف ولسان عذب والناس يسرون منه ويشكرونه والتجار يثنون عليه ويمدحونه حتى أخذ من صغر سنه مكانة رفيعة وحل موقعا عاليا بين قلوب التجار وصار اسمه يذكر بالمديح والاطراء في المجتمعات والنوادى والحفلات وفي كل مكان يجتمع فيه التجار وصاروا يدعونه في الأسبوع مرة الى بيوتهم فيجيب دعوتهم ويبقى عندهم للمحادثة والمنادمة والمؤانسة الى نصف الليل وكان أبوه بالنظر لاعتقاده في نزاهة ابنه ودرايته وسعة عقله وعلمه لا يمانعه بل كان يقول لا بأس من الاجتماع في الاسبوع مرة للتسلي مع رفاقه . وقد عقد ماهان شركة مع أحد التجار فكان الغلام يقيم في المخزن للبيع والشراء وشريكه يذهب الى الخارج لاجل جلب البضائع والاتجار أيضا .

ولما كان شريكه مسافرا في احدى المدن لاجل أشغال تجارية دعا أحد التجار ماهان وبعض رفاقه كجارى العادة الى بيته الى حفلة حضرها جمع كبير من اخوانه التجار وزملائه المشهورين وبعض قضاء سهرة طويلة استصوب التجار أن يصرفوا اليوم الآتى في حديقة مشهورة في طرف المدينة فذهبوا اليها وجلسوا حول حوض من الماء في وسطها وأخذوا في ترويح النفوس بشرب الكؤوس وراق لهم كأس الصفا وانتشر بينهم لواء الوفا

ولما كان ماهان شابا لم تسبق له تجربة فان الخمر لعبت بلبه وأغرته على

الاكثار من الشرب فأفرط فيه أكثر من الجميع حتى سكر ولكن بالنظر لثباته وعزة نفسه لم يدع رفاقه يلحظون منه ذلك بل كان يجيب على أسئلتهم بلباقة وحكمة ولما لم يدركوا من ظواهره شـــدة سكره لم يكفوا عن تقديم الشراب اليه .

وأقبل المساء وجاء وقت العشاء فوضعت مائدة الطعام فأكلوا حتى اكتفوا ثم نهضوا عن الطعام وعادوا إلى أماكنهم حول الحوض ثم أخذوا فى المنادمة والبسط والمعاشرة الى الساعة الثانية من الليل وحينئذ شعر ماهان بغشيان ونقل على معدته فأراد أن يقيء فنهض من مكانه بثبات وشدة عزم وقصد البعد الى جهة نائية فسأله رفاقه اذا كان يريد الذهاب . فقال كلا وانما أطوف قليلا فى أطراف هذه الحديقة فلم يعترضوا عليه بل شغلوا بحظهم وبسطهم .

وابتعد ماهان عن المجلس الى طرف الحديقة فتقايأ قليلا فشعر براحة وقد عاد اليه وعيه وصحا من سكره على نوع ما فأخذ يتمشى بين الأشجار وبينما هو يطوف من جهة الى ثانية وقد انتهى الى جهة الباب رأى شبحا تحت ظلام ذلك الليل فاندهش وتعجب ووقف ينتظر دنوه اليه .

ولما قرب الشبح اليه أمعن فيه تبين له أنه شريكه الذي كان مسافرا فتقدم اليه وأظهر له كأنه يعلم أنه فى ذلك المكان فجاء ليراه وسلم عليه فتعجب ماهان عندما رآه وقال له ماذا أتى بك ياأخي الى هنا وفى أى وقت رجعت من السفر وكيف وجدت فى هذا المكان ولماذا أتيت فى وقت ضيق مثل هذا فأجابه شريكه انى ذهبت الى المدينة الفلانية فحالا وبأسرع ما يمكن بعت كل ما معى من البضاعة وربحت فيها أرباحا وافرة ثم صادفت أصنافاً من البضاعة تباع هناك رخيصة جداً فاشتريت بكل الدراهم التى معى منها وعدت فى الحال وكانت سفرة موفقة لا أظن يوجد سفرة أوفق منها وأتيت فى الساعة الواحدة من هذه الليلة فوجدت باب المدينة مقفلا لا يمكن للقافلة الدخول ليلا فأنزلتها فى الخان الفلانى فى المحل الفلانى وقد أدركت أنك هنا فأتيت لأخبرك . والآن هلم نذهب معا ومهما حصل فليحصل اذ يلزم أن نخرج بضايعنا الآن واذا أرشينا البواب سمح لنا بالدخول ليلا فأولا نخلص البضائع من رسم الدخول ثم من خطر الليل وكذلك نكون فى الصباح عند ازدحام السوق مباشرين بيعها ولا يخفاك ما يكون لنا فى ذلك من الفوائد والأرباح والاقتصاد وعندى أن هذه البضائع سترنح معنا أرباحا

باهظة جداً ومتى رأيتها وعلمت أصل ثمنها تأكد لك مقدار الأرباح المنتظرة منها وصدق قولي .

فلما سمع ماهان من شريكه خبر الأرباح والمنفعة لعب به الطمع وحب المال وقال له هلم يا أخي لقد فعلت حسنا فسار شريكه وسار فى أثره حتى خرجا من الحديقة واستلما الصحراء ومع أن ماهان كان سكرانا لم يفكر بشيء من تأثير الخمر بل أخذ يصحو شيئا فشيئا حتى الرابعة بعد نصف الليل وهو يسرع الجري فى أثر شريكه وقد بدأ به التعب وخطر له أن شريكه قد وضع البضائع فى مكان بعيد فقال له الى أين سائرين الآن فقد أبعدت المكان وهل لا يزال بعيداً فأجاب شريكه كلا بل صار المكان قريبا ولازم السير وهو فى أثره وكلما سأله يقول له أصبح المكان قريبا حتى قرب وقت الصباح فتعب جدا وزاد اندهاشه وتكدر من شريكه فصاح من الغضب ماهذا العمل لقد أخرجتنى من حفلة حظى وسرت بي فى القفار وفى طرق لا أعلمها وأنا سكران وفوق كل ذلك مرادك تسحبنى الى آخر العالم لقد تعبت رجلاى من المشي ففي أى جهنم وضعت هذه البضائع . فأجابه الشريك بلين ولطف لم يبق وجه اللوم يا أخى نعم ان المكان بعيد ولكننا وصلنا اليه ولم يبق أمامنا الا مسافة قليلة وسوف تتأكد ذلك ثم أسرع فى الجرى فلم ير ماهان بدا من تأثره وهو فى حالة غيظ وغضب وكدر من شريكه وما سار مقدار نصف ساعة حتى بدأ الشفق أن يظهر فى الشرق ونور الصباح ينجلي شيئا فشيئا وحينئذ نظر الى أمامه وحواليه فلم ير شريكه ولا تبين له أثرا فزاد كدره ووقف مبهوتا ثم جلس يستريح على الأرض ولم يعد قادرا أن يقف ثم ألقي رأسه الي الأرض فنام لأن تأثير السكر والتعب والغيظ والسهر تغلب عليه حتي لم يعد قادرا أن يضبط نفسه وبقي نائما الي نصف النهار حيث لدغته حرارة الشمس فاستيقظ مرتاحا صاحيا والتفت الى ماحواليه فلم ير أثر للعمران والسكان ولم ير أمامه الا الاحراش والادغال والبرارى والقفار والسهول والاوعار والجبال العالية المحيطة بالمكان الموجود فيه وجعل يسمع فحيح الحيات وزئير الأسود وأصوات الوحوش على اختلاف أجناسها وهو يراها تمر وتوغل في الفلاة فيظهر غيرها أسرابا أسرابا فوقع الخوف والرعب فى قلبه وبلغت روحه التراقى فلبث فى وهق الخوف واليأس مقدار ساعة ومع أن الوحوش كانت تراه فلم تدنو منه ولا أضرته بشيء ثم أخذ قلبه يتقوى شيئا فشيئا ولم ير بدا من المسير عساه يدرك

العمران قبل دنو الظلام فصلى لله وسأله المعونة وسلم حياته واتكل عليه في حفظها ونهض يعدو متكلا أيضا على الله في الطريق الذى يقصده لأنه كان لا يعلم الى أى جهة يسير والى أية جهة يقصد ليصل للطريق العام وبقي في مسيره حتى أقبل المساء فعاد اليه خوفه ورعبه واحتار ماذا يعمل وكان وهو سائر يخاف من ظله .

وعند حلول المساء كاد عقله يذهب من رأسه فان التعب والجوع والعطش قد أنهك جسمه ولكنه نسى كل ذلك وعظم عليه الخوف والفزع حتى توهم عند حلول الليل أن الجبال سقطت على صدره فضاق وثقل عليه الأمر فجعل يتضرع إلى الله ويبكى ويقول ماذا جرى عليّ يا ربى من أين جاءتنى هذه المصيبة يا ليتنى لم أوجد فى الدنيا نعم ان الدنيا يومان يوم شقاء ويوم رخاء . لكنى لا أرغب في يوم الرخاء ان كان لا بد من يوم الشقاء . ما الفائدة ان الأمر ليس حسب رغبتي . فالآن ماذا أعمل والى أين أذهب كيف أجد الطريق وفى أية جهة الطريق وذاك الشخص الذى ظهر كأنه شريكي أين ذهب ، هل كان بالحقيقة شريكى أو هل هو شخص آخر لا ريب أنه جنى لا أعلم ما هو والآن ماذا أفعل وكيف أنام وماذا آكل .

والحاصل أنه بعد البكاء ولوم نفسه وزمانه لم ير وسيلة الا أن يلجأ الى احدى المغائر وهو يرى أمام عينيه أن كل عود أفعى وكل شجرة وحشا وفيما هو يفكر فى أمره سمع صوت انسان آت لنحوه فسر ماهان من سماعه هذا الصوت وأمل النجاة وحدثته نفسه بالخلاص ونظر إلى جهة الصوت فرأي رجلا عجوزا وعن خلفه امرأته وعلى كتفيهما الحطب ولما وصلا من باب المغارة ونظر الشيخ ماهان أظهر التعجب والاندهاش . وقال من أنت يارجل ولماذا أتيت هذا المكان وكيف وقعت هنا مع أنه مكان الغيلان ومسكنها فاذا وجدت إنسانا لا تصبر عليه بل تمزقه اربا اربا فطار عقل ماهان عند سماعه هذا الكلام ووقع على الشيخ يسأله المعونة والمساعدة وقال له أرجوك ياسيدى الرحمة والمساعدة فانى لم آت بارادتى إلى هذا المكان فانا ابن أحد التجار وبينما كنت أتمشي في الحديقة جاءني شخص بصفة شريك وقادني إلى هذه الأماكن وأنا لا أعلم الآن إلى أية جهة أذهب ولا أعرف كيف أتخلص وأعود الى العمران وقد صرفت

هذا اليوم وأنا فى غاية الجوع والعطش وقد طفت كثيرا فلم أهتد الى الطريق العام وأعاد عليه قصته بتمامها .

فقال الشيخ ان أمرك أحزنني فقد تعذبت كثيرا ولاقيت كثيرا ومن حسن حظك انى صادفتك هنا لأخلصك فالرجل الذى أتاك بصفة شريكك هو لا ريب غول وقد أراد ان يقودك الى مكانه فأدركه النهار أو فى عزمه أن تهلك فى هذه الصحراء من العطش والجوع . فهلم يا ولدى سر خلفي ولكن حذار من أن تخرج صوتك من فمك أو تتفوه بكلمة والا فانى لا أعود قادرا على خلاصك . ثم قبض على ماهان من يده وسار به وسارت العجوز معهما واذ كان الليل حالك الظلام ساروا بسرعة كلية . ومن شدة الخوف لم يخرج صوته قط بل كان يسرع فى الجرى ويرتجف عند كل حركة ولا يعلم الى أين يقوده الشيخ وزوجته بل كان متعجبا منهما متيقنا أنهما لا يقصدان به ضرا ولا زال على سيره حتى ظهر الشفق وبدأ نور النهار بالجلاء وحينئذ افتقد الشيخ وزوجته فلم ير لهما أثرا وقد اختفيا بغتة ولم يشاهد أمامه الا صحراء واسعة وجبالا مرتفعة ووحوشا تزأر وحيات تنفث وغربانا تنعق

وعندما رأي ماهان نفسه على هذه الحالة عاد اليه الخوف بأكثر من الأول ووقع على الأرض مغشيا عليه وبعد ساعة رجع اليه وعيه وهو يكاد يجن من عظم الأخطار المخيفة المحدقة به ولكن لما كان من طبع الانسان المحافظة على حياته والاجتهاد لحفظ سلامته بمنتهى قواه لم ير وسيلة الا السير والتفتيش على الطريق العام عله يهتدى اليه ويتخلص من برية التيهان لأنه لو بقي فى مكانه سنة لما استفاد فائدة لا سيما وأن المخاطر محدقة به من كل جهة واحدة ، الجوع والعطش وقلة النوم والتعب والخوف وقد اضطر لشدة الجوع أن يأكل من نبات الأرض ما يراه طريا وصالحا للاكل ولكن لعدم وجود ماء يروي به ظمأه لصق لسانه بحلقه وكان يسأل الله أن يهديه الى الصواب ويخلصه من هذا العذاب ويفرج عنه تلك المخاطر ويحفظ حياته من الضوارى والوحوش المفترسة

وبعد أن بقي برهة على هذه الحالة رأى نفسه باضطرار للنوم ولو قليلا ليقدر على الثبات فى مقاومة ما يتهدده من الاتعاب والأخطار فانسحب الى مغارة هناك فنام فيها قليلا بعد أن تقلب وتفكر أكثر من ساعتين ثم نهض أيضا والخوف نصب عينيه فخرج من المغارة وكانت الشمس شديدة الحرارة فغطى رأسه بطرف ثوبه واستلم الصحراء وبدأ فى السير والطواف بهمة ونشاط وصلاة

لا تنقطع وطلبات متواصلة ولا زال على ذلك حتى المساء فلم يتوقف لايجاد طريق الخلاص فخطر له أن يقتل نفسه ويتخلص من هذا العذاب الاليم لكن حب الحياة منعه فوقف يفكر كيف يصرف تلك الليلة وأين يختبىء وماذا يفعل وفيما هو على مثل ذلك سمع صوت وقع اقدام جواد فكاد يذهب عقله من رأسه وأخذ يرتجف قائلا فى نفسه هذا مصاب جديد يدنو منى .

ثم التفت الى جهة الصوت فرأى فارسا يتقدم اليه وهو يقود جوادا آخر فى يده فلما وصل اليه صاح فيه أي خبيث محتال لماذا أنت تمشى فى هذه النواحى شغلك فى وقت الليل فى هذه الأرض ، لقد أتيت الى هذا المكان لتنظر عالم الجن وتطلع على أحوالهم فاذا كنت لا تتكلم الصحيح لا خلاص لك من يدى فاضطرب ماهان من كلام الفارس وخاف منه ثم قال له العفو يا أخى اكراما لله اقتلنى وأرحنى من العذاب الذى وقعت فيه فانى أنا كدت أقتل نفسي مرارا ولم أجسر على ذلك ، فأظهر الفارس الحيرة من كلامه وقال له ما معنى هذا الكلام هل أتيت بين الجان بالرغم عنك ولماذا أنت كاره فى الحياة .

فقال ماهان نعم ان الدهر الغدار قد أوصلنى إلى هذه الديار ولم أجد لى معينا أو مساعدا ولا رأيت أنيسا أو مخلصا يخلصني من حالتى الحاضرة وأنا تعس لا أعرف من الذى أوصلنى إلى هذه الصحراء وما هي هذه الأرض التى أرعبتنى وأخافتني كثيرا

ثم حكى له السبب وأعاد عليه القصة من أولها إلى آخرها منذ كان فى الحديقة إلى تلك الساعة فتعجب الفارس وقال له اشكر الله على خلاصك فان الشيخ والعجوز اللذين قد صادفتهما فى ليل الأسر هما من الغيلان وأنا نفسي أتعجب كيف أنهما أبقيا عليك وربما كان بفكرهما أن يأتيا بك إلى محل اقامتهما ويأكلانك لكن أدركهما الشفق ونور النهار فخافا واختفيا . لأن النور يخيف الغيلان ولو لم يدركهما النهار لأتيا بك مكانهما وقطعاك قطعا فاشكر الله الذى لم يصلا إلى مكانهما وأدركهما النهار فهربا والآن سر خلفى ولا تخف فانى أخلصك من عذابك ثم قبض على يد ماهان ورفعه إلى ظهر الجواد وسارا يضربان فى تلك الصحراء تحت ظلام الليل

وكان ماهان قد تسلى على نوع ما ولكنه لم يكن مطمئنا للغاية لانه وان كان

يعلم انه تخلص فى الليلة الماضية من مصاب عظيم فقد وقع فى مصاب اعظم لكن ما الوسيلة وماذا يقدر أن يعمل غير الاتكال على الله والتسليم لارادته واندفع بجرى وراء الفارس وكان الفارس ينظر اليه المرة بعد الثانية ويقويه ويطمنه ويقول له لا تخف فقد تخلصت من العذاب فلا تغفل عن ذكر الله .

فقطعا الجبل على هذه الصفة وطافا في السهل وكان النسيم لطيفا وبينما كان الفارس يسلى ماهان ويشدد عزائمه سمع ماهان صوت طنبور وغناء

ثم عقب ذلك صوت ينادى قائلا (اخرج عن هذه الجهة . الى هنا تعال . لاتذهب الى هناك) وتبع ذلك أصوات كثيرة فدفق ماهان النظر واذا به يرى فى تلك الصحراء الكبيرة نحو ألف أو ألف وخمسمائة من الغيلان قد تجمعوا الى بعضهم البعض وكل واحد يضاهي العفريت قباحة ومنظراوهم فى هرج ومرج كأن القيامة قدقامت بينهم فاضطرب ماهان وخاف كثيرا وكاد يغيب عن صوابه ووصلت روحه الى حد شفتيه .

ثم لاحت منه التفاتة الى بعيد فرأى أيضا نحو ألفى عفريت بالمشاعل وهم سود الوجوه قباح المناظر يترنمون ويغنون بأصوات كريهة جدا وقد وضع الواحد منهم يديه بيد الآخر وهم يرقصون ويلعبون .

ثم رأى عفريتين من العفاريت الأوائل قد خرجا من بين فرقتهما وخفا لاستقبال هؤلاء ، ولم يكن إلا القليل حتى اختلط الفريقان بعضهما ببعض ودار بينهما الرقص والنط واللعب ، وحالما رأى ماهان هذه الحال شعر بأن الجواد من تحته بدأ بالرقص فتعجب وقال ماذا جرى للجواد وإذا به يري النار تقذف من فمه وقد تغيرت هيئته وصار كهيئة العفريت فزاد عليه الوهم والخوف حتى غاب عن هداه فوقع الى الأرض مغشيا عليه وكان قد تيقن من قرب الاجل وبقى فى غيبوبته الى نصف اليوم الثاني فانتبه من نفسه فلم ير أحدا فى تلك الصحراء وما زال تائها حتي عثر على طريق ففرح واستصوب السير فيه فتطرقه وسار على بركة الله ، وقد كان الطريق المذكور صعب المسلك كثير الصعوبات الا أن الخوف هون لديه كل صعب فلم يتوقف عن السير ولا تردد فيه بل بقى يتقدم حتى قرب المساء وحينئذ لاح له شجرة كبيرة أمامه فقصدها ولما دنا منها رأي تحتها عين ماء فطار من الفرح فجلس وشرب قليلا وبعد ان هدأ روعه وارتاح قليلا شكر الله وطلب اليه قائلا الهى ارحم عبدك لأنى لا قدرة لى على تحمل

هذه المشاق إلهي أنت حاضر وناظر ولا رجاء لي في غيرك ولا مساعد لي سواك العفو يا الهي من أين جاءتني هذه المشقة وهذا العذاب فاهدني الي ما فيه خيري وخلصني من الخطر يا رحيم يا رحمن ياواسع الملك يا سلطان وكان يتكلم والدموع تسيل من عينيه كالسواقي .

وبعد أن قضى نحو ساعة على الاستغاثة والبكاء عاد فتناول جرعة ثانية من الماء وغاص في الافكار وقد خطر له على باله بلاده وأهله واخوانه فتقطع قلبه حسرة عليها لانه كان عائشا بالراحة عند أهله والحظ والانشراح مع رفاقه لا يعرف قط كيف يكون الهم ولا من أين يأتي الغم بل دائما على الهناء والسرور وبقي أيضا هو مدة يتذكر سابق أيامه ويأتي على باله كل ما هو عزيز ومحبوب فتساقطت الدموع من عينيه فيعود الى البكاء والندم ولوم الدهر وأعماله ثم يعود الى الاستغاثة بالله والاتكال عليه .

وبعد كل ذلك قال في نفسه ان قمت أنا الآن لأذهب عدت إلى البلاء والعذاب وإذا لم أذهب فلا خلاص لي من المشاق والمخاطر فكيف العمل ثم خطر له أن ينزوى إلي مكان خفي ينام فيه تلك الليلة إلي أن يشرق الصباح فنهض من مكانه وأخذ يبحث عن مكان ينام فيه في تلك الجهة فتبين مغارة قريبة فدخلها ولبث فيها نحوا من ساعتين ينتظر مصابا جديداً فلم يصادف شيئا فشكر الله على ذلك .

ولما هدأ باله وسكن خاطره على نوع ما ألقى رأسه إلى الأرض فنام فعاودته الأحلام المخيفة فاستيقظ مرعوبا وجلس خائفا وكانت عيناه قد ورمتا من شدة البكاء وسكب الدموع فعاد الى التأوه والأنين وزاد عليه الضجر والملل وعادت اليه ذكرى أهله وأبيه فعظم الامر عليه وقال في نفسه ماذا يا ترى يكون جرى على أبي هل يبقى حيا اذا افتقدني ولم يرني وانتظرني ولم أعد اليه أواه واحسرتاه عليك أيها الاب المسكين لا ريب أنك تموت أو تقاسي عذاب الفراق والحسرة على بعدي وهذا أشد وقعا من الموت :

أواه من فعل الزمان وما أتى ● من المصاب والبلايا والمحن
فطر القلوب من الفراق وفعله أوهى البدن

أواه أين هي راحة الانسان في هذه الدنيا بالحقيقة لا يوجد راحة وكل من قال أنه مرتاح فهو كذاب فلا تضحك الدنيا يوما إلا وتبكي سنة وقد يمكن

أنه توجد الراحة بين البدو والعالم المتوحش هكذا نظن لكن من يعلم نعم انهم لا يفكرون بشيء ولا يعرفون شيئا ولكنهم ذوو احساس مثلنا يشعرون بالالم والوجع كنت قبل الآن عائشا بنعمة وراحة لا أفكر بأمر الا الحظ والعمل بالراحة ومن أين يرضي الزمان لي هذه الحال وهو أبو المصائب .

وعلى هذه الصورة جلس في زاوية من المغارة يفكر في ماضيه ويناجي نفسه ويسأل ربه المساعدة والخلاص من هذا الضيق الذي وقع فيه وفيما هو كذلك لاح له بصيص نور في الزاوية الثانية من المغارة كأنه سراج الليل ومع أن ماهان كان في حالة مخيفة وارتباك واضطرب وقد مر عليه من المخاوف ما جعله يخاف من تحريك ورق الشجر لكنه في هذه المدة لم يبق مستكنا في مكانه بل حمله الطمع والفضول على أن ينهض من مكانه ويتقدم شيئا فشيئا الى جهة النور ولما دنا منه وجد ثقبا في الارض يخرج منه النور فتعجب من وجود ثقوب بالارض ومد اصبعه في الثقب فوسعه فرأى النور قد زاد بقدر اتساع الثقب .

وحينئذ أخذ حجرا وجعل يوسعه حتى أصبح في درجة يمكن للانسان الدخول منها وإذا به يرى سلما عريضا منحدرا إلى أسفل فرجع إلى الوراء وأخذ يعمل فكره قائلا في نفسه ماذا أعمل أبقى هنا أو أنزل إلى أسفل لا أعرف متى تأتيني المصيبة فاذا بقيت هنا ربما يأتي أحد الغيلان المخيفة فيزيد رعبي وخوفي أو ربما يأتي بلاء آخر وإذا نزلت إلى أسفل ربما صادفت أيضا من المخاوف مالا أعلمه وبعد التفكر قال في نفسه الأحسن أن أنزل وأري ما يوجد أسفل ومهما وجد فاني أظن أنه لا يوجد من العالم المخيف الذي أصادفه في الصحراء فتحت الأرض أكثر اطمئنانا من فوق الارض .

ثم أخذ في النزول على السلم بتمهل وتأن وإمعان وبعد أن نزل نحواً من عشر درجات أو خمسة عشر رأى حائطا عاليا جدا ورأى فيه بابا كبيرا جدا فنظر داخل الباب فرأي الجهات مضيئة منيرة كالنهار فوقف مبهوتا متحيرا وقد خاف أن يدخل فيصادف ما يخيفه ولكن الروائح العطرية المنبعثة من الداخل دفعته الى الدخول بالرغم عن مخاوفه وكان الباب مفتوحا فوجد في الداخل حديقة غناء مزهره كبيرة جدا لا يعرف أولها من آخرها وأرضها مفروشة بالأزهار البديعة والالوان القوية الرائحة والاشجار قائمة صفا صفا من تفاح

واجاص ورمان ونحوها والاثمار مدلاة عليها على قدر البطيخة وقد نضجت حتى طاب أكلها وهى تنير على الاغصان كالنور لحسن نضجها وصفاء لونها والماء يتجدول بين تلك الاشجار بترتيب وصنعة غريبة وقد جعل حول جداول الماء طريق من الحصا الابيض بلون الفضة .

ثم تقدم فرأى فى وسط الحديقة فسحة مفروشة بأنواع المفروشات والبسط وقد نصب فيها سرير من الصندل

ومع كل ذلك لم ير فى تلك النواحى روحا تدب فتعجب من ذلك وبقى برهة يتأمل فى الحديقة وما يراه فيها من أسباب النعيم والراحة وكيف هى خالية من السكان وأخذ ينتقل من جهة إلى ثانية ومن مكان الى آخر ولما لم ير أحدا تاقت نفسه لاقتطاف بعض الاثمار والتقوت بها فمد يده وتناول واحده منها فأكلها ثم تناول غيرها وبينما هو يقطف ويأكل سمع صوتا يقول اللص اللص امسكوه فنظر الى جهة الصوت واذا برجل شيخ على كتفه عامود من الخشب قد انقض عليه فاحتار ماهان واندهش من عمل الشيخ وقال فى نفسه هــذا مصاب جديد قد وقعت فيه وتوارى خلف شجرة ليحافظ على حياته من صولة الشيخ وصار يعاتب الدهر قائلا .

أواه منك أيها الدهر الغدار الظالم ان الانسان لا يتناول نقطة ماء صاف مالم تجرعه ألوف نقاط من السم فى مقابلها

أواه أيها الزمان الجائر ماذا أعمل لأتخلص والى اين أهرب لأفلت من يديك لاقيت مالاقيت من العذاب وأنت ساكت عنى ولما وصلت الى محل الراحة والسكينة واشتهت نفسي واحدة من هذه الفاكهة الشهية لم تصبر على لأتمم أكلها حتى فجأتنى بغدرك قبل أن تستقر فى جوفى :

ولم يكن الا القليل حتى وصل الشيخ منه وقال له ويلك أيها الخبيث كيف أتيت الى هنا فى مثل هذا الوقت المظلم هل قادتك المنية بيديها لكى تخرب لى حديقتى ولى عشرات من السنين وأنا أعمل فيها فهل يمكن لك الخلاص من يدى ومن في الدنيا يقوى على ذلك فأخذ ماهان يقبل أيادى الرجل ويتوسل اليه وقال له العفو ياوالدى تمهل واسمع مني شرح حالى لتعرف ان كنت لصا أم لا وبعده افعل ما أنت فاعل اذا لم تحب أن تعذرني .

فلما سمع الشيخ كلام ماهان دقق النظر فى وجهه متعجبا ثم رمي العمود

الى الارض وأسند نفسه على الشجرة وقال له أخبرنى اذاً بواقعة حالك ومن أنت وكيف أتيت هذا المكان .

واذ ذاك أخذ ماهان فى شرح حالة للشيخ فقال له أكد يا أبى أنى عجزت من عناد الدهر حتي صرت أتمني الموت لأتخلص من عذابى الحالى ولكن أين الموت وهو يهرب من وجهى .

فأنا ابن رجل من تجار مصر الاغنياء وقد صرفت وقتاجميلا فى مصر براحة ومسرة فى بيت أبى وبينما كنت غارقا ببحر الهناء واللذات مع بعض أصحابى وأصدقائى حسدنى الدهر واستصوب إنزالى من سماء الهناء الى جهنم العناء .

ففي البداية سخر أحد الجن فظهر لي بهيئة شريك لى فغشني فأخرجني بالحيلة من بلدي ومكان راحتى فوقعت فى أرض مخيفة لاقيت فيها عذاب الهون ولم يكتف بكل ذلك بل قيض لي شيخا مسنا وزوجته العجوز فتظاهرا بالغيرة على فطافا بى الصحراء الليل بطوله وهما يقودانى الي الهلاك ومع ذلك فان عملهما معى بحسب رحمة بالنسبة لما صادفته بعد ذلك فسخر لى فارسالي أتانى وزعم أنه عامل علي خلاصي وهنأني بخلاصى من العجوز والشيخ لأنهما من الغيلان وأركبنى جوادا وقد ظهر لى أنه أكبر عدو لى فقد قادني بين ألوف من الجن والعفاريت والغيلان لا أعلم وكلهم قباح المنظر لا يمكن للانسان أن ينظر الواحد منهم بدون خوف وفزع والحاصل أننى تخلصت من هؤلاء أيضا وأنا فى غاية الجوع والعطش فقادنى الدهر الي هذه الجنينة وأراني الأثمار الشهية من كل أنواعها فتحركت بى شهوة النفس واشتد بى الجوع ولما مددت يدى وقطفت واحدة منها دفعك الى فتوهمت انى لص أتيت لاخرب لك الحديقة مع أنى لولا الجوع وشدته لما تجاسرت لمد يدى قط فهاك قصتى فاحكم بينى وبين زمانى وكن إبى راحما يرحمك الله .

فأظهر الشيخ تأثره من كلام ماهان ومما جري عليه وتأسف على حالته حتى سال الدمع من عينيه حزنا عليه .

وقال له يا للعجائب هل كل ما أخبرتني به حق صحيح وهل يدخل العقل أن هذه المصائب تقع على رأس الانسان وانى أتعجب منك كيف قدرت أن تثبت فى وجه هذه المخاوف والشدائد واهنئك الآن بالخلاص لأن رأس مال المصائب السلامة فادمت سالما فالذى مر عليك كأنه ما كان فلا تتكدر يا ولدى

ولا تحزن . فاقبلني لك فى مكان الأب وإني أترك لك أملاكي وأموالى وموجوداتى الغزيرة إذ لا ولد ذكر لي ولى خمسون سنة وأنا أعتنى بهذه الحديقة وأخدمها بنفسى حتي أصبحت عندى بمقام عزيز على جدا فى الواقع فأنى أفضلها على نور عينى لكثرة عنايتى بها وحبي لها والآن ان كنت تقبل أن تكون بمثابة ولدى أهب إليك جميع أموالى وأزوجك فتاة جميلة وحسناء جدا وتعيش معي بهناء وراحة لم تر مثلها عمرك فتنسي وطنك وبيت أبيك

فأبدي ماهان الفرح عند سماعه هذه البشارة من فم الشيخ فعاد الى تقبيل يديه ثانيا وقال العفو ياسيدى أنا عبد لك وليس من حدى انه أكون ابنا لك لأن حظي الاسود لا يؤهلني لقبول مثل هذه النعمة التي لا تليق بى ولست أهلا لها ومن أين للزمان أن يساعدنى على هذا الحظ إن ذلك لمن أعجب العجب

فأجاب الشيخ كلا يا ولدي فما هذا الكلام الذي تتكلم به فلا تقطع آمالك من مساعدة الايام فان فرحا بدون كدر لا يصير وراحة بدون محنة لا تقع وهذا أمر ظاهر فان الراحة والسكينة يعقبهما العذاب والمشقة ومتى انسحب العذاب والمشقة حل محلهما الراحة والسعادة ومن المقرر أن الراحة بعد المشقة تكون لذيذة وحلوة والمحنة التي تجيء بعد الراحة تكون صعبة جدا ولاجل ذلك فبعد أن انقطت محنتك واوقات عذابك وصلت إلى ميدان الراحة والسعادة فلا تندم فقط عليك أن تصغى لى ولا تخالفني . فأكثر ماهان من الدعاء للشيخ والثناء عليه

وقال له كيف لا أصغي اليك وأسمع كلامك مع أنك تنازلت إلى حد أن قبلتنى عندك واهتممت على مساعدتى فماذا أريد من الله غير ذلك وحينئذ أخذ الشيخ ماهان من يده وقبله فى جبينه وعاهده على أن يكون له أبا ومساعدا وحنونا وكذلك عاهده الآخر بأن يكون له ابنا طائعا محبا وعلى ذلك أصبح منهما ينظر إلى الآخر نظر الحب والامتنان وقد سر ماهان مما أوصل الزمان اليه وقال فى نفسه انى أقيم الآن عند هذا الشيخ وأتخلص من كل عذاب وعناء واتخذه أبا لى ومعينا فى حياتى الي أن يقضى الله أمرا كان مقدورا .

ومن ثم قال الشيخ لماهان انت تعلم ياولدى أن هذا المكان بعيد عن العمران وهو مكان الغيلان والعفاريت ولأجل ذلك أنشأت هذه الحديقة تحت الارض ومع ذلك فان لست أمينا على نفسى فى وقت الليل فانى أذهب كل ليلة الى بيتي وآتى فى الصباح فاذا شئت اذهب معى الي بيتى وإذا كنت ترغب فى أن تبقي

هنا فأدلك على مكان حصين خفي عن العيون تبيت فيه الى الصباح وفى الصباح نذهب سواءا الى البيت فأريك أموالى وجواهرى وأسلمك الجميع وأستريح انا من العمل .

فأطرق ماهان متفكرا عند سماعه كلام الشيخ وقد قال في نفسه من يعلم إذا كان الشيخ صادقا فى كلامة أم لا فلربما إذا ذهبت معه إلى البيت اقع هناك ببلاء عظيم أليس الرجل الذي صادفني في الأمس قد أظهر لي من الغيرة والاهتمام ما أكد لى أنه سيخلصني ثم اتضح لى أنه غول وقادنى إلى البلاء وسحبنى إلى داخلية الصحراء عوضا أن يخلصنى وربما لولا بزوغ الصباح لكان أهلكني فالأوفق أن أبقى هنا هذه الليلة فأنام مستريحا إلى الصباح وفي الصباح أعرف إن كان الشيخ كاذبا أم صادقا وهل هو انس أم جن وأخيرا قال الشيخ أرجوك ياسيدى أن تسمح لى أن أبقي هذه الليلة فى هذا المكان لأن مالاقيته فى الامس من الاتعاب وصادفته من المصائب أنهك جسمى فأرغب إذا سمحت لي أن أستريح فى هذا المكان وفى الغد نذهب إلى حيث أمرت .

فحينئذ قبض الشيخ على يد ماهان وقال له إن كان الأمر كذلك فهلم لأريك المكان الذى تنام فيه فتكون مستريحا فى هذه الليلة .

ثم سحبه إلى شجرة صندل عند حوض الحديقة وأراه سلما من الجلد معلقا فيها وقال له اصعد يا والدى الى الأعلى وهناك ترى على قاعدة الاغصان محلا مصنوعا من الخشب على شكل تخت وهناك أيضا سفرة من الطعام عليها من الأطعمة عدة ألوان فيمكنك اذا جعت أن تأكل ما تشتهى نفسك منها وهناك سرير النوم فقط أنصح لك ياولدى فاصغ لى وان كان هذا المكان خالى من السكان لكن ربما يأتى اليه أحد من الغيلان أو العالم الوحشى فهذا المخبأ أحفظ مكان يمكنك أن تختفي فيه عن العيون فابق فيه الى الصباح واذا نزلت قبل الصباح ربما صادفت مصابا جديدا وأكرر لك النصيحة فحذار من النزول مهما صادفت من الغرور والخزعبلات والأمور التى تتوق اليها نفسك والا فلا تلومن الا نفسك .

واذ ذاك اندهش ماهان من كلام الشيخ وصار يردد فى نفسه ان كان كما يقول عن وجود خوف فى هذا المكان فالاوفق أن أذهب الى بيته لكن لا أذهب فانه يغشنى ويخيفنى لاذهب معه الى البيت ألم أتعلم من كل ماوقع على رأسى من المصائب والتجارب والذى أراه أن هذا الشيخ أكبر مصيبة لى وأعظم

بلية لأنه يقول لى هلم معى الى البيت فى مثل هذا الوقت وتحت الظلام فكيف يمكنني أن أسير معه فى الصحراء ولا ريب أنه يقصد بى شرا

ثم قال للشيخ انى حسب أمرك سأنام فى الشجرة ولا أنزل الى أسفل . وفي الحال تساق السلم وصعدا الى أعلى الشجرة لينام .

أما الشيخ فانه ترك ماهان وذهب وبقى ماهان خافق القلب ينظر من الشجرة الى جهات الجنينة الأربع بخوف وقلق وهو يدعو الله أن يصونه تلك الليلة من وقوع مصيبة جديدة لأنه لم يعد قادرا على احتمال المصائب والشدائد وفيما هو على مثل ذلك يرجو رحمة الله والتفاته ويسأله الاغاثة والمعونة رأي نحوا من خمسين أوستين مشعلا مقبلة من أطراف الجنينة ولما صارت على قرب منه رأي مقدار ثلاثين فتاة علي جانب من الحسن والجمال والبهاء والكمال وفى وسطهن صبية تتمايل كغصن البان وقد لبست ثياب الحسن والجمال بما ميزها عن الجميع ورفعها عنهن فى كل شيء .

فلما رآهن ماهان خفق قلبه وقال في نفسه ها قد دنت مني مصيبة جديدة ما هذا البخت وهذا الطالع المنحوس . لا تمر علي براحة . ولكنه عاد فغالط نفسه وقال كلا ان هذه ليست مصيبة كما أتوهم بل ان الله سبحانه وتعالى قد استجاب دعائي وسمع صوت استغاثتي فأراد أن يخلصني من محني الماضية ويظهر لى غزير رحمته واحسانه انى أرى هذه الفتاة جميلة جدا لم أر مثلها زمانى بطوله لقد مال قلبي اليها أواه ياليت هذه الصبية تدعوني اليها فأصرف هذا الليل معها على الحظ والهناء وأتسلى بالتمتع بجمالها ووصالها (هذه حالة الانسان فهو ظالم لنفسه جهول قليل العقل لا يتخلص من البلاء والعذاب بل لا يزال محاطا بها من كل ناحية حتى يفكر فى الفسق والزنا ولا يخطر بباله أن ربما تكون هذه الصبية واحدة من البلايا المتراكمة عليه المتسابقة اليه) . ولما قرب الفتيات من الحوض نصبن عنده سريرا مزخرفا جميلا . فدنت الصبية الحسناء وجلست عليه ووقف باقي البنات حوالها صفا صفا

ثم ان الصبية أشارت فأحضرت سفرة من الطعام كثيرة الألوان داخل أطباق من الذهب المرصع بالحجارة الكريمة فنهضت من مكانها وهى تتمايل بدل وخفر وجلست على الطعام وشغلت فى الاكل .

وكان ماهان ينظر اليها بكمال الدقة والامعان فتاه عقله وكاد يغمي عليه

من شدة الوجد والغرام والجمال . وحيث انه كان قريبا من مجلس الصبية أخذ في أن يتفرج عليها جيدا ويشاهد كل معنى فيها وكان يلوح فى خاطره أن هذه الصبية هى بنت الشيخ وهؤلاء البنات هن خدمها ومن عادتهن أن يأتين فى الليل إلى هذه الحديقة للتسلي والحظ والانشراح .

ثم تأوه وقال آه كم هى جميلة كم هى بديعة وحسناء انى أكاد أن أقع مغشيا على ما هذا التأثير العجيب أواه ما هذه الشفاه العنابية ما هذه الحواجب والعيون السوداء وماهذا العنق اليقق البلوري الابيض انى لم أر مثلها زمانى بطوله فهل يا ترى أقدر أن أنال منها ما أشتهيه . وأتمتع بهذا الجمال الباهر . ان كانت بنت الشيخ صاحب هذا المكان فهى من نصيبي لامحالة لأنه وعدنى أن يزوجني بفتاة حسناء ويتخذنى كولده . وبقيت هذه الأفكار تقوى عليه وتتلاعب به وعيناه لاتفارق الصبية .

ثم ان الصبية بعد أن فرغت من تناول الطعام نهضت ومالت يمينا وشمالا ومشت الى السرير وهى تهز خصرها تارة وتحرك ردفها تارة أخرى وتلاعب عنقها آونة وتذبل عينيها أخرى وما استقر بها الجلوس حتي استوى كل جماعات البنات حولها وأخذت كل واحده منهن آلة طرب وأخذن فى الضرب عليها والغناء بأصوات فردوسية ودارت عليهن احدى الفتيات بكاسات الخمر وقد رقص ذلك المكان على نغمات الطرب وألحان المغنيات .

ولما مضى نحو من نصف ساعة عليهن وهن على تلك الحالة رفعت الصبية نظرها الى فوق فرأت ماهان محدقا بهن يتفرج عليهن فأرسلت في الحال واحدة من أتباعها وأمرتها أن تدعوه للاشتراك معهن على مائدة الحظ والبسط والانشراح .

فتقدمت الفتاة بقدماتس الى تحت الشجرة وخاطبت ماهان بلسان أعذب وغنج ساحر ودعته الى النزول والجلوس بينهن والاستئناس بهن فانجذب قلبه برنتها ودلالها وأراد النزول فى الحال ولكن طرأ على فكره قول الشيخ له حذار من النزول الي أسفل والا جلبت على نفسك بلاء عظيما ولذلك تردد فى النزول وأخذ يفكر فيما يجيب به وقد رآهن على أتم صفاء وأنس وما من داع للحذر . ولما رأته الفتاة على ما هو عليه من الارتياب قالت له لم هذا التردد والجفاء فان سيدتنا قد أمرتنى باحضارك اليها ليتم حظها بك لاننا جميعنا بنات

أبكار وليس بيننا رجل وهي تحب الغرباء وتكرمهن كثيرا وأنت لا ريب غريب عن هذه الديار فلا تحرم نفسك من ساعات حظ لم تر مثلها زمانك بطوله وقد ساقك الزمان الينا من حسن حظك وارتفاع نجم سعدك والدليل أن سيدتنا ما دعتك الا وقد مالت اليك وأحبتك من أول نظرة ولقيت فى قلبها موقعا حسنا مع أن كثيرا من الملوك وأبناء الملوك يتمنون أن يحصلوا على نظرة منها أو كلمة رضا من فيها وما انتهت الفتاة من كلامها حتي هبط ماهان من أعلى الشجرة الى أسفلها وسار بفرح لا يوصف الى جهة المجلس فنهض البنات جميعهن الي استقباله والترحيب به وقد حملته علي أيديهن وأتين به الي سيدتهن فعلقته بالبشر والترحيب وأجلسته الى جانبها واشتغلت بمصاحبته وملاعبته :

فنسى ماهان نفسه وما كان فيه من العذاب وغرق فى بحر الأنس والصفا ولم يعد يعلم ما فى الدنيا خربت أو عمرت وهل الزمان يحاربه أم يسالمه وهل هو تحت خطر أو تخلص من الأخطار ولم يعد همه الا النظر فى وجه الصبية والتمتع بملا عبتها وقد تحركت فيه نيران الشبوبية فنصب ماء الحياء من وجهه فأكثر من التطاول وقد لف يديه على عنقها فقبلها وكان يخطر له أنها ربما تمانع أو تدافع أو تغضب فلم تبد الا السرور والرضا فقال فى نفسه انها ولا ريب غريقة فى حبي قتيلة فى غرامي ولما رأي منها الطوع والانقياد وعدم الممانعة هاجت به الشهوة وحب الفسق فسألها السماح بالوصل فأسرعت الى الاجابة ونامت فى الحال علي السرير الجالسة عليه غير مختشية من وجود البنات فزاد ميل ماهان فلم يتأخر ولا تهامل .

وقد أعاد الكرة ثلاث أو أربع مرات وهى لديه أطوع من بنانه وفى كل مرة ينهض والصبية فيجلسان اما على سفرة الطعام واما على سفرة المدام ويطوف بهما البنات للخدمة وتاقى الاوامر وقد غابت عن خاطر ماهان الدنيا ومافيها وحسب ذلك من نعم الزمان وحسناته عليه فأكثر من الطعام ومن مناولة المدام وأفرط فى الجماع وسلوك الغابات والبقاع . ولم يعد يذكر ماذا يجرى عليه فى الصباح وما سيكون له في اليوم الثانى فكانت الصبية كثيرا ما تنهض مبدية ضروب الخلاعة والدلال فتسقيه المدام من يدها ثم تجلس على ركبته فتداعبه وتلاعبه وتمسح خدها وعنقها على شفتيه فيكثر من التقبيل والعناق حتى تهيج السواكن فيأتي العمل بغير مهل كل هذا والبنات يغنين ويطربن على الآلات

ويهيجن منه الاشواق وقد صرف الليلة على مثل هذه الحال بين نغمات وكاسات ونيل وصال .

وبقى ماهان يتسلى مع الصبية على مثل ما تقدم الى أن قرب وقت البزوغ وتبين أن الصباح صار قريبا فشعر بنوع من الغم لعلمه بقرب رجوع الشيخ ومع ذلك أراد أن يتودع من الصبية قبل الانفصال فقبض عليها من خصرها وجلسا على الطعام فأكلا حتي اكتفيا ثم عاد الى الشرب واللعب وسولت لماهان نفسه أيضا أن يعود أيضا الى الالتصاق بصدرها وختم ليله بختم شهوته فمد يده اليها فنامت فعلاها وكان شفق الصبح قد ظهر بالأفق وفيما هو مشغول بعمله رأى نفسه راكعا بين رجلى عفريت كريه المنظر قبيح الخلقة هائل مخيف لا يجسر الانسان مهما كان شجاعا على أن يرفع نظره الى وجهه كأنه خرج من جهنم فى تلك الساعة .

ولما رأي ماهان هذه الحال خاف جدا واحتار ماذا يعمل وقد جمد فى مكانه ولم يعد قادرا على التحرك من الخوف . أما العفريت فقال له ماذا جري لك ياحياتى لماذا هذا الخوف أين ذهبت محبتك ألم تكن أنت الذى كنت تقبل وجهى برغبة واشتياق ألم تكن أنت الذي تواصلني بوجد وهيام وكنت تارة تمص شفتى وتلحس خدى وتارة تطوق عنقي بيديك وتضمنى بحرقة زائدة الي صدرك أليس من العار عليك أن تفتر محبتك ورغبتك في وصالى مع أنى نفس الصبية الجميلة التى رأيتها ونفس المحبوبة التي أحببتها فلماذا أنت مندهش الآن

فلم يقو ماهان على الجواب ولكنه رفع عينيه الى السماء وقال العفو يارب ماهذه الاحوال وكيف هذا الامر ألا يمكن لك أن تخلصنى من جور وظلم الدهر الغدار الي متي تجلب لى هذه البلايا والمصائب والي متي أبقى هكذا مقهورا ومحزونا ألم تفرغ جعبتك من المصائب ألم تنته ألم يكف كل ما لحق بى من العذاب كيف تطيق نفسي الصبر وكيف يمكن قلبي التحمل ليتنى ما أتيت هذه الدنيا ولا رأيت من دهري المحنة والجفاء أواه ماذا أعمل وكيف الخلاص ثم تعاظم عليه الحال وكبر الامر فوقع على الارض مغمى عليه

وبعد أن بقى مقدار ساعة غائبا عن الصواب مطروحا على الحضيض عاد اليه وعيه وانتبه الى نفسه والتفت الى ماهو فيه فاندهش واضطرب زيادة عن الاول لانه رأي نفسه كمن قد خرج من الجنة الى الجحيم وقد خرج من الانس والصفا ماذا

رأى يا ترى رأى أن تلك الحديقة التي كانت عامرة بالأشجار والأزهار عبارة عن غابة من الأشواك وتلك المفروشات التي كانوا جالسين عليها عبارة عن قطع أخشاب قذرة مكسرة وتلك الآلات التي كانوا يضربون عليها قطع من عظام الحيوانات . وكذلك ظهر له أن تلك الأطعمة الشهية الكثيرة الألوان كانت من النجاسة والأقذار فلما رأى ماهان ذلك اضطرب اضطرابا عظيما وأخذ في التقايء واستفراغ ما أكله وبعد أن صرف نحوا من ساعة في قيء واستفراغ تضجر من عمره وكره الحياة واشتد بغضه لها ولوجوده فيها ولم يقف به الحد الا عند البكاء وسكب الدموع بكثرة وأخيرا لم ير وسيلة الا الرجوع بالشكوى الى الله ومعاتبة الزمان الغادر الذي حط بكليته عليه .

وهكذا صرف ماهان عدة ساعات بين تأسف وعتاب وشكوى والتماس حتى هان عليه الأمر وعرف أنه ما عاد يفيد الا السعي والجري فنهض يركض وهو يفتش ويطوف البراري والقفار مفتشا على الطريق والاهتداء اليه وهو كلما جال في خاطره ما مر عليه في الليلة الماضية تطبق الدنيا على رأسه ويصبح كالمجنون قائلا ما هذا الذى وقع على لقد رأيت الصبية فاذا هى جميلة ولمستها فاذا هي ناعمة البدن طرية الجنبين وواصلتها فاذا هى نهاية في اللذة والغنج والحركة ثم رأيتها وقد دخلت فى هيئة عجيبة غريبة مخيفة شيطانية وتلك الحديقة التي جلت فيها وشاهدت أشجارها وأزهارها وأكلت منها أثمارا لا تنقص عن الجنة فى كل أمر كيف بأقل من لمح البصر أصبحت كجهنم وكيف أن ذاك الطعام الفاخر المتنوع الشهى الذى كنت التهم منه بشوق زائد قد ظهر لى فى آخر الأمر أنه نجس وغائط وليس هذا فقط بل كل شيء حسن كنت أسر وألتذ به ليلا أصبح وقت الصباح قبيحا وكريها فياللعجب من هذه الحال لقد قضى كل هناء بأسرع من لمح البصر وعدت أجول وأركض فى أطراف الصحراء كما كنت فى أول يوم .

(ومن دقق النظر ير أن ما وقع لماهان هو طبق ما يقع للناس فى الامور الدنيوية وهم لا يشعرون بها فاذا رفع الغطاء عن عيوننا رأينا أن كل الأمور التى نميل اليها والاشياء التى نتعشقها ونتيه بها ونتشاحن عليها ونتعذب فيها إنما هى مظاهر وصور وهمية موشاة بقشور براقة خداعة فمتى أزيلت ظهر أنها نجاسة وأكثر كراهة من النجاسة فالانسان على الدوام يعجب بما يرى لانه يغش

بالظواهر للغفلة المحدقة به ولحجاب الوهم المنسدلة أستاره عليه خلفه فكم غرت المناظر الناس وذهبت بألبابهم وفطنتهم مع أن الدنيا مملوءة بالمكاره والمصائب كان الناس يفرطون في عشقها وغرامها وحتى الذى جربها وذاق ضرها فانه لا يملها أبدا وهى حبيبة عنده

وإذا الشيخ قال أف فما مل حياة ولكنما الضعف ملا

وحقيقة الامور الدنيوية فى غاية الحقارة ولذلك قيل ان أحسن ما فى الدنيا منكوح ومطعوم وملبوس فالملبوس أفخر أنواعه الحرير وهو خرء دودة القز والمطعوم أشرف أنواعه العسل النحل وهو خرء ذبابة أما المنكوح فهو مبال في مبال أى مكان البول سواء كان من الرجل أو المرأة ـ هذا وإن فعل الوهم فى الأشياء ليخرجها عن حقائقها فرب بصقة فى الارض انعكست عليها أضواء الشمس فرأتها العين فحسبتها ماسة غالية الثمن وربما دفع الغرور والوهم الناظر اليها الى السقوط عليها لاخذها فيجدها شيئا تعاف النفس ملمسه وتقذزر منه الاذواق السليمة .

وهكذا اللذة والشهوة الطعامية والبهيمية فى ظواهرها حسنة وهي اشياء فى غاية الضرر والهوان وقد بقى ماهان على تلك الحالة فى الصحراء وهو تارة يفكر وطورا يحزن ويعظم عليه الامر فيبكى بدمع غزير وتارة يسأل الله الخلاص من الضيق الذى نزل به والعذاب المحيق به .

ودام على هذا الوجه يضرب فى تلك الصحراء الواسعة الجوانب لا يعلم ماذا يعمل ولا إلى أين يذهب وفى أية جهة يسير وهو متيقن ومتأكد أنه لا بد في المساء من أن يقع في بلية أخرى اذا دام تائها لا تمر ليلة بدون مصاب ولم يهتد الى طريق عام قط ليقدر أن يصل منه الى الصحراء ولما قرب المساء أخذ يرتجف من الخوف وقد شعر بقرب وقوع المصيبة وصاح من قلب مقروح ماذا أعمل ها قد دنا المساء وأنا أعرف أنه لا يمكن لليل أن يمر على بدون ويل وعذاب وكان لا يغيب عن فكره قط كل ما جري عليه فى الليلة الماضية فقد أكل بشهية وشرب باطمئنان ولذة ثم تبين له أن ما أكله وشربه كان من أوساخ المخلوقات المتنوعة وأن تلك الفتاة التى ظهرت لعينيه بأبدع منظر وأجمل صوت تبينها على نور النهار فما كانت الا عفريتا قبيح المنظر كريه الشكل تنفر من قبح صورته الوحوش الكاسرة

ولما رأى الليل أخذ ينتشر شيئا فشيئا على تلك الصحراء جعل يبحث في نفسه عما يعمل وأين يختفي وكيف يلقى حوادث الليل التي تفاجئه وبرغم احتراسه منها فانه يقع فيها . ولكن من يقدر أن يخلصه مما هو فيه غير الله القدير سبحانه وتعالى وأخذ يدعو الله ويسأله المعونة ويقول إلهي ان كنت قد أذنبت اليك فالجزاء الذي لاقيته كاف إذ ليس لي قوة ولا جلد على احتمال شيء جديد وصبري قد نفد وقوتي ضعفت فارحمني يا مولاي وارحمني يا إلهي وفرج عني ما أنا فيه ولا تتركني عرضة للنوائب ولا توقعني في أيدي العفاريت والغيلان .

فما فرغ من دعائه حتى لاح له تحت الظلام نار تضطرم في إحدى الجهات فبقي محدقا بها برهة من الظلام يشتد عليه حتى كاد يجن من الخوف ومع أنه رأى من المصائب ما رأى فلم يتمالك أن جعل يتقدم إلى جهة النار شيئا متستراً هاربا من سواد الليل وخوفا من مفاجئة جديدة تفاجئه دون أن يراها . وظل يتقدم صوب النار المشبوبة حتى قرب منها فرأى عندها عفريتين سود الألوان بيد كل منهما دقماق . ولما شعر العفرتين بصوت وقع اقدام ماهان خفاً إليه . فغاب عقله من رأسه وقال لاحول ولا قوة إلا بالله ماهذه الأمور أرؤيا أم سحر ام أنا في معرض القيامة . إن كنت قد تخلصت فيما مضي من البلايا التي وقعت على رأسي فلا أظن أنني في هذه المرة أتخلص من هذين العفريتين وزاد عليه الخوف والبكاء وحال الهرب فخانته قدماه وقيدها الخوف فلم يعد في وسعه إلا الاستغاثة

ولما رأى العفريتان حالة ماهان وذهوله وضياع صوابه قالاله يا لك من ضعيف وحقير لقد أتيت وحدك ألم يكن لك رفيق . فرمى ماهان نفسه على أرجلها وأخذ يتوسل اليهما ويستغيث بهما ويقول لهما ليس لي رفيق بل أنا وحدي الذي نكبت بما أنا فيه فصرت على جمر الشدئد والأهوال . فقالا له أن كان الأمر كذلك فهلم واجلس حتي يأتينا رجل آخر فنقسمكما فيأكل كل واحد منا واحداً . فارتجف ماهان من ذلك وازداد رعبه وخوفه وتيقن الموت والهلاك وبقي واقفا كالأموات فقبض على أحدهما وساقه إلي جهة النار وهو يقول له إنك ضعيف للغاية لا تشبع أحداً منا فدائما ياتينا اثنان سمينان فنأكلهما . فلم يقول ماهان على الكلام بل بقي يضطرب مقدار ساعه يرثى فيها نفسه ويصلي إلي ربه ويطلب منه المساعدة والخلاص والفرج ثم بعد ذلك انتبه إلي نفسه فرأى العفريتين يتخاصمان فنظر اليهما فرأى

أحدهما قابضا على الآخر باليد الواحدة ويضربه بالمطرقة على رأسه باليد الثانية وقد سالت الأدمية على جسديهما وسمع الواحد منهما يقول للآخر هذا الى ورزقي فأنا آكله ولا يمكن أن أطعمك منه لقمة ولو قطعت إربا إربا نيجيبه الآخر ، أنا آكله ولا تقدر أن تمد يدك إليه أو تشاركني في قطعة منه .

فقال ماهان في نفسها انهما يتخاصمان على الآن والأمل في الله أن يميت بعضهما بالبعض فيحرمان من هذه الأكلة اللذيذة وبقي ناظرا اليها وكل واحد يطرق بالمطرقة رأس الاخر دون فتور ولا رحمة وداما على ذلك مقدار ساعتين حتى فتحت في رأسيهما الفتحات وانفجرت الادمية كالغدران وكلا وملا ولم يعودا قادرين على الثبات فغابا عن الوجود ووقعا إلى الارض كالموتى .

فلما رأى ماهان منهما ذلك كاد يطير من الفرح ولم يضيع هذه الفرصة فنهض من محله وتقدم اليها فوجدهما يخفقان من التعب والجراح أوهما في حالة النزع فأخذ مطرقة احدهما وسحق بها رأس الواحد بعد الاخر ثم خر على وجهه الى الأرض شاكرا الله تعالى على خلاصه وشعر من نفسه كأنه عاد الى الدنيا ثانية واكتسب حياة جديدة . وكان الشفق حينئذ قد قرب فأخذ في الركض وهو يقول ياليت أنه الليل لم يخلق والظلام لم ينتشر في هذه الصحراء حتى أتخلص من أيام مصائبي ومحنى ودام في ركضه طائفا في تلك الصحراء مفتشا عن الطريق العام المؤدى إلى العمران ولكن هيهات فقد أقبل عليه المساء دون أن يجد وسيلة أو فائدة وقد تسلق الجبال وطاف السهول والوعور والغابات والأحراش ولما رأى الليل قد قرب عاد اليه الخوف ووقفت روحه عند شفتيه واستعد لملاقاة صدمة جديدة لا يعلم نوعها ولا يدرك عظمها ولم يعرف ماذا يعمل وصار يردد هذه الجملة إنا لله وإنا اليه راجعون .

وبينما هو يفكر في نفسه قائلا أين أذهب وفي أية زاوية أختفي سمع خلفه صوتا يقول هنا هو هذا هو فدار بوجهه الى الوراء فرأى اثنين من العفاريت لم يخلق الله أقبح منهما منظرا ولا أشنع خلقة وبيد كل واحدة منهما مطرقة ولما اقتربتا منه قالت احداهما للاخرى هذا هو الانسان الخبيث الضعيف الذى قتل زوجينا في الليلة الماضية فلننظر الآن في طريقة مجازاته ومعاقبته على فعلته الشنعاء .

وماسمع ماهان هذا الكلام حتى قطع الرعب أوصاله وصـارت روحه تتردد فى صدره .

فسأل الله المساعدة على الخلاص منهما وأن يهديه الي وسيلة للنجاة كما خلصه من غيرهما وكان يفكر ان من المستحيل إفلاته منهما وهما تقصدانه وتفتشان عليه للاخذ بالثأر والانتقام منه .

وفيما هو يردد ألفاظ الاستغاثة الى الله ويفكر فى وسيلة للخلاص قالت احداهما للاخرى أنا آخذه الى مكانى وأقتله هناك بعد أن أذيقه أنواع العذاب وأشدها فأجابتها الثانية :

كلا . كلا . بل أنا آخذه وأعذبه وأقتله لأن ثارى عليه أعظم من ثارك حيث أن زوجى كان أحسن من زوجك .

فخالفتها ولم تسلم معها واغتاظت منها وحينئذ وقعت المنازعة بينهما وكل واحدة منهما تقول للاخرى لا يمكن أن أتركه لك بل أنا آخـذه وأقتله فى زوجي ولم تلبثا أن ووقع بينهما الضرب بالمطارق على رأس بعضهما البعض .

وعندما رأى ماهان ذلك انفرج عنه بعض الهم وقال إن شاء الله أتخلص منهما كما تخلصت من العفريتين زوجيهما بالأمس ولبث ينتظر انتهاء المعركة حتى رآهما وقد تخدشتا بالجراح وسالت الآدمية من رأسيهما الى الأرض كالغدران ثم وقفتا غائبتين عن الوجود فقال الحمد لله وهذه طريقة مناسبة للخلاص وحينما عزم على الفرار سمع صوت أسدين يزأران وقد رآهما يتقدمان اليه من بعيد

فماذا يترتب على ماهان أن يعمل فى مثل هذه الحال لقدزاد خوفه فى بادى الأمر لـكنه رأى نفسه واقعا بين خطرين فأسرع أولا الخلاص من المصاب الأول فأخذ مطرقة إحدى العفريتتين وسحق بها رأسيهما دون امهال وصبر الى أن دنا منه الاسدان فأسرع حالا ورمى لـكل واحدمنهما واحدة من المقتولتين فتناولهما بسرعة وبركا الي الارض واشتغل كل واحد يأكل واحدة فاغتنم ماهان هذه الفرصة ومال الى جبهة ثانية وصار يركض فى تلك الصحراء ولـكن قلبه كان يخفق وجسمه يرتجف وهو يتلفت الى ورائه المرة بعد الثانية خائفا من أن يلحق به مصاب جديد أيضا وهو لايعلم ماذا يعمل والى أين يذهب وقد تمزق الحذاء الذى فى رجليه قطعا قطعا فألقاه وصار يمشي عارى الرجلين وهو يتضجر من نفسه ويقول آه . ما هذه الحال . ما هذه الحياة ليت الأجل

يفاجئني فيخلصني من هذه الشدائد والمحن التي أحسب أن لا نهاية لها فلو أنه جاء بي لنجوت من هذا العذاب المهول . ان حياتي ليست بيدي والا كنت أتركها . لقد عجزت وهلكت من التعب والركض كاني أتيت الدنيا لملاقاة البلايا والمصائب لقد رماني الدهر في وهدة العذاب وتخلى عني فالى أين أذهب من وجهه والى من أفر ليساعدني وأين احتبيء ومن يقدر أن يخلصني . ياليت الموت سبق الي فأدركني قبل خروجي تلك الليلة لتلك الحديقة ولكني قدر فكان انما الذي يحيرني الآن أني لا أعرف حقيقة هذه الاحوال التي أنا فيها ولا أدري كيف وقعت في هذه الجهات وما هي تلك المصيبة الاولى التي جاءتني بشكل شريكي ان كل هذه الشدائد توالت علي بسبب تلك الليلة الكريهة فلا كانت ولا كانت الخمر التي شربتها فبسببها ذهبت لأتقايأ في الحديقة ومنذ تلك الساعة لم أذق النوم ولا الراحة وبقي يتضجر ويشكو ويتحسر ويسرع في الركض يفتش عن مكان يختبيء به حتى الصباح . ولما رأي الشفق قد بان من الشرق انفرج بعض الهم عن صدره وحسب النهار نعمة كبرى لعلمه الاهوال والمخاوف لا تأتيه في النهار بل في الليل ولذلك فرح بدنو النهار وشعر بالاحتياج الى الراحة فعرج الى خلف أكمة وجلس وراءها يفكر في حاله وما صادفه في هذه الايام القلائل من النوائب العظيمة وعلى الخصوص عندما خطر على باله وطنه وأهله وقد سال الدمع كالسيل عن عينيه وصاح من قلب معذب أواه كم هو حسن أن يكون الانسان في وطنه وبين أهله يقضي عمره في الراحة والصفاء والهناء ولما كنت في بلدي ما كنت أفكر في أمر قط ولا كانت تهمني الدنيا وأمورها وأحوالها وأتعابها فكنت أنهض في الصباح من سرير جميل ووسادة لينة فأغسل عيني ووجهي ويدي ورجلي وأجلس براحة أضحك وأتسلى مع أهلي حتى يأتي وقت ذهابي الى افتتاح المخزن فالبس الملابس الجميلة والثياب الفاخرة وفي المخزن أيضا أقضي النهار في التسلي واللهو والضحك والممازحة والفرح بالارباح وفي المساء أقفل دكاني وأعود بفرح الي بيتي فأغتسل بماء الورد من رأسي الى قدمي وأغير ثياب النهار وألبس ثياب السهر وأصرف بالمزاج والحظ والانشراح والتسلي لا أفكر خربت الدنيا أم عمرت . آه ما أجمل الاوقات التي ذهبت وما ألذها في الاسبوع كان يدعوني أصحابي مرتين أو ثلاثة فنبقي إلى نصف الليل وأحيانا الى الصباح على المنادمة والحظ والانشراح

فمن كان يظن أو يجول فى فكره أنى أنتشل من ذلك النعيم والقى بنفسي فى هذا الجحيم بأسرع من لمح البصر فيا ليت الموت كان قد باغتنى قبل أن أصل الى هذه الحالة ويا ليت الزمن أبقانى أعيش فى وطني عيشة القهر والفقر حيث أنه أراد أن يتنكر لى ويبليني بمثل هذه المحن والتجارب بعد أن كنت أرتع فى حلل الهناء والسعادة . وبقى ماهان يعدد ويفكر فى حالته الماضية وسعادته التى انقرضت حتى ضجر ولم ير من فائدة الا السعى والجد والتفتيش فنهض وعاد الى البحث عن الطريق كالايام السابقة .

فاخذ ماهان فى الركض من ناحية الى أخرى فى الصحراء والآكام تائها مقروح الفؤاد وقد تشققت رجلاه وسال الدم منهما وجف ريقه من قلة الماء والتصق لسانه بحلقه وأصبح كالخشبة ولم يكن له ما يأكله ليرطب به جوفه الا النباتات التى كان يصادفها احيانا فى طريقه في بعض البقع ودائما كان يعمد الى الدعاء والصلاة ويقول يا إلهى بحق أنبيائك الكرام إما أن تخلصني من هذا العذاب واما أن تدع الليل يأتى ولا تذهب بالشمس أواه هاك الشمس تغيب والليل يتقدم بويلاته الى وبعصائبه المخيفة المرعبة واحسرتاه ما هذا العمر السيء والحياة التعسة . ولما رأى الليل يقترب أيقن بدنو العذاب فصار ينتظر وقوعه الدقيقة بعد الاخرى

وفيما هو على تلك الحالة رأى فى الأفق غيمة سوداء ظهرت من الغرب وأخذت فى التقدم والانتشار حتى ملأت السماء وظللت تلك الصحراء فزادت الليل اسودادا فارتجف قلب ماهان منها وقال ويلاه هذه مصيبة كبرى وبلية عظمى وأخذ يضطرب من الخوف لانه لكثرة الظلام وتغطية الكواكب لم يعد قادرا أن يرى ما أمامه .

وبعد دقائق قليلة انفتحت ميازيب السماء وانفجرت منها ينابيع الامطار فطار صواب ماهان وصار يبحث عن مكان يختبىء فيه أو شجرة يستظل بظلها ولكن عبثا كان يبحث فانه لم يتوفق الى وجود غصن يظله أو صخرة يختبىء تحتها بل كان الحصي يجرح رجليه والوحل يغرقها وقد ابتل جسمه وثيابه وصارت المياه تتساقط منها كالميازيب وأصبح فى حالة يرثى لها غارقا فى الوحل والمياه والمطر لا ينقطع وهو لا يدرى أين يضع رجله من شدة الظلام فمرة يدوس فى

حفرة مياه فيغرق إلى وسطه ومرة يعثر في حجر أو شجرة فيقع على وجهه وقد تعذبت نفسه وخارت قواه وسالت منه الدماء فكان يصيح من ألم العذاب . آه يا ربي . ما هذه الأحوال وما هى الفائدة لك من عذابي وبلائي وأي ضرر عليك لو أشفقت علي وخلصتني من هذه المصائب والمحن فأسألك يا رب بحق جلالك ورحمتك وعظمتك أن تخلصني من هذه الشدائد أو تميتني فى الحال لأني لم أعد قادرا على تحمل أكثر مما تحملت فقد ضاق صـــدري وزهقت روحي وهلك جسمي وأصبحت فى آخر رمق من حياتي وإذ ذاك اشتد المطر وأصبحت النقطة الواحدة قدر الجوزة فزاد خوف ماهان وتعاظم عليه العذاب والضيق ولا سيما عند ما برد الهواء وصار الجو كالزمهرير واصطدمت الأرياح بعضها بالبعض واشتدت الرعود والصواعق وتواترت الزوابع فصار يرتجف مثل ورق الشجر عند هبوب الريح (فالله لا يرى أحداً مثل ما رأى ماهان فى تلك الليـلة) وفيما هو على تلك الحالة طرق سمع صوت نباح كلب فطار قلبه من الفرح وقال لا بد من وجود قرية على مقربة مني .

ثم ارتمى لجهة صوت الكلب ومع أنه سمع الصوت قريبا منه فبعد أن مشي مدة انقطع الكلب عن النباح ولم يعد يسمع له صوتا فارتجف قلبه ووقف وفيما هو واقف عاد الكلب إلى النباح على مقربة منه فمشي فانقطع الصوت فوقف فعاد الكلب إلي النباح فتحير ماهان من ذلك وقال في نفسـه ياللعجائب ما هذا ، من المحتمل أن الزمن سيوقعني فى مصاب جديد أواه من ظلم الدهر ما هذه الأحوال وهل بقي عند الزمان نوع من المصائب لم يجرعني كأسه هل رأي أحد من الانس فى كل ذلك الزمان الطويل الماضى مثلما رأيت أنا وبقي على حاله مع الكلب حتى أصبح الصباح فانقطع الصوت وذهب كل خوف عن ماهان ولما لم يعد قادرا على الوقوف وقع إلى الارض غائبا عن الهدى والوعى .

وبعد أن مر عليه نحو ساعة وهو على تلك الحال عاد اليه وعيه ففتح عينيه فوجد الشمس قد خرجت ولم يبق أثر قط للغيوم وهب النسيم لطيفا وظهر على الآكام المحيطة به النباتات الخضراء والزهور الملونة الزكية الرائح تتلألأ تحت نور الشمس البهى .

وعندما رأى ماهان هذه الاحوال رفع عينيه وقال سبحان الله ماهذه الأحوال وما كانت الحالات التي رأيتها وماذا تكون الاشياء التى سأراها فيما بعد فهل

يا ترى أتخلص من هذه البلايا وان كنت أتخلص فأين ومتي وهل يا تري أرى بعد ذلك وطنى وبلادى وأقيم فيها براحة كما كنت قبلا . أواه . من يعلم ومن أين لى ذلك وسوء حظى يتعاظم اليوم بعد اليوم .

ولما وصلت الملكة آذريون بنت سلطان الغرب صاحب الاقليم الخامس فى حكايتها إلى هذا الحد قالت كيف ترى يا حبيبي بهرام حكايتي وكان بهرام يستمع حكاية آذريون وهو متأثر مما جرى على ماهان ويتعجب من الامور التي طرأت عليه وينتظر نهايتها ليعلم ان كان يتخلص من توهانه ومن الحوادث القوية التى كانت تقع عليه فى كل ليلة .

فلما سألته قال لها نعم يا عزيزتى وعيونى ان حكايتك هى بالحقيقة تفوق غيرها من الحكايات التي سمعتها وهي بالحقيقة جميلة ومؤثرة وهي موعظة وعبرة للانسان تبين له عجائب مخلوقات الله وأنواعها وأنا أرجوك أن لا تقفي عند هذا الحد ولا تطيلى السكوت لأنى أحب أن أعلم هل يتخلص ماهان من البلايا والمحن أم لا وكيف يكون خلاصه إذا كان يتخلص .

أما آذريون فتمايلت من الفرح تمايل السكران وأبدت ألف غمزة وغنجة وعادت الى الحديث فقالت :

ورأى ماهان نفسه فى تلك الصحراء والبر الواسع ورأى تلك النباتات والازهار الجميلة وشعر بالهواء يهب لطيفا ومنعشا فأهاج ذلك خاطره بزيادة وحرك فى نفسه الحنين الى وطنه وبلاده فطفق يبكى على غير ارادته وبعد أن جف دمع عينيه بالبكاء ومقدار ساعتين أو ثلاثة رأى أن الوقت يمر والنهار يقصر وهو على تلك الحالة لا يفيده البكاء شيئا ولا تخفف عنه الذكرى مصابا بل تزيده بلاء وعناء وحينئذ نهض وكان النهار قد تناصف فأراد السير فلم يقدر كسابق الايام لان البرد كان قد أثر فى جسمه وثيابه المبللة أضرت به فنزعها عنه ونشرها فى الشمس حتي نشفت وارتاح جسمه قليلا فلبسها وإذ ذاك رأى أن الشمس قد مالت نحو الغرب فحزن ولا حزن يعقوب وقال ويلاه هو ذا الليل يتهددنى ولا أعلم جنس المصيبة التي تختبىء لى في جوف هذه الليلة الآتية .

ولما لم يجد فائدة ولا وسيلة ليقي نفسه بها وهو فى ذلك المكان نهض وأخذ يطوف من جهة إلى أخرى ومن مكان إلي مكان فلم يهتد إلي طريق كل هذا

وعيناه لا تنفصلان عن الشمس حتى كادت تختفي عن الأرض فصاح واويلاه ماذا أعمل فى هذه الليلة وأين أختبيء من نكبات هذا الليل التى لا أعلم كيف تكون .

ثم انه لجأ إلى ذيل جبل وجد فيه مغارة صغيرة فاستصوب أن يختفي فيها تلك الليلة وأخذ يجمع أخشابا وأشواكا وحطباً ويأتى به إلى المغارة وأحكم وضعها على بابها وأقام داخلها لكن كيف كانت حالته فان قلبه من الخوف والهلع كان يرتجف وآذانه من دقيقة إلى ثانية تسمع أصوات المصيبة وعيناه تراقب باب المغارة وأفكاره تدله على أن المصائب تتزاحم عنده ومر عليه ساعه وهو على تلك الحالة ثم شعر بأن جسمه يرتجف ويهتز كمن يتحرك بقوة كهربائية فقال ها هو البلاء قد جاء فكيف الخلاص وتعاظم عليه الحال واشتد به الأمر وكبر الوهم وهو لا يعرف كيف يفعل حتى مر نحو ثلاث ساعات من الليل ولم يعد قادرا أن يتحمل فوقع الى الأرض مغميا عليه مدة ثم أفاق من غشيته وقفز كالسهم من الوتر الى خارج المغارة ومزق ثيابه قطعا قطعا حتي لم يبق عليه الا ثوب واحد منها فأخذ يركض فى تلك الصحراء تحت ظلام الليل العاكر كالمجانين فاقد العقل لا يعى على شيء .

ولما لم يبق لماهان شيء عقل ولا ادراك أخذ في أن يجول كالوحوش الضارية فى تلك الجهات لا يعرف الخوف والفزع ولا يشعر بالتعب والجزع فكان يلعب بالحجارة والأعشاب والنباتات ويسير مع مهب الهواء ويضحك عند اشتدادها ثم يبكى بكاء مراً وقد مر عليه باقي الليل على تلك الحال .

ولما أصبح الصباح لازم السير فى الصحراء وهو لا يعى شيئا من أمور الدنيا مطلقا ولا يفكر فى البحث عن الطريق كما كان سابقا ولا فى الخروج من الصحراء والوصول الى بلده وبماذا يفتكر المجنون وماهان قد أصبح مجنونا منذ الليلة التي قضى فيها ثلاث ساعات فى جوف المغارة فكيف يخاف فلم يكن يعرف شيئا ولا يشعر بشيء يأكل من النبات كالبهائم والحيوانات ويأوى الي الكهوف والمغائر ويمشي كيفما تأخذه الصدف تارة شرقا وطورا غربا وبقى هذا المسكين فى تلك المحلات على هذه الحالة مدة شهرين تقريبا وقد تدلى شعره على أكتافه واسود وجهه وطالت أظافره وصارت حالته غريبة يرثى لها وتخدش جسمه الناعم اللطيف المدلل الذى ربى فى أحضان النعيم والعز .

وبينما كان يطوف فى تلك الصحراء صادف عين ماء عليها رجل جالس وبين يديه طعام يأكل منه وقد وقف حواليه نحو خمسة عشر رجلا .

ولما كان ماهان جائعا فارغ الجوف لم يحفل بالرجال الوقوف بل دنا من الرجل يأكل الطعام وجلس تجاهه وأخذ يزدرد الطعام ومع أن الرجال الوقوف اهتموا كثيرا فى منعه بل أشاروا اليه بأيديهم وأعينهم أن يمتنع ويرجع الى الوراء فان ماهان لم يصغ اليهم ولا سمع لاشاراتهم .

وقد كان لحسن حظ ماهان أن ذلك الرجل كان ملكا والرجال المحيطون به رجال معيته وقد خرج معهم فى ذاك اليوم للصيد والقنص ثم جلس عند العين ليستريح من التعب ويأكل ما حمل اليه من مدينته من الطعام .

فلما رأي الملك أن ذا المجنون قد جلس معه على الطعام غير مهتم بأحد ولا خاف أحدا وهو فى حالة غريبة سر منه جدا وزاد سروره لما رآه يهذي بكلام غير مفهوم ويتكلم بلغة غريبة لا يفهمها فدارت المعاشرة بينهما بالاشارة والحركة والملك يضحك والسرور ظاهر عليه .

أما ماهان فانه نظر بعينيه فى وجه الملك وبعد أن أمعن فيه برهه أخذ يقهقه ويضحك ثم أخذ فى البكاء والعويل واتبع ذلك بتنهدات حارة ثم مزق طوق ثوبه ووضع يديه على صدره وكان أيضا ينظر الى أتباع الملك ويضحك ضحكا عاليا .

فلما رأي الملك أحوال ماهان وماهو عليه أدرك أنه غريب وأن لا بد أن يكون قد صادف حوادث عجيبة وأمورا غريبة فاستصوب أن يصحبه معه الى المدينة واذ ذاك التفت اليه وأشار له بيديه قائلا هلم فلنذهب وجفل ماهان وقفز الى جهة اليمين قاصداً الهرب فأمر الملك أتباعه أن يقبضوا عليه فأسرع الخدم فى اثره ولم يرجعوا حتى أمسكوه فتصدي لمقاومتهم وقد جرحهم بأسنانه وأظافره وأخيراً تغلبوا عليه وربطوا يديه الى خلفه وجاءوا به الي بين يدى الملك .

ولما جيء بماهان أمام الملك أخذ يقهقه فلاطفه وهدأ روعه ثم نهض الى جواده فركبه وسار الى المدينة بعد أن أمر أن يؤتى بماهان اليها .

ولما استقر فى قصره جيء بماهان ثانية لبين يديه وأمروه أن يجلس على كرسى فوضع الكرسى على اكتافه وجلس على الارض وهو تارة يضحك وتارة يبكي

وكان الملك والحاضرون يتعجبون من حالته وجعلوا يتشاورون فى أمره .

أما الاهالي فكان قد اتصل بهم أن الملك عثر على رجل مجنون وهو فى الصيد ولما كان حال هذا المجنون غريبا فقد أحضره الى الديوان فخرجوا صفوفا صفوفا إلى الطرقات الكبيرة والصغيرة ودخل الاعيان منهم الديوان يتفرجون عليه .

وعندما رأى ماهان هذا المجتمع والتجمهر وقع فى قلبه الرعب فأسرع فى الحال إلى الباب ومنه قفز إلى الخارج فصاح الملك اقبضوا عليه ولا تدعوه يفلت فتسابق الخدم خلفه ولكنهم لم يقدروا على الدنو منه وهو يهدر كالجمل الهائج وما زال يعدو عدو الغزال حتي خرج من المدينة فتكدر الملك من ذلك واستدعى أحد فرسانه وأمره بأن يشير فى أثره وأن لايرجع إلا به .

فركب الفارس جواده وأسرع خلفه حتي صار قريبا منه فرآه ماهان فاضطرب وخاف وطلب الفرار فتأثره ثم نزل عن جواده وصار يناديه ويصفر له فالتفت ماهان اليه فمد الفارس يده الي ماهان كأنه يريد أن يعطيه شيئا فرجع ماهان ودنا من الرجل وعانقه وأخذ يقهقه ويضحك فلاطفه الرجل وقبض عليه من يده وأشار اليه بالجلوس علي الارض فجلسا الواحد بجانب الآخر . وقد أخذ ماهان يقتلع من النبات الجالس عنده ويأكل منه ويضع فى جيبه وفى الحال وقع الى الارض غائبا عن الوجود .

فلما رآه الفارس وقد سهل عليه أخذه فرح كثير فربطه على الجواد وأسرع به عائدا إلي المدينة ودخل علي الملك وأخبره أنه تأثره لغاية المكان الفلانى وهناك لاطفه وأجلسه الى الارض فجعل يأكل من النبات ثم أخرج من جيبه شيئا أكله مع ذلك النبات فوقع الى الارض مغشيا عليه فربط يديه وحمله على جواده وجاء به مسرعا .

فتعجب الملك من ذلك وأمر أن يخصص له قصر وأن يؤتى له بالحكماء فتقاطر اليه الاطباء والحكماء فسقوه الادوية ورشوا الماء والمقطرات علي وجهه حتى وعى الى نفسه .

ولما فتح ماهان عينيه ورأى نفسه محاطا بجمهور غفير من الناس وهو بتلك الثياب الرثة خجل من نفسه كثيرا وغطى وجهه بيديه وهز رأسه فلما رأى الملك وجماعته حالة المجنون تحيرا وتعجبوا وقالوا لابد لذلك من سبب ثم ان الملك أمر

بأن يؤتى له بالثياب الحسنة وبعد أن لبس ورتب نفسه وأصلح حاله وقف أمام الملك بكل حشمة وأدب فزادت حيرة الملك من هذا التغير وسأله عن حاله وسبب ما كان مصابا به فلم يفهم كلامه ولا عرف أن يتكلم بلغته وكان في ديوان الملك جماعة يعرفون عدة لغات فاستدعاهم ليرى من منهم يعرف لغة ماهان فكلمه أحدهم بلغته ففهم منه فأعاد اليه طلب الملك أن يخبره بحاله وأصله وفصله وبأية طريقة وصل إلى ذلك المكان .

ولما عرف أن الجالس أمامه ملك خر بين يديه وقبل الأرض ودعا له بدوام العز والبقاء وعاد فوقف مكانه والتفت إلى الترجمان وأعاد اليه قصته من أولها الى آخرها وأخبره بكل المصائب التي وقعت على رأسه أنه تاه في صحراء الجن والغيلان فزاد تعجب الملك والحضور من هذه الحوادث الغريبة وتأثروا لأوجاعه وآلامه ونهض الملك من مكانه وقلبه مملوء بالفرح والسرور وقبله في جبهته وعاد الى سريره والتفت الى رجال دولته وقال لهم أرأيتم كيف أن الله سبحانه وتعالى اذا أراد اجراء أمر سخر له من عالم الغيب من يقوم به فألف شكر لله لانه بعث بهذا الرجل فكان سببا في خلاص ابنتي . ما هذه الاحوال وما هذا العالم وكم هي عظيمة قدرة الله وحكمته لقد ساق هذا الرجل من بلاده ورماه في بحار المصائب والاهوال وأذاقه فيها أشكالا وألوانا حتي خسر عقله وجن ثم رماه على مملكتي وأوصله اليها في الوقت الذى خرجت فيه للصيد والقنص وأوصله الى جائعا بينما كنت آكل ووضع حبه في قلبي حتى ما كنت أريد أن أفارقه ثم هرب مني فأرسلت فارسا في أثره حتي وصل الى المكان الموجود فيه الدواء الذى يبرئه فأكله وشفي فظهر من كل ماجرى أن الله سبحانه وتعالي أراد أن يدلنا على الدواء الشافى لابنتي من مرض الجنون مع أنى صرفت كل ما عز وهان فى سبيل شفائها واستحضرت الحكماء من أقطار العالم فما قدر أحد منهم أن ينفعها بشيء حتي سخر هذا المجنون ليكون واسطة لاهتدائنا الى العلاج الذى كنا نجهله ولا يتصور أحد أننا نهتدى اليه إلا بأعجوبة إلهية فما هذه القدرة العالية وهذه الحكمة الدقيقة والرحمة الواسعة التى شمل الله سبحانه وتعالى بها عباده .

ولما سمع رجال الملك كلامه فما منهم الا من سبح الله وحمده وشكره وقال لقد صدق اعتقادك أيها الملك فان الله عادل رحيم لا يشارك أحدا فى علمه ومعرفته في كل عمل من أعماله معجزة وأعجوبة .

وحينئذ أمر الملك أن يؤتى بثياب ماهان القديمة الممزقة فأحضرت بين يديه فبحث فيها عن النبات فأخرجه من جيوبها وسار إلى بنته وكانت مجنونة منذ عدة سنين ولم ينجع فيها علاج فأطعمها من النبات المذكور في الحال وقعت الى الأرض مغشيا عليها مدة ساعتين ثم انتبهت من نفسها واذا بها مقيدة فأظهرت التعجب وقالت لأبيها ماهذا ولماذا أنا مقيدة فطار قلب الملك فرحا ولم يعد يعرف ماذا يفعل وقد تقدم منها وفك قيدها وجعل يقبلها فى وجهها وعينيها وحكى لها ما مر عليها من تجارب الزمان ، ولما سمعت كلام أبيها شكرت الله سبحانه وتعالى على ذلك وأثنت على ماهان .

ولما لم يكن للملك غير هذه البنت فانه فرح بشفائها كثيرا وأمر أن تزين المدينة ثم أرسل ماهان إلى الحمام فاغتسل وأتى له بالحلاق فحلق شعر وجهه وأصلح شعر رأسه ولبس الملابس الملوكية الفاخرة وأعيد الى بين أيدى الملك فنهض الملك من شدة فرحه وتلقاه بالأحضان وقبل ما بين عينيه وأجلسه إلى جانبه وبعد أن مدحه وتلطف به كثيرا أمر باقامة الافراح وزف ماهان على ابنته .

ولما رأى ماهان أنه تخلص من ذلك العذاب المؤلم وأن عاقبة الشقاء سعادة إذ كانت الطريق لوصوله الى الملك والزواج بابنته والتمتع بوصلها والحصول عليها وكانت على جانب عظيم من الجمال ذات حسن باهر ووجه ساحر خر ساجدا لله على ركبتيه وشكر الله سبحانه وتعالى على انعامه ومن ثم أرسل الرسل بالرسائل الى أبيه يخبره بأمره وبمكان وجوده وبما ناله من السعادة .

وكان ابو ماهان قد ضعف لفراق ابنه لا يقر له قرار لا فى ليل ولا فى نهار قد انقطع الى البكاء والأنين وقطع الرجاء ويئس من لقاء ولده وأما التجار الذين كانوا مع ماهان فى الجنينة ليلة فقده فقد قبضت عليهم الحكومة وألقتهم فى الحبس إلى حين ظهور خبره .

فلما وصلت رسالته الى أبيه صفق من الفرح وطفح السرور على قلبه حتى أنه لفرط الفرح غاب عن الوعى وفقد الصواب مدة ساعات ثم رجع الى نفسه فشكر الله وحمده على ارتياح باله واطمئنانه على ولده وفى الحال ذهب الى دار الحكومة وأعرض الامر على حاكم المدينة فأخرج التجار واعتذر اليهم . ثم بعد ذلك باع أملاكه وكل متعلقاته وحمل عياله وما يحتاج اليه فى سفره وسار قاصدا ولده

أما ماهان فمنذ صار صهرا للملك جعل يهتم بارضائه وساعده علي ذلك ذكاؤه وحسن تربيته غير أن همته كانت متجهة الي تعلم لغة البلاد والتعود على عاداتهم فوجه اجتهاده الى هذه النقطة وفي وقت قريب تعلم كل ما يحتاج اليه وأصبح كأنه مولود فى المدينة متعلم فيها فصار يصرف أكثر أوقاته مع حميه الملك ويعيد عليه ذكر الحوادث والمصائب التى مرت عليه فيتعجب لها ويشكر الله على خلاصه منها .

وبعد مرور أشهر قليلة دخل أبو ماهان المدينة فبلغ الخبر ابنه ففرح الفرح العظيم وخرج لاستقباله وعانق أحدهما الآخر وقد أغمى عليهما من شدة السرور مدة ساعتين تقريبا ثم أدخل ماهان أباه الى قصره بالاحتفاء والاحتفال وأفرد له مكانا خاصا يقيم فيه وعين له الخدم والحشم ، ولم يمر على ذلك الأشهر قليلة حتى توفى الملك وجلس ماهان مكانه وقد عظمت شوكته وازداد جلاله وعلت شهرته لأنه مع ادراكه ودرايته فان البلايا والمحن التى لاقاها علمته ما لم يعلم وقد استفاد منها أمورا كثيرة وأصبح ماهان الملك المتسلط والحاكم في البلاد فعكف علي الاشتغال بالحكم وتولي الاحكام بنفسه وصرف جهده الي الحكم بين الرعية بالعدل وقد أحضر لديه الوزراء وكبار الوكلاء وأبدى لهم كل التفات واحترام وقال لهم انى أوصيكم بعباد الله ورعاية أمورهم فلا تغفلوا دقيقة واحدة عن رعايتهم والاهتمام بمصالحهم علي مايرضي الله سبحانه وتعالى وأريد منكم أن يخبرنى كل واحد عما فى ضميره وما يجب عليه .

فدعا له الجميع بالبقاء وطول العمر ثم تكلم الوزير الأول فقال لايخفي على جلالتكم الملكية أن الاهالي والجنود علي الدوام مشغولون بالدعاء لدولتكم ليلا ونهارا لما يرونه منكم من العدل والميل الي راحة الرعية واعلان شأنهم حتى هان عليهم أن يقدموا أموالهم وأرواحهم بين أيديكم .

وفيما الوزير يتكلم دخل رئيس الحجاب الي ماهان وبعد أن أدي واجب الثناء قال لقد حضر معتمد من قبل ملك الصين وهو يطالب مواجهتكم فاصفر لهذا الخبر وجه الوزير الأول حتى صار كالأموات فتعجب الملك من ذلك وسأله عن سبب هذا الخوف والتغيير الذى حدث فى وجهه .

فأجاب الوزير ان سلطان الصين قادر باسل ولديه من الجند والفرسان ورجال الحرب والتدبير عدد غفير ولذلك فهو فى كل سنة يجمع الخراج من كل الممالك

المجاورة له وقد جرت العادة أن تقدم له مملكتنا الخراج فى كل عام ولهذا فان معتمده قد حضر لتسلم الخراج . فتبسم ماهان وقال وما هو وجه الخوف هنا لأجل الدراهم يصفر لون الانسان ويعظم عليه الامر فمادة الخوف هذه لاتحدث عن هذا الشأن وان كان من طبعة الجبن والخوف فلا يلزم أن يظهر عليه ويصفر ويصـير لون وجهه كالاموات فخجل الوزير واعتـدر ثم أمر ماهان باحضار المعتمد .

وقد تحير الوزير الأول وباقي الوزراء من شجاعة ماهان وثبات جأشه وتأنيه فى الأمور . وعلى حسب العادة أتى برسول ملك الصين الى أمام السلطان ولما رأي الرسول عظم هيئة ماهان وجلالة قدره وعلو منزلته وقع الرعب في قلبه وصار يرتجف وبعد التعظيم وأداء واجب الثناء والدعاء أخرج من جيبه رسالة سلطان الصين وقدمها الى الملك فأشار الملك الى وزيره الأول أن يتناولها من يد الرسول وأن يقرأها بصوت عال ففعل الوزير وكان مضمون الرسالة ما يأتى .

« بعد تقديم التبريك لكم لجلوسكم على تخت الملك حميكم أبين لكم أنه بناء على المعاهدة المعقودة بين دولتنا وحكومتكم أن يرسل الينا في كل سنة مقدار معين من المال بادرنا لارسال معتمدنا الخصوصى لأجل أن تسلموه المبلغ وتتكرموا بتجديد المعاهدة وأنذركم أن لا تسببوا ما يوجب كدرنا ويحملكم المتاعب والويلات مالا تطيقه بلادكم والعاقل من عرف قدر نفسه » .

ومع أن ماهان احمر قليلا عند سماعه مضمون الرسالة لكنه أظهر الجلد وتبسم ثم التفت الي المعتمد وهش فى وجهه وقال له اذهب الآن الى محل الضيافة وفى الغد ان شاء الله ننظر فى الأمر فأخذه الحاجب وخرج به الى المحل المعين لاقامته .

وكان الوزراء يظنون أن ماهان سيتبع أمر سلطان الصين فحزن أكثرهم لأنهم كانوا متألمين منه يكرهون الطاعة لأمره .

وفى ذلك المساء جمع ماهان اليه الوزراء وعقد معهم مجلس مشورة وابتدأ هو بالكلام فقال لهم ان الملك منزلة سامية وعمل عظيم وان مدار راحة العباد وحفظ السكينة موقوف على الملك ورجاله ولذلك تحتاج السلطنة الي المهابة والبسالة كما تحتاج الى العدل والانصاف فاذا كان لا يوجد في الدولة عدل ولا انصاف ولا

حب للرعية فمن المؤكد أن سقوط تلك الدولة وخرابها يكون قريبا وكذلك اذا لم يوجد للدولة مهابة واجلال فيكون جسمها قد ضعف وبدأ في الانحلال ولكن أري أن هذه الدولة وان كان العدل والحلم سائدين فيها غير أنها مفقودة الجلال والمهابة ولذلك طمع فيها ملك الصين . فالدولة اذا كانت بالحقيقة ضعيفة فمن اللازم أن لا تترك مهابتها وأبهتها وأن لا تدع الأعداء يطلعون على أحوالها الداخلية وأسرارها فضلا عن أن يفرضوا عليها خراجات والتزامات بل من اللازم أن نقف على وجه الضعف للدولة الثانية ونطلع على أسرارها ولأجل ذلك قصدت استشارتكم وانا أريد أن أبين لسلطان الصين المهابة والفطنة فأطلب اليكم أن يبين لي كل واحد منكم ما في ضميره ولا يخفي شيئا مما يجول في خاطره لأن في ذلك مصلحة البلاد وحفظ أرواح العباد .

ولما فرغ ماهان من كلامه لوزرائه الخمس وقد كانوا مشهورين بالحكمة والفضيلة فيما بين أعيان الدولة وأركانها وكان جميع الاهالي والجنود يعجبون بآرائهم ويعتمدون علي مشورتهم نهضوا وقوفا أمام ماهان وأبدوا رسوم الدعاء والثناء على أحسن وجه ثم جلسوا وبقي الوزير الاول فقال نعم أيها الملك العظيم والسيد الكريم ان هذا الامر في الواقع أمر خطير جداً ومن الواجب والمفروض علينا أن نبين بصدق وأمانة ما يجول في خاطرنا ونصرح بكل ما يرتابه كل واحد منا فالذي يلوح لي أنا العاجز أن يتدبر الانسان في المصلحة الموافقة لصيانته عند الشدة والذى أراه ان الدولة الضعيفة لا تقدر علي محاربة ومقاومة القوية ولذلك لا مندوحة لها عن متابعة ومسالمة تلك الدولة القوية لان الحرب خطر عظيم ووقوعها مخالف لسنن التمدن والعمران وبسببها يظهر آفات كثيرة وفتن جسيمة وعليه فالدولة الضعيفة التى تكون قد دفعت بالنظر لمصلحتها الجزية والخراج أول بأول للدولة القوية مظهرة العجز لديها اذا نكلت عن الدفع وامتنعت من تسليم المال المعين عليها أداؤه فلا بد لتلك الدولة القوية أيضا أن ترى أنه لا يليق بشأنها أن تتخلى عن غنيمتها وتترك الدولة الضعيفة تقاومها بالخروج عن سابق عادتها فلا تتوقف قط عن محاربتها ومنازعتها بكل ما تقدر عليه . وعند ما لا يكون لتلك الدولة بسالة واقدام للمقاومة فتسقط بلا ريب فمن اللازم أن لا تغش الدولة الضعيفة نفسها ولا تقدم على الحرب وهى عاجزة عن الدفاع عن كيانها .

وعند ما سمع ماهان كلام الوزير الاول حزن فى قلبه وقال ان ما أظهرته من الحزن والخوف قد انساكم النقطة الرئيسية اللازمة لتدبير مصلحة الدولة واعلاء شأنها .

ثم قال للوزير الثانى قل انت لأرى رأيك فى ذلك وما الذى تستصوبه فتقدم الوزير الثاني وقبل العرش وعاد الى مكانه فقال أطال الله عمر مولاى الملك انى لا أوافق مطلقا على رأى الوزير الاول وأرى آن الذى قاله لا يناسب فى تقديم المملكة ولا أظنه صادرا عن فراسة وحكمة لأن من الضعف تكتسب الشدة وتنتج القوة ولا أعلم معنى مداومة دفع الخراج فهل لأن الدولة الماضية قد أعطت الخراج لدولة الصين يصير من اللازم أن تدفع الدولة الجديدة الخراج دائما وبالرغم منها اتباعاً للعادة فهذا ليس صوابا وهل من العيب أن تقوي الدولة وترفع عنها طابع الذل فتمتنع عن أداء الخراج الذى كانت تدفعه فى المدة السابقة بالنسبة وعليه فالذي أراه موافقا لنا مناسبا لعلو شأننا أن نظهر بأسنا ونبين مهابتنا ونجيب ملك الصين بأنه إذا أراد الحرب فانا على استعداد لمقاومته بالقوة والبسالة ولا يليق بنا أن نبقي على الضعف والذل إلى الآن فاذا ساعدنا الله سبحانه وتعالى حصلنا على المراد ونلنا المطلوب وقررنا شوكتنا وعظمتنا وخلصت دولتنا من الذل والعار والمهانة التى لحقت بها فى الماضى وإذا لم تساعدنا العناية فتعود إلى الذل والاستعباد كما كنا ومن الأمثال من لا يخاطر لا يطيب له خاطر فكم من دولة صغيرة أصبحت كبيرة بحسن تدبيرها وبسالتها وكم من دولة عظيمة سقطت لجهالتها وسوء تدبيرها فلنظهر الآن أمام عدونا الجراءة والجسارة والاقدام فنرعبه ونخيفه .

فلما سمع ماهان كلام الوزير الثانى وشاهد ما فيه من الحماسة والجراءة سر فى قلبه منه .

ثم التفت إلى الوزير الثالث وتلطف به وسأله أن يقول رأيه وما جال بخاطره فقبل الوزير العرش وبعد أن أكثر من الدعاء والثناء عاد إلى مكانه وقال له لا يغيب عن سيدى الملك أنى لا أستصوب قط رأى الوزير الثانى ولا أوافق أيضا على رأي الوزير الأول لأنهما لم يشيرا بعمل يستدل منه على العقل والدراية كيف يليق بنا أن نباشر أمرا من الأمور قبل النظر فيه والوقوف على حقيقته والذى أراه الآن موافقا لمصلحتنا أن لا نغفل قط عن النظر فى وجه الاصلاح الداخلى

وتعزيز القوة وأن نرسل بالجواسيس لاجل الوقوف على أحوال وأسرار قوات العدو فنعلم بذلك قوة ملك الصين ونعرف مقدار قوة جيشه ونقيسها بقوتنا ونعلم ماهو الفرق بين القوتين فاذا وجدت قوتنا أقل من قوته عملنا على زيادة قوتنا حتى تكافىء قواتنا قواته وتزيد عليها وعملنا على سد النقص وإذا وجدت القوة معادلة ويمكن لنا المقاومة نصحنا العدو وعرضنا عليه المصالحة والمسالمة وأن يكون كل منا مشغولا بحكومته لا يتعرض أحدنا للآخر ولا ينازع واحدنا الثانى فان رضى بذلك رضينا نحن أيضا وتخلصنا من سلطانه وخرجنا عن سيطرته وإذا أبي حاربناه والنصر بيد الله وان كان ليس من اقتدارنا الحرب فلنعرض عليه المسالمة أيضا فاذا أباها أخذنا فى الاحتيال والتدبير والنظر فى الامور من حيث هي يأتى بالفائدة المطلوبة والنجاح فى الحرب مكفول مع التدبير والحكمة ومن وجوه هذا التدبير أننا إذا فشلنا عدنا إلى المدينة وقفلنا أبوابها وخابرنا العدو بالمصالحة ولا بد أن يقبل إذا رأى مناعة حصوننا وحسن تدبيرنا فالتدبير مع القوة يرفعان شأن المملكة ويعظمانها فى أعين سائر الممالك وإذا سقط تدبير الدولة كانت سخرية وهزءة فى أعين رعاياها وجندها مرذولة ومحتقرة عند جميع الدول .

فلما سمع ماهان كلام الوزير الثالث أعجبه قليلا لكن لما لم يره موافقا لرأى أحد من رفيقيه السابقين قال فى نفسه يا للعجب ألا يمكن أن يتفق رأيان فى شأن خطير من أمور الدولة الحيوية الا اضطرارا ولكن لم ير رأى الوزير الرابع فالتفت إليه وقال له قد جاء دورك فأسألك أن تبدى لنا رأيك وماذا تراه موافقا فى هذا الامر .

وبعد أن قام الوزير الرابع بواجب الدعاء والثناء كرفاقه قال لا يخفي على سيدى الملك أن سرورى عظيم وأن من دواعى الشرف دعوة سيدى الملك لى لأبدى ما يلوح فى فكرى وما يدفعنى اليه ضميرى بدون ارتياب واضطراب ومن رأيي أن ترك مملكتنا واختيار عار الفرار أحسن من دوس ناموسنا القديم الثابت فان كنا لا نعلم قوة العدو ومقدار شدته فليس من الحكمة أن نخاف مما يقال عنه والمعنى أننا إذا كنا نحسب من رعايا ملك الصين وأتباعه فأى لزوم لسلطنتك هنا وان كنا دولة دستورية وعسكريتنا منظمة وخزينتنا عامرة ولا نعلم درجة قوة العدو ومقدرته فلنسكت لاعتلال ناموسنا بجهل قوة المملكة

التي تجاورنا ولنحقر نفوسنا أمام الأصدقاء والأعداء لأنه مثلا إذا كانت دولة الصين تصبح غداً في حالة الضعف والعجز ولا تعود قادرة على إكراهنا على دفع الجزية والخراج تأتي دولة أخرى وتطمع فينا وتقول قد جاء الدور لي وتطلب الينا دفع الجزية والرسوم لأن من شأن الدول القوية أنهم لا يرضون مطلقا براحة الدولة الضعيفة ويرفعها من وهدة الانحطاط والخوف والذي أظنه الآن وربما كنت أعلم أيضا أن قوتنا وماليتنا تفوق مالية الصين فلنتدرع بالجسارة لأننا إذا دفعنا الجزية كما في الماضي فمن المعلوم أنهم لا يقنعون بها وربما كلفونا حمل أمر أثقل منها وتتجه أنظارهم إلى امتلاك بلادنا طمعا وعدوانا . وقد قال الحكماء والفلاسفة إن لمداراة العدو والسير معه درجة محدودة يلزم أن لا نتعدى وأن لا تصل إلى درجة الافراط والحاصل اذا رأت الصين منا الثبات والجسارة فلكي لا تحقر نفسها تقنع منا بالجزية فقط وتضرب عن باقي مطامعها .

وبعد أن سمع ماهان كلام الوزير الرابع وفهم خلاصة رأيه التفت الى الوزير الخامس وقال له هلم فقد جاء الدور عليك واني أرى فيك عين الذكاء والفطانة فانظر فيما فيه النفع وقل أي رأي من هذه الآراء تستصوبه وأي قول تفضله .

فعند ذلك نهض الوزير وقبل أذيال الملك ثم عاد الى مكانه وقال ان الذي يستصوبه عبدكم أيها الملك المعظم هو أنه ينتج من الجواب الذي تجيب عليه ملك الصين أمران وهما اما اختيار السلام أو الحرب ومن المعلوم أن السلام أفضل من الحرب . لأن من الواضح والمعلوم عند الناس الآن أن الصينيين أوفر منا عددا وعددا وأرفع منا منزلة في الحرب . ونحن لا يحق لنا أن نقول الآن إننا أكثر منهم عددا وأشد اقداما لأن ذلك معلوم والحروب التي وقعت بيننا وبينهم قبل الآن انجلت عن فشلنا وتقهقرنا . فالذي يلزمنا الآن هو أن نأمن جانبهم نعم لا نقدر أن نقول بأننا نتغلب عليهم لأن الصينيين أهل حيل ومهارة في الخداع ومن الممكن أنه في الوقت الذي نتلاقى ونقترب من بعضنا البعض يطلبون الفرار وفيما نحن نطاردهم ونسير في أثرهم يغافلوننا ويعودون الينا ومن الممكن أيضا أنهم في أثناء هزيمتهم وفرارهم ينصبون أشراك المكائد والخداع وربما يتظاهرون ونحن في ميدان الحرب والقتال بالضعف والعجز ليرمونا بفخ مكرهم واحتيالهم

لان أبواب الحيل فى الحرب كثيرة ولذلك لا يلزم أن ندخل معهم باب الحرب والقتال .

فقال ماهان مادمت لا تستصوب الحرب فما هو الجواب الآخر الذي نرسله لملك الصين . فأجاب الوزير الخامس ينبغي في هذا المعنى التأني والصبر والتفكر لان المنافع التى تحصل للسلاطين من جراء التروي والصبر والامعان لا يحصل مثلها بالمال والسلاح لان الشجاع مهما كان باسلا لا يقدر أن يتغلب بقوة سيفه على أكثر من مائة رجل ولكن يمكن للرجل العاقل الصائب الرأى أن يتغلب بحسن تدبيره على قبيلة أو مملكة والمقصود فى هذا الباب أن يقرن مولانا رأيه المبارك برأى من يراه عاقلا وحكيما من وزرائه لان رأيكم الحسن يشبه المرآة فاذا أضاف اليه رأى وزرائه زادت تلك المرآة صفاء وجلاء ولا ننكر أن رأيكم هو بحر فائض فآراء وزرائك هى كالانهر اذا صبت فيه تزيده فيضانا والسلطان الذى لا يستشير وزراءه الامناء الحكماء يضيع ملكه في زمن قصير ويسوء حظه وتتفرق كلمته غير أن مولانا محاط بوزراء أمناء معزز بكلمتهم وآرائهم ومشورتهم سواء كان بانفراد كل واحد منهم عن الآخر أو باجتماعهم معا عين الحكمة فاذا كنت انفر من الحرب والقتال فكذلك أنا أكره التذلل والجبن والخضوع والانكسار ولا أستصوب أيضا دفع الجزية على هذا الوجه لأن الرجل العالي الهمة يرغب فى أن يعيش طويلا محافظا على الانفة والشدة واذا لا سمح الله لاجل بعض الراحة فقدنا شرفنا وقل اعتبارنا فالاحسن أن لا نعيش فى هذه الدنيا فالموت أفضل من أن تمس شوكة مملكتكم وعظمة جلالتكم وقد يكفي ما أبنته الآن علنا والتمس من لدنكم أن تسمحوا لى بخلوة لأبين لكم على انفراد مالا أحب أن أقوله علنا .

فلما سمع باقي الوزراء كلام الوزير الخامس دب فيهم الحنق وملأ قلوبهم الغيظ فرفعوا أصواتهم قائلين ما هذا الرأى ألا يحق لنا التدخل فى هذا الامر والمشاورة وعرض الآراء النافعة الحكيمة وبحث الصالح منها واعطاء القرار بالاتفاق ونحن لا نفهم ما هو المقصود من انفرادك بمولانا الملك وما الذى تريد أن تخفيه عنا .

فأجاب الوزير الخامس نعم ما كل مستشار مؤتمن وما دامت أسرار المملكة من المهام الخطيرة والأمور الجسيمة فى العرف والقانون فلا تصح المفاوضة فيها

أمام كل إنسان لأن كشف أسرار الملوك يقع فى الغالب إما من أرباب المشورة وإما من السفراء والرسل فمن أين تعلمون أنتم إذا كان يوجد هنا الآن جاسوس أو لا يوجد يلزم التدقيق فى كل شيء فربما لا نكون جميعنا أمناء ألبس إذا قررنا تدبيراً الآن وقبل أن نباشر ذلك التدبير يمكن أن يبلغ العدو فنحرم من فائدته على فرض أننا جميعنا أمناء ولم يكن بيننا جاسوس قط فهل نأمن أن لا أحد منا يقول لأحد أصحابه أو حاشيته إما افتخارا أو حبا بخدمة الأمة والدولة لقد فعلت كذا وقلت كذا وتقرر كذا وبهذه الطريقة ينتشر الخبر ويسمع به الصديق والعدو فنفقد نتيجة تدبيرنا وقد صدق من قال إن كل سر من تجاوز الاثنين ضاع فضلا عن أنه يلزم الحذر من الصديق قبل العدو وقد صدق من قال :

احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة
فلربما انقلب الصديق فكان أعرف بالمضرة

وقد قيل كتم الأسرار من شيم الأحرار والعاقل من حبس سره فى صدره مع أن كتم الأسرار عند الملوك من أهم الواجبات أي كتمها عن كل كبير وصغير من الخاصة أو العامة . وحتى الآن لم يصر شيء بعد . فمن كشف الأسرار يخسر التاج والتخت وتفقد الأمة والسلطنة .

فلما أجاب الوزير الخامس بهذا الجواب المملوء بالعقل والحكمة لم يبق فى وسع رفقائه أن يصبروا لشدة صدهم فاعترضوا عليه قائلين إنك لا تقصد إلا إخراجنا من المشاورة أو البحث لينظر كل إنسان شغله بعقله مع أن العمل الذى ينظر بدون مشاورة تكون عاقبته الندامة .

فأعاد الوزير الخامس الجواب ثانية وقال كلا ليس ذلك لأجل مشورتنا بل علينا أن نساعد رأى مولانا السلطان لأن الله سبحانه وتعالى قد أقام لكل أمة ملكا فعلى الملك وحده تدبير الأمة ولكي يكون الملك على ثقة من نفسه فى تدبير رعيته أقام الوزراء والمستشارين ليقف على آرائهم فاذا كان فيهم من يفوقه عقلا وحكمة عمل برأيه وإلا استقل برأى نفسه وأنا الآن لم أقل انه ليس من الواجب مشاورة سيدى الملك لوزرائه لكن أقول بوجوب كتم السر صيانة للملكة ومن اللازم أن تجرى المشاورة إنفرادية وفي خلوة فيبقى ذلك مكتوما وإذا كان فى رأينا اختلاف لا يعلم فنأمن الانقسام والنفور من بعضنا البعض

وكان الملك يسمع ويتعجب من اختلاف آراء وزرائه ومن ذكاء وفطنة الوزير الخامس ثم التفت إلى وزرائه الأربعة وقال لهم عجبا هل تظنون أن الوزير الخامس غلط فى طلبه كلا فما هو الضرر الذى يحدث يا ترى لو أنى استشرته على انفراد مادام الكلام الذى نتكلم به ستعلمونه فيما بعد فلماذا العجلة والذى تبين لى منكم الآن ان الحسد والبغض بأكل قلوبكم ويدفعكم إلى الاعتداء على بعضكم البعض مع أن الحسد داء اختصت به العامة فاذا لا سمح الله وقع البغض والحسد بين الوكلاء والوزراء فكيف تكون أحوال الرعية وهذا ترون أنى غير راض عنكم ولا أعجبنى رأى من آرائكم ثم نهض مظهرا الحدة ودخل الحرم وتفرق الوزراء كل إلى مكانه .

وفى اليوم الثانى خرج ماهان من حوله وأمر أن يؤتى اليه بالوزير الخامس وانسحب الاثنان إلى خلوة وأخذا يتبادلان الآراء فابتدأ الملك سائلا وزيره ما هو قصدك من الانفراد وإبداء رأيك فى خلوة وما هو الذى تريد أن تقوله ولا يطلع عليه أحد قل رأيك فليس بيننا ثالث فأجاب الوزير نعم يا سيدي انى وإن كنت لم أذهب الى بلاد الصين ولم يتسن لى أن أكشف تلك الجهات بنفس لكن الذي أعلمه بعد الفحص واستقصاء الاخبار ممن رأى البلاد الصينية أن أهاليها مغرورون بكثرتهم موهومون بشجاعتهم منهمكون دائما بالمعاشرات الفاسدة غارقون فى الفسق والفجور يجهلون كل الجهل فنون الحرب وطرق القتال ولا سيما أن الجندى منهم يسير في الشوارع والمومسات الى جانبه ويطوف في الأزقة ومحلات اللهو وهن حواليه أى أن جنودهم غير منظمة وأخلاقهم فاسده وطباعهم ميالون إلى الموبقات مثلا ان الواحد من الجند إذا رأي امرأة تسير فى زقاق فانه يصير عبدا لشهوته فينضم اليها ويصرف أيامه معها غير سائل عن فرقته أو رئيسه ولا ملتفت الى نظام أو طاعة وكذلك الأهالى فانهم على أعلا مقام من الكسل والانحطاط لا يهتمون بغير الأكل والشرب والنوم ولا يعلمون ما هى فنون الحرب ولا أساليب القتال ولا كيف تحارب الفرسان وتلتقى الابطال والشيء الوحيد الذى يعرفونه هو الصناعه فانهم يتوارثونها ويتعلمونها من بعضهم البعض بحكم العادة لسد احتياجاتهم الضرورية وجل ما يصرفون اليه عنايتهم صناعة النقش والنسج بالالوان الغريبه فلا يوجد فى العالم كله نقاشون يقاربونهم في هذه الصناعة وبالنظر لهذه المبالغات ومايشاع

عنهم من كثرة العدد واتساع البلاد وزخارف الصناعة تخافهم الملوك وترهب جانبهم والمحقق عندى أنه اذا وقع بيننا وبينهم قتال وتقابل الجيشان فاننا نتغلب عليهم لامحالة بتدبير يسير وسهل جدا وهو أن تأتي بخمس أو ست آلاف امرأة من العاهرات فاذا وقعت العين على العين وتم وقوف الطرفين أريناهم إياهن قبل الهجوم وهم على استعداد لملاقاتهن فما من ريب عندى فى أن جيوش الصين تترك القتال وتميل إلى مغازلة النساء فنهجم عليهم وحينئذ نغتنم هذه الفرصة للفتك بهم وعندي أن هذه الوسيلة من أنفع الوسائل للانتصار على مملكة الصين وكبح جماحهم .

فتعجب الملك من حكمة وزيره وسعة أطلاعه وحسن تدبيره فقال له لقد أحسنت وحقا إنك وزير عاقل خبير عرفت النقطة التي يتوقف عليها فوزنا باطلاعك على أحوال الصين وحالة جنودها ورجالها وأنت جالس على كرسى وزارتك لكن لو فرضنا أننا انتصرنا فى الحرب على الجنود الصينية ونجحت مساعينا وتمت حيلتنا فماذا يترتب علينا أن نعمل بعد ذلك وهل فى إمكاننا الدخول للبلاد الصينية والاستيلاء على قلاعها وحصونها فأجاب الوزير الخامس بقوله نعم ان تدبير الامر بعد ذلك سهل . لان الصعوبة كلها تتركز في أول موقعة فاذا نحن انتصرنا دخلنا فى الحال بلاد الصين واستولينا على كل قلاعها وحصونها حتى العاصمة والذي علمته واتصل بى من البحث والتحرى أيضا أن الخفراء والقواد الموكلين بحماية الحصون والقلاع قد اعتادوا السكر والفسق فى كل ليلة ومن الصعب بل من المستحيل على من تعود على مثل هذه العوائد أن يرجع عنها ويتركها وبواسطة عاداتهم هذه ندخل حصونهم ونستولى على بلادهم .

فاستصوب ماهان رأى وزيره ومدحه عليه وسأله قائلا إنك على ما تقول لم تذهب الى بلاد الصين ولا شاهدت أهاليها فمن أين عرفت عوائدهم وقد اطلعت على نقائصهم فأجاب الوزير نعم يا سيدي الملك إنى بالحقيقة لم أذهب إلى بلاد الصين وإنما أنا وزير ولما كانت الوزارة والسفارة دعامة الدولة وركنها فالوزير الذى لا يهتم لصغار الامور قبل كبارها في كل العالم ويصرف وقته بالمسرات والمعاشرات ويقول فى نفسه ماذا يهمني من أمر الدنيا وما هى فائدتى من الاطلاع على أحوال العالم ودرس عوائدهم وأخلاقهم وماذا يتعلق بى

خربت البلاد أو عمرت لاخير فيه لأمته ومملكته ولا معني لوزارته أو لسفارته بل ربما كان تهاونه سببا فى خراب مملكته وضياعها . وأكثر الوزراء فى أيامنا لا يهمهم إلا عزل فلان ونصب فلان والانتفاع بأموال زيد وعمرو وعند وقوع كل تدبير صغيراً كان أو كبيرا يرتبكون ويحملهم التكاسل على التأخير فيكتفون باصدار أوامرهم لمن تحتهم وكثيرا ما يقولون فليبق هذا العمل للغد وذاك سنذبره فيما بعد مع أن فى وسعهم انهاءه فى الحال فتمر الايام والأشغال تتراكم ثم تموت من نفسها وتضمحل مع الايام وتضيع الفوائد الناتجة عنها للبلاد والعباد فمثل هؤلاء لا يصح أن نسميهم وزراء بل جهلاء وأعداء أمتهم لأن من المعلوم أن الوزير وكيل الملك ولسان حاله وفكره وساعده الأيمن ومدبر أموره والملك هو المسئول أمام الله عن شعبه وأمته ولهذا نرى أن منصب الوزارة ليس من الامور السهلة فلا يصح أن يتولاه الجهلاء والكسالى . وانك لو سألت بالأمس رفاقي الوزراء الذين كذبوني وقوموني بعضا وحسدا عن الصين وأحوالها وأخلاق حكامها وأهلها لما عرف أحد منهم أن يجيبك بكلمة واحدة ولكن لو سألتني عن الصين ومحلاتها وجنودها وأهاليها وكل ما هو فيها كبيرا أو صغيرا لأجبتك اليه دون شك ولا ارتياب والسبب أني لما لم أكن أمينا من العدو فلم أفتر عن التفكير فيه ليلا ونهارا حبا مني فى الوقوف على ما استفيد منه وربما ينفع بلادى وذلك لانى كنت أعتقد أن من الفروض الواجبة فى عنق الوزير لوطنه أن لا يغفل عن تدبير شئون الرعية ولا ينفصل عنهم ولا يشتغل بصوالحه الخاصة عن صوالحهم والوزير الذى لايكون كذلك ولا يخاف الله بترك تدبير العباد الذين وكل اليه أمرهم وباتت فى يده مصالحهم وإذا كان لايخاف الله فممن يخاف ... وكذلك السفير عليه أن يكون عاملا وذكيا ذا دراية وحكمة فعلى الوزير زيادة البحث والاعتناء بشأن السفير أى الرسول اللازم ارساله بمصلحة وخدمة الى احدى الجهات لان الرسول يشخص مرسله فاذا كان فصيحا حكيما عالما دل على ذكاء وحكمة ملكه واذا كان بليدا جاهلا قصير الحجة دل على جهالة وحماقة سيده الذى أرسله وعليه فمن الضرورى اختبار السفير والركون الى كماله قبل ارساله لانه مادام السفير لسان الملك فبالطبع يجب الانتباه الى أن يكون عارفا بأمور الدنيا مطلعا على تاريخ العالم وجغرافية المواقع عالما بأكثر لغات العالم كي لايفوته أمر فى مهمته حريصا

على انفاذ غرض سيده وقد قيل فى الشعر السائر :

إذا كنت في حاجة مرسلا فأرسل حكيما ولا توصه
وإن باب أمر عليك التوي فشاور لبيبا ولا تعصه

وفوق كل ذلك يلزم أن يكون جسورا مهابا من ناحية وحليما رفيقا من جهة أخرى فيدافع عن حقوق سيده وبلاده دون أن يهيج غضب المرسل اليه ويعرف بذكائه وحكمة أفكاره بواطن الأمور ولو لم يبدها ويستخرج بالحيلة واللين دفائن قلبه ويقرأ على وجهه أسرار قلبه مهما أخفاها وفوق كل ذلك عليه أن يبحث بعين عقله عن حال الحكومة المرسل اليها ويقف على مكانة ملكها من قلوب رعيته ويزن بفطانته مقدار ما عند وزرائه ورجال ديوانه من العقل والدراية ويختبر قوة البلاد ونظام جنودها وانتظام رعاياها الى كل ما هو من هذا القبيل ولا يخفي على سيدي الملك أني صرفت نحو أربعين أو خمسين سنة على هذه الخطة وأرسلت الى العدو مرات كثيرة ولم أغفل فى مرة واحدة عن واجباتي وعرفت حالة البلاد وطرقاتها وكل شعب فيها وما عدا ذلك فقد رأيت طريقا سهلا وهو أن ننظم نحو مائتي ألف فارس نسيرهم أمامنا وأما نحن فنزحف بجميع عساكرنا ولا يمكن للصين محاربتنا حتى نصل الى عاصمة بلادهم والمائتى ألف فارس نرسل كل فرقة منهم فى طريق فيدوخون البلاد ويستولون على المدن بينما نكون نحن زاحفين على العاصمة وبذلك تنقطع المدن عن العاصمة وأنا الكفيل بنجاحنا واستيلائنا على بلاد العدو .

فلما سمع ماهان كلام وزيره الخامس رآه عين الصواب وتبين أنه من ذوى الفطانة والامانة وأن ما يقوله له انما هو عن اختبار وامتحان وثقة سر منه سرورا لا مزيد عليه وعهد اليه بتدبير الامر والاسراع الى ما يراه مناسبا بعد أن مدح أمانته وصدقه .

وفى الحال ألقى الوزير القبض على سفير ملك الصين وجمع نحو مائتى فارس سيرهم إلى قلاع البلاد ومدنها وسار باقي الجيش فى أثرهم فاقتحموا القلاع ووصلوا الى المدن الكبيرة دون أن يقدر أحد على محاربتهم أو يقف فى وجوههم وبالقضاء والقدر توفى في تلك الاثناء ملك الصين فانهمك بأمر مأتمه جنده ورجال دولته وفيما هم مشغولون بذلك وصل ماهان بجنوده الى العاصمة فهاجمها بغتة ودخلها بدون تأخير ونهب فى المدينة وقتل فى أهاليها قتلا ذريعا حتي لم يبق فى وجهه

من يقاومه وقد سلمت اليه الحكومة واستأمن الاهالى فأمنهم وجلس على تخت مملكة الصين وجعل وزيره الخامس السابق المذكور وزيرا أولا وفوض اليه أمور البلاد والعباد وأقام أباه ملكا على حكومته الاولى وصرف باقي عمره فى راحة وسكينة ولاجل أن يفرى أهالى الصين عن ملوكهم ليس هو اللون الازرق لأن اللون الأزرق هو اللون المفضل لديهم ولم ينزعه عنه حتى الممات .

وبعد أن انتهت آذريون بنت سلطان المغرب صاحب الاقليم الخامس الى هذا الحد قالت لبهرام وهكذا يا سيدى انتهت حكاية ماهان وقد لاقي السعادة بعد العذاب والهناء بعد التعب .

فقبل بهرام آذريون فى خديها وقال لها حقا انها حكاية عجيبة غريبة جدا والذى زادها غرابة وفاة ملك الصين صدفة .

فقالت آذريون نعم ياسيدى وذلك من حظ ماهان فانه عندما رأى الأهالى يلبسون الثياب الزرقاء فهم منها أن السلطان قد مات ففرح باللون الازرق وحقا انه لون جميل بديع للغاية يسر الخاطر ويجلي الناظر ولذا كان لون السماء أزرق واللون الازرق رمز المجد والشرف وكذلك فان الفيروز الازرق محبوب وثمين وعلى الخصوص ان العيون اذا كانت زرقاء تحب وتمدح .

ثم ان بهرام بعد أن سمع كلام آذريون ورأي مارأى منها من الدلال واللطف والرقة جذبها الي صدره وقبلها مرارا وساعداه تطوقان عنقها وقد أظهر لها مزيد الميل والتحبب والشغف وكان المساء قد أقبل ودنا وقت الطعام فدخلا غرفة الطعام وكانت أنواع المأكولات والمشروبات قد صفت علي خوان من حجر الفيروز وكلها بلون فيروزى أزرق فجلسا وشربا بين غنج ومسامرة وتقبيل وعناق ومساجلة ومغازلة ومناشدة . ومن بعد الفراغ من الطعام نهضا الى حوض مبنى من الفيروز فجلسا حوله وعادا إلى استئناف العمل وتلبية سلطان الغرام وداما الى أن غيبهما خمر العشق عن الصواب فانسحبا الى غرفة المنام واضطجعا على السرير والتفا التفاف اللام بالألف . . . وقد أحسنا الصنع وأحكما الوضع وبقيا على ذلك الى الصباح فخرجا من خلوتهما ناقمين على الليل لسرعة رحيله وعلي النهار لجراءته على افتضاحهما بكشف الغطاء واظهار سر ما ستره الليل وجاءا الى حوض فى الحديقة فدخلاه وهما فى لعب ومزاح ولمس ودس وبعد

أن نظفا بعضها البعض خرجا من الماء وأحضر الى بهرام أيضا ثوب أزرق جديد وتقدم من الجنينة الى القصر ثم خرج من هناك قاصدا القصر الصندلى لأن لونه يشبه لون الصندل .

وتقدم بهرام فى صباح يوم الخميس الى القصر الصندلى اللون وبعد أن بعد عن القصر الأزرق قليلا رأي الطريق مفروشة ببسط من لون الصندل واشتم رائحة الصندل قد ملأت الفضاء وشاهد نحواً من مائة أو مائة وخمسين جارية من الجواري الحسان اللاتى يفضحن بحسنهن الأقمار . بيد بعضهن القماقم المملوءة بماء الورد وبعضهن يحملن المباخر الذهبية وبعضهن يحملن أطباقا من الذهب عليها الجواهر والدنانير لأجل نثرها عند وصوله

فلاقينه بالتعظيم ومشين بين يديه والدنانير تنثر على الرؤوس والمياه العطرية على المتفرجين من الجانبين .

ولما اقترب من باب القصر وجد تختا منصوبا وعنده ثلاث جوار يحملن على أيديهن الأقمشة النفيسة فنزل بهرام عن جواده ودخل الخيمة فقدم له الجوارى الثياب ففتح البقجة الأولى فوجد ضمنها ثوبا نادر المثال لم ير مثله طول عمره ففي الحال نزع ثيابه وأفرغه عليه .

ثم فتح البقجة الثانية فرأى ضمنها تاجا مرصعا بالجواهر الكريمة يبهر النواظر من عظم لمعانه فأدرك بهرام فى الحال أن التاج هو تاج الملك العادل كسري أنو شروان الذى كان يلبسه أجداد زوجته درسق ففرح لذلك كثيرا ورفعه على رأسه .

ثم فتح البقجة الثالثة فرأي منطقة مرصعة بأكبر الحجارة الكريمة ومصنوعة على شكل غريب فتمنطق بها وقلبه يطفح من السرور والامتنان لهذه الهدايا التي قدمت اليه وكان يلبسها قبله أكبر الملوك الأكاسرة .

وبعد ذلك خرج من الصيوان ودخل القصر فلاقاه نحو ثمانمائة جارية من الجوارى الفارسيات وبأيديهن الاطباق المذهبة على الجواهر المنوعة وحالما رأينه دخل الباب رمين الجواهر عند قدميه ليسير عليها فاجتاز بهرام صفوف الجوارى بالعظمة والاجلال وتقدم إلى جهة الحديقة فسمع الموسيقي تصدح بأنغام مشجية وأصوات عذبة ساحرة فتعجب لهذه الاصوات قائلا في نفسه ماهذا وتقدم قليلا

فسمع صوتا رخيما كصوت العيدان أو غناء الكروان يغيب لسماعه عقل الشيخ المتعبد ويضيع لحسنه صبر الفتي الولهان وقلب الشجاع الباسل .

فزاد من ذلك تعجب بهرام فتقدم نحو الحديقة شيئا فشيئا وجعل يرسل بنظره فيما بين الاشجار يتتبع مصدر الصوت فتبين تحتها بركة ينفر الماء من وسطها فيحلق بين الاشجار التي تظللها وحول البركة سرير مرصع بالجواهر وفوقه السيدة درستي جالسة وعليها قميص من غالي الحرير الرفيع الشفاف متكئة على وسادة من الحرير محشوة بريش النعام وقد وضعت العود على صدرها وجعلت تضرب به وتغني بصوت رخيم ضاع تحته صوت العود ومن حولها عشرة جوار كل واحدة منهن تفوق بلقيس في الحسن والاعتدال والقد والدلال .

فتحير بهرام عند مشاهدته هذا الحال وتاه عقله حتي لم يعد عارفا ماذا يعمل وعلى الخصوص قد أثر فيه صوت درستي فوقف جامدا في مكانه لا يقدر على المشي وأصاخ سمعه لاستماع الصوت واستيعاب ما كانت تنشده في غناها وقد سمعها تقول :

هلم إلى نيل المسرة والهنا ... ورشف كؤوس الراح من راحة الظبي
ودعني أغذي النفس منك بقبلة ... وأطفي بها نار الفؤاد من الجوى
بحقك يا مولاي زرني فانني ... معذبة من عظم هجرك والقلى
وواصل فتاة في رضاك حياتها ... فأنت لها روح المسرة والهنا
وها ورد خدي فاقتطف منه ورده ... فما مثل ورد الخد في الحب يجتني
وذق عسل الثغر النظيم فانه ... رضاب شهي طعم اليوم قد حلا
وجنة صدري فادخلن في نعيمها ... ألم تر رمان النهود قد استوي
وطوق بزنديك خصري وضمني ... اليك فذا وقت المسرة والصفا
ولا تخش في فعل الحلال مزاقبا ... فان رقيب السوء عنا قد انتفى
عدمت اصطباري عن وصالك سيدي ... فعجل به ان كنت ترحم من يهوى
فكن بطلا عند النزال سميدعا ... وشق حجاب الستر كي تبلغ المني
وغص لجة البحر الخضم عسي إذا ... توغلت فيه تخرج الدر من خفا
فذلك ما ترجوه كل عقيلة ... إذا اتبعت مع قلبها سنن الهوي

فلما سمع بهرام إنشادها هاج به غرامه ولم يعد يطق اصطبارا فارتمى بنفسه عليها وضمها إلى صدره وهي بين جواريها وأخذ يقبلها في خدها ونحرها

ويكثر من ضمها وامتصاص شفتيها وقد أخذ الجوارى الحياء واحمرت وجوهن من الخجل .

ثم نهض بهرام وتناول من زوجته العود وقد قال لها قد جاء دورى الآن وضرب عليه أشكالا وألوانا وأنشد :

شروط الهوى عند المحبين خمسة   إذا أتقنوها أدركوا منتهي الفن
عناق وتقبيل ورشف وضمة   ومن بعدها الصاق بطن على بطن

فلما سمعت درستى انشاد بهرام تحرك بها داعى الغرام فرمت بنفسها عليه وقابلته بالمثل وناولته المراد ثم جلس كل منهما للاستراحة والتنفس وحينئذ سألها أن تقص عليه ما عندها من الاحاديث والسمر فأجابته بالسمع والطاعة وبدأت بالكلام فقالت :

قصة خير وشر

اعلم يا ملك الزمان ووحيد العصر والاوان أنه كان رجلان أحدهما اسمه خير والآخر اسمه شر يقيمان فى بلد واحد وقد عقدا النية على السفر بقصد السياحة والتطواف فى البلاد الغربية (ولا بد أن يتعجب من هذين الاسمين فسبب تسميتها أن الاول كان رقيق الطبع حليم الاخلاق يحب الخير للناس جميعا لا فرق بين عدوه أو صديقه ولذلك سمى بخير .

والثانى فقد كان ردىء الطباع حاد المزاج مفسداً نماما يتمنى الضر لكل إنسان فلقب بشر ، وقد حكمت المقادير بخروجهما للسفر معا) . ولما خرج الاثنان من المدينة استلما الطريق فى البر الاقفر ومع أن خيرا كان يتألم كثيرا من مرافقته شرا لكنه كان يسالمه ولا يضمر له الا الخير وبالعكس شر فانه كان يتمني عذاب رفيقه وايقاعه بالنكبات وكان خير يحمل علي جواده طعامه وماءه وكذلك شر الا أن خيرا عندما يجلس للاكل يدعو رفيقه لمشاركته فيأتى شر ويشاركه فى طعامه ومائه وقد خبأ طعامه وحرص عليه وداما على ذلك مدة ستة أيام حتي بعدا عن بلدهما بعدا شاسعا .

وحينئذ فرغ الاكل من خير ولم يبق عنده ما يسد به رمقه وأخذ الجوع والعطش يستوليان على خير ويشتدان عليه .

فقال لرفيقه يا أخي كن منصفاً فاننا مثلما أكلنا الطعام وشربنا الماء اللذين كنت أتيت بهما فمن العدل أن نأكل ونشرب الطعام والماء اللذين معك ريثما نكون وصلنا احدى المدن فنبتاع ما يكفينا .

فأجاب شر بحدة كلا لا يمكن ذلك لأن ما معي من الزاد لا يكفيني لوحدي فلماذا لم تحرص أنت على زادك ومائك .

فقال خير انت تعلم يا أخي أني لم آكل زادي لوحدي بل أكلته أنا وأنت فلا تكن ناكرا للمعروف جاحداً للجميل فعاملني كما أعاملك .

فأجاب شر ومن حملك على أن تدعوني لأكل طعامك وشرب مائك أم تكلفني أنت بنفسك الى ذلك فأنا اجابة لدعوتك كنت أفعل أما أنا فلا أدعوك ولا أريد أن أكون مجنونا مثلك فلا تطمع مني في شربة ماء أو لقمة خبز .

فسكت خير متكدراً من رفيقه حتى اشتد عليه الجوع والعطش وكان الحر قويا حتى لم يعد قادرا على تحريك لسانه وفتح شفتيه ولم يكن في كل تلك الناحية عين ماء ليستقي منها ولما رأى شدة مصاب رفيقه لم يكتف بما فعله معه بل جلس على الارض ومد زاده ونصب كوز الماء وأخذ يأكل ويشرب وعين خير تنظر اليه وقلبه يتحرق على الماء ولم يجسر أن يغضب شرا ويحمله على السماح له بجرعة ماء لعلمه أنه رديء وقوي وشرير وسفاك لا يشفق ولا يرحم .

وما زال الحال يشتد على خير حتى ذهب عقله من رأسه ونشف ريقه ولم يعد قادرا على الاتيان بحركة وقد أيقن بهلاكه . ثم عاد الى التذلل والتوسل الى رفيقه .

فقال : اكراما لله وللانسانية أشفق علي وارحمني واعمل معروفا معي وكن ذا مروءة واحسبني غريبا مثلك لأن روحي وصلت الى حلقي تذكر أني لم أعاملك الا بكل خير وما أسأت اليك قط فاسمح بنقطة ماء فقط لأبل بها لساني وبذلك تحييني وتدفع عني الموت ارحمني يرحمك الله . اني أموت الآن من قلة الماء المعونة المساعدة . الرحمة . الشفقة . ان روحي تخرج مني الآن ولا سبيل الى الماء منك .

فسد شر آذانه عن سماع كلامه وبقي مصرا على عناده وقساوة قلبه وقال له عبثا تحاول فاني اذا سقيتك من مائي يفرغ فالاحسن أن أتركك تموت وأذهب أنا في حال سبيلي .

فزاد الأمر على خير وأعاد التوسل والرجاء وقال : ألا تشترى حياة انسان بنقطة ماء ، نقطة واحدة فقط صبها على لسانى فهذه لا تقدم ولا تؤخر فى الماء الذي معك فاذا تركتنى اموت لأجل نقطة ماء يكون عارا عليك ويلومك الناس فخف الله والأنبياء وافتكر أنك إذا لم ترحمنى يوقعك الله بمصاب أشد من مصابى فلا يرحمك أحد ويقسى عليك القلوب فتموت معذبا . فلم يتأثر شر من كلامه ولا أشفق عليه بل أجابه بحدة وغيظ إذا كنت لا تكف عن طلب الماء حملتنى على قتلك بيدى والخلاص منك ومن ثقلتك .

ورأى خير أن لا فائدة له فى الالحاح على الحصول على الماء من رفيقه شر وقد بلغت روحه التراقى وخارت قواه فأيقن بالهلاك والفناء .

وحينئذ مد يده إلى وسطه وأخرج كيسا تناول منه حجرين من الياقوت لا يوجدان فى خزائن الملوك فأراهما لشر وقال له هاك جوهرتان فخذهما واحينى بجرعة ماء إحسانا منك وكرما .

وعند ما رأى شر الجوهرتين مالت نفسه إلى أخذهما ولعب به سلطان الطمع ولكنه فكر برهة ثم صاح قائلا لخير إذا أخذت منك الآن هذين الحجرين فمتى وصلنا غدا الى المدينة تسترجعهما منى فقال خير كلا إنى أقسم لك بالله أنى لا أفكر فيهما ولا آخذهما مطلقا بل هما حلال لك وقد سمحت بهما من كل قلبي وخاطرى . فلم يقتنع شر بكلامه وبقى مصرا على عناده ولم يسمح له بنقطة يبل بها لسانه .

فبقى خير حزينا كئيبا يتوجع ويتألم وقد قال فى نفسه ياليتنى كنت مت فى بلدى ولا رافقت هذا الرجل عديم الرحمة ماذا أعمل لو لم أرافقه لما وقعت فى هذه البلية وبعد قليل شعر بمفارقة الحياة فوقع إلى الأرض ثم تمالك نفسه وقال لشر انى أموت الآن داعيا الله أن يوقعك بمصيبة أعظم من مصيبتى هذه لاجل جرعة من الماء تمنعها عنى وتتركنى أموت . ارحمني أعطنى جرعة ماء واطلب منى معها ما شئت فأعطيك فأجاب شر انى أسمح لك بجرعة ماء على شرط أن تتركنى أقلع لك عينيك وتعطيني الجوهرتين اللتين معك .

فقال خير أواه منك أيها الظالم الغاشم ألا تخاف الله لقد من الله على بهاتين العينين وهما أعز على وأنت تريد أن تسلبهما منى فماذا تستفيده اذا قلعت عينى وما منفعتهما عندك ؟

فأجاب شر بغير ذلك لا يمكنني أن أنولك مرادك فلا تطمع بنقطة ماء الا بخروج عينيك لانك اذا أعطيتني الجوهرتين الآن فمتى دخلنا بلدا تدعى على وتطالبني بهما ولكن اذا اقتلعت عينيك فلا تعود قادرا على أن تراني بعد ولا تعرف بمكاني فلا يتسنى لك ارجاعهما فيما بعد .

فأعاد خير الالتماس والرجاء وقال لشر الرحمة ياأخى تذكر أني من وطنك وقد أطعمتك وسقيتك عدة أيام وأنك مدين لى بالمعروف الذي قدمته اليك فتكرم علي بالماء ان لم يكن في مقابل ذلك فاكراما للوطنية والانسانية أو اكراما لله الذى خلقك وهو قادر عليك فى كل وقت فان كنت لا تراعي هذا ولاذاك فاعطني شربة ماء وخذ منى الجوهرتين فهما لا يثمنان بمال وخذ ثيابى وكل مامعي من المال وخذ مني سندا بخطى وأني وهبت اليك كل أموالي وأمتعتي وملكي وأقسم لك أني أهبك الكل ولا أعود أطالبك بشيء واعف لي عن عيني واشتر حياتي .

فهز شر كتفيه وأدار ظهره ولم يتأثر لاسترحامه ولم يلن قلبه لتوسلاته وأخيرا قال له عبثا تحاول الحصول على جرعة ماء بدون قلع عينيك والآن لا يوجد عندي وقت فاما أن تدعني أخرجهما واما أن أتركك وأسير

ورأى خير أن لا فائدة من الرجاء والالتماس والتذلل وأن خصمه شر لا يعرف الرحمة والشفقة وشعر بأن روحه تتردد فى صدره فصاح من الألم والدموع تتدفق من عينيه . آه ياظالم يا قليل الرحمة والمروءة هلم خذ عيني وانتظر الجزاء من خالقك هيا افعل بي ما شئت وخذ ما تحب فقط عجل على بشربة ماء افعل ما تطلبه اليك المروءة والانسانية فلم يتردد شر في العمل بل أخرج السكين من جيبه بأسرع من لمح البصر وتقدم من خير وهو غائب عن الوجود لا يرى لشدة عطشه وعظم ألمه ما بين يديه ولم يشعر الا والسكين في عينيه وقد أحس بأشد الألم عند ذلك أخذ شر منه الياقوتتين ولم يعطه نقطة ماء بل تركه فى مكانه وسار يجرى فى تلك الصحراء كي لا يسمع صوته فيما بعد وهو قد اعتقد أن خير لا يلبث أن يموت بعد ساعة أو ساعتين . ولم يكن هذا بالامر العظيم على شر فهو قد اعتاد على الشرور منذ نعومة أظفاره فقد أكل زاد خير وشرب ماءه وأخرج عينيه وسلبه جوهرتيه وأخلف بوعده فلم يعطه الماء بل تركه ليموت شر ميتة .

أما خير المسكين فقد خسر عينيه وجوهرتيه ولم يحصل على قطرة ماء فغاب عن الوجود وبقي منطرحا على الارض يلاقى العذاب وينتظر الموت وهكذا قطع خير الرجاء من الحياة (نسأل الله أن لا يري أحدا هذه الحالة وأن لا يبلى انسانا برفيق كشر الخبيث الظالم) ولم يعد خير قادرا على أى حركة بل كان يئن ويصعد الزفرات والدم يسيل من عينيه على وجهه ويتساقط على الارض وكانت حالته يلين لها الحجر الصلد والقلوب المتحجرة الا قلب شر الذى لا يمكن أن يوجد انسان فى مثل قسـوته وغلظ كبده فى كل العالم حتي الوحوش التى لا تعرف الرحمة ولا تراعى الحرمة ولا تهمها قوانين الانسانية والمدنية فانها لا تعتدى علي حيوان من جنسها ولا تفتك الا بغيرها فالاسد لا يقتل الاسد لانه أخوه والذئب لا يقتل الذئب لانه أخوه وحتى البرابرة الذين اعتادوا القتل والسلب والنهب وقتل الانسان عندهم كقتل أقل الحشرات ولكنهم يحنون لاخوانهم ولا يوقعون بأبناء قبيلتهم ولا يضرون رفقاءهم مهما كانوا قساة ولكن الله جل جلاله العارف بما فى الخفايا لا يغفل ولا ينام ولا يقعد عن نصرة المظلومين ولا يبقى على الظالمين

وبالصدفة كان على بعد ساعة من المكان الموجود فيه خير قرية صغيرة لم يكن يعلم بها .

وفى صباح ذلك اليوم خرجت من القرية بنت أحد رعاتها وعمرها نحو ١٥ سنة وإلي جانبها أخوها يسوقان غنمهما للرعى فى أطراف تلك الصحراء وفى وقت الضحى ساقا الغنم إلى عين ماء كانت وراء المكان الملقي فيه خير بنحو ميلين فسقا الغنم وجلسا عندها وتركا الغنم فسرح مقدار ثلاث ساعات ثم ساقا الغنم وعادا إلى جهة القرية فى وقت الأصيل فجاءت طريقهما على الموضع المطروح فيه خير وقد سمعت الفتاة أنينه وزفراته فوقفت مستطلعة ثم مالت إلى جهة الصوت وتقدمت بضع خطوات فرأت خيرا على تلك الحالة وقد تعفر بالتراب والدم يسيل من عينيه وهو فى حالة النزع فتأثر قلبها له وبكت لحالته وحملتها الشفقة على التقدم منه فسألته عن حالته وعمن أوصل اليه هذه البلايا ورماه بتلك المصائب .

فلما سمع خير صوتها بكى من شدة الألم وصاح الرحمة يا أصحاب الخير انى أموت الآن من قلة الماء وروحى تتردد فى صدرى ... ارحمونى ... أغيثونى

الحقونى بنقطة ماء اكراما لله في الحال عمدت الفتاة الى كوز ماء وصبت منه فى فم خير

ولما شعر خير بالماء نهض وجلس ثم أخذ الكوز بين يديه وجعل يشرب منه جرعة جرعة ثم أرجع الكوز الى الفتاة وقال الحمد لله .. ثم وقع الى الأرض مغشيا عليه .

فلما رأت ابنة الراعى حالته وضعت الكوز على الأرض ورفعت رأس خير الى ركبتها وقد فهمت من حالته أنه غريب ورأت عينيه يسيل الدماء منهما الى الأرض وهو لا يزال فى حالة الشبوبية فأشفقت عليه وبكت وصارت الدموع تذرف من عينيها على غير ارادتها (ومع أن الفتاة كانت قروية متربية على الطبيعة البدوية لكنها كانت ذات قلب رقيق وميول فطرية على حب الخير وصفات حسنة ورقة ربما لا توجد فى فتيات الحضر) ...

وبعد ساعة تقريبا عاد خير الى وعيه فرأي الفتاة تصب الماء فى عينيه وتغسلهما بيدها ولما نظفتا ربطتهما بمنديل وأنهضته على قدميه وقادته من يده الى أخيها وقالت خذ هذا المسكين وسر أمامى الى البيت بينما أعود الى العين وأملأ الكوز ثانية لانه فرغ .

ثم رجعت الى العين وملأت الكوز وانكفأت الى جهة البيت فصادفت خيراً لا يزال فى الطريق لانه كان غير قادر على الاسراع .

واذ ذاك قالت لأخيها : انى سأسبقكم الى البيت فابق أنت مع ضيفنا ولا تتعبه بالمشي الى البيت وقصت لوالدتها القصة من أولها الى آخرها فحن قلب الام على خير من غير ارادة وقالت لها مسكين أين تركته ولماذا لم تبق معه ثم مكثتا تنتظرانه .

أما ابن الراعى فانه بقى قابضا على يد خير يقوده شيئا فشيئا حتي وصلا الى البيت .

ولما دخلا من الباب خفت امرأة الراعى وابنتها لملاقاة خير وفرشا له فرشا ناعما تمدد عليه للراحة .

ولما رأت أم البنت خيرا فى هذه الحالة لم تقدر أن تتحمل رؤية منظره أو تضبط نفسها من التأثر فبكت وجلست هى وبنتها عند رأسه وأخذت تتأوه

وتتحسر عليه وتقول واحسرتاه عليه انه فتى جميل فمن يا ترى عمل فيه هذا العمل الوحشي وفي يدى أي ظالم وقع ألم يشفق على شبابه ألم يكن في قلب ذاك القاسى رحمة وكانت تعدد مثل هذه الالفاظ وتبكى كأنه ابنها وهذا يدل على أنه يوجد في قلب تلك القروية التي عاشت طول عمرها في البرية عيشة البدو فى القفار من الرحمة والحنو الطبيعيين ما لا يوجد فى قلوب نساء المدن اللاتى يفاخرن بالمدنية الكاذبة والحضارة الوهمية بل انهن يعيرن أولئك المسكينات التي حرمن التنعم والرفاهية والراحة واشقاهن الحظ بالفلاحة والزراعة والرعي والتعب وحمل الاثقال والاعباء عن الرجال وخدمة مواشيهن وبيوتهن بأنفسهن . فالله سبحانه وتعالي لم يحرمهن من الاحساسات الرقيقة فيعملن الخير برغبة وحب ويفعلن الافعال الجميلة الطيبة لا للصيت والفخفخة والواقع أن تلك الوالدة بقيت نحو ساعة جالسة مع بنتها عند رأس خير تبكي على حاله وتتوجع لمصابه .

ثم أسرعت فعملت له شرابا عسليا فسقته اياه وأحضرت بعد ذلك لخير الطعام فأطعمته :

فأكل خير وشرب باشتهاء وكان قد ارتاح قليلا وتقوى بعد الطعام فلما فكر فيما لحق عينيه شعر بعظم مصابه وصار يندب حظه ويشكو دهره ويسأل الله المساعدة والمعونة ولم يفتر دقيقة عن الاتكال عليه والشكر له لعلمه أن ما يصيبه فبقدر الله وأنه لحكمة يعلمها الله وأنه ماتسقط ورقة في الأرض ولا في السماء إلا وهو يعلمها ويحيط بها وبحكمة سقوطها .

وفى المساء عاد الراعى إلى منزله فرأى على خلاف العادة رجلا طريح الفراش مريضا فى بيته تعتنى به زوجته وابنته فتعجب من ذلك وسأل عن هذا المريض وعن الذى جاء به إلى هنا .

فاستقبلته ابنته وقالت له الرحمة يا أبى لا تسأل إنه رجل غريب مظلوم فانى قد ذهبت فى هذا اليوم إلى العين لأملأ الكوز ماء وفيما أنا عائدة الى البيت سمعت صوت تنهدات وأنين فرجعت لأرى فوقعت عيني على هذا الفقير المسكين ملقى على التراب يبكى ويستغيث ولما رأيته على هذه الحالة تأثرت كثيرا ولم أقدر أن أضبط نفسى عن البكاء ولو كنت أنت فى مكانى لما تأخرت عن مساعدته خصوصا وقد رأيته معفراً بالتراب والدم يسيل من عينيه ولما سألته عن حاله صاح مستغيثا بى وقال لي انه يموت من العطش فسقيته .

وبعد أن ارتوى تأوه ووقع إلى الارض مغشيا عليه فازددت تأثرا لحاله وجلست عنــد رأسه أرش الماء على وجهه وغسلت عينيه ونظفتهما من التراب . ولما عاد إلى نفسه لم يطعنى قلبي أن أبقيه يموت على حالته فأتيت به إلى البيت .

فلما سمع الراعى كلام ابنته تأثر أيضا زيادة عنها . وقال لها أحسنت يا ابنتى صنعا لأن خدمة هذا الرجل الفقير الغريب لا تضيع عند الله .

وفى الحال تقدم الى خير وسلم عليه وطيب خاطره وسأله عن حاله وكان خير غير قادر على فتح عينيه ولا على الكلام فعلم الراعى منــه ذلك ففتح له عينيه بيديه ونظر داخلهما ثم قال لزوجته انظرى عينى هذا المسكين وكيف غدر به الظالمون فقد أخرجوا عينيه بالسكين ولكن الله سبحانه وتعالى لم يشأ أن يضره فان إنسانيهما لم يصابا بضر وأنا أقدر أن أنفعه وأفيده وأعيد اليه نظره كما كان وذلك أنه يوجد في المحل الذى أرعى فيه الغنم شجرتا صندل قد التصقا ببعضهما البعض فاذا أخذ من أوراقهما كمية وسحقت وأخذ عصيرها وقطر منه فى عينيه صباحا ومساء في ظرف خمسة أو ستة أيام يعود اليه نظره وإذا قطر منه فى أذنيه يعود اليه سمعه لأنه الآن لا يسمع لشدة ألمه

ولما سمعت المرأة وابنتها كلام الراعى طارتا من الفرح وأخذتا تقبلان يديه وتشكرانه وتقولان له ارحمه وساعده فان انقاذ هــذا العمل منوط بك الآن وألحتا عليه بالالتماس والرجاء فأجاب إكراما لعائلته وحبا فى تخفيف أوجاع خير وآلامه ونهض فى الحال وسار إلى جهة الجبل فقطف باقة من أوراق شجر الصندل وأسرع فى الرجوع إلى بيته ودفع الأوراق الى ابنته فأخذتها من يده وسحقتها فى الحال في هاون نظيف وعصرتها وأخذت العصير ودنت من خير وقطرت بضعة نقط منه فى عينيه بيدها وهي تبكي لحالته وكذلك خير فانه إلى مقدار ساعة يتألم ويتوجع من شــدة التهاب القطرة فى عينيه وبعد ساعه سكن الالم وشعر براحة .

وفى صــباح اليوم التالي نهضت الفتاة وقطرت أيضا بضعة نقط من تلك القطرة في عيني خير . فلم يتألم من التقطير كما حدث فى المرة الاولى . وبقيت الفتاة لمدة أسبوع تقطر لخير فى عينيه كل يوم مرتين وحينئذ رأى خير جراح عينيه قد التأمت ولم يبق لها أثر بســيط ففتح عينيه قليلا وقد بدأ ينظر إلى الدنيا

ويرى ما بين يديه . وفى ظرف عشرة أيام من وجوده فى ذلك المكان فتح عينيه جيداً وصار نظره صحيحا أكثر من الأول .

وحينئذ غطت امرأة الراعي وابنته وجهيهما منه ولكنهما بقتا على خدمته ورعايته كالاول وكانت الفتاة قد وقعت فى حب خير علي غير قصدمنها وصارت تشعر بحكم الطبيعة بميل خصوصي لخدمته والتقرب منه ولذلك كانت تهتم شديد الاهتمام بكل خدمة ومصلحة تلاحظ أنه فى احتياج اليها . وكذلك خير فانه بعد أن فتح عينيه رأى نفسه مدينا بحياته وبصرة وراحته لهذه الفتاة فأحبها محبة لا توصف وأصبح عاشقا لهامغرمابها خصوصالما رأي منهاميلا اليه واجتهادا فى خدمته وو كان لم ير وجهها ولا استجلى محاسنها ولا رأى جمالها بعينيه ولكنه أدرك أنها لا بد أن تكون جميلة . وقد كان كل واحدمنهما يخفى حبه وغرامه عن الآخر ولم يكن بينهما كلام أو معاشرة بل كانت دلائل الحب معروفة من بعضهما البعض بالاشارة والايماء .

وكان خير ينهض فى الصباح ويذهب مع الراعى لرعي الغنم وقد اهتم كثيرا واجتهد ليوقع حبه فى قلب الراعي وكان فى الصباح والمساء يقبل أيادى الراعى ويقول له أنت أبي وأنت السبب فى ارجاع نظرى فعيناى الآن هما من عندك فالله يجزيك عني خيراً فى الدنيا والآخرة وبكلامه استجلب محبة الراعى وزوجته فتعلقا به بأكثر من تعلقهما ببنتهما وكانا لا يستريحان بدون رؤيته أو حضوره .

وهكذا أصبح كل فريق من خير وعائلة الراعي مولعا بحب الآخر مجتهدا فى راحته ملتفتا إلي خدمته

وأما محبة الفتاة فكانت تزيد يوما عن يوم وتتعاظم من يوم الى آخر ومحبة خير تنمو وتتجسم فى قلب الراعى وصار كابن له يعامله معاملة الوالد . ومن بعد أن مر عليهم بضعة أشهرعلى هذه الحاله جلسوا ذات ليلة مع بعضهم البعض الراعى وزوجته وابنته وفى أثناء الكلام والحديث قال الراعى انى ممنون يا ولدى كثيراً من شفاء عينيك ورجوع نظرك اليك ولكننا لما كنا لا نعلم الاسباب التي جرت عليك هذه المصيبة الكبيرة فنرانا في قلق من جراء ذلك فأخبرنا بقصتك وخلصنا من انشغال البال والقلق . فلم يخف عنهم أمره بل حكي لهم قصته من أولها إلى آخرها وكيف أنه خرج من بلده لاجل السياحة فصادف

شرا وكان لا يعرفه في بلده فصار يطعمه من زاده ويسقيه الماء الذي معه ولما فرغ الزاد والماء أعرض عنه شر وأبى أن يعطيه نقطة ماء يرد بها رمقه وأخيرا طمعا في الجوهرتين اقتلع عينيه وأخذهما وسار ولم يبل رمقه بشربة ماء وبقى في حالة الموت حتى ساق الله اللطيف الخبير بنته إليه وخلصته مما هو فيه من الشقاء والموت . فتأثر الراعى وزوجته من قصة خير ولم يقدرا على ضبط شعورهما عن البكاء وصارا يسألان الله تعالى أن ينتقم له شر ويدعوان عليه بالويل والبلاء وقد تعاظمت محبة خير عندهما وصارا يدعوان له بالسعادة وحسن المآل .

إلا أن خيرا كان فكره وقلبه متعلقا ببنت الراعى . فكان يقول في نفسه ترى هل يسعدني الزمان وأنال وصال هذه الفتاة . كلا . ما هى المناسبة بيني وبينها أيمكن أن يقع أمر مثل هذا لأني أنا بعنايتهم ردت الى الحياة وأرى نفسى مضطرا لأن أكون خادمهم وربما هم أيضا يعتبرونني في عيونهم كعبد رقيق فهل يمكن لهم أن يعطونى جوهرة ثمينة كهذه . أواه يا ليتنى بقيت أعمى أو ليتنى مت قبل أن أرى بعينى هذه الفتاة أو عرفت صفاتها الملائكية وأطوارها الحسنة فكل ما فيها يعشق ويحب .

وبينما كان يفكر هذه الأفكار كان قلبه موزعا بين اليأس والرجاء والغرام يقيمه ويقعده وقد غرق فى بحر من التفكير لايجاد طريقة ينال بها بغيته وأخيرا قال فى نفسه الأحسن لى أن أستأذن الراعى فى الخروج من هنا والذهاب الى بلدى . فاذا كان الراعى مسرورا مني وراغبا في بقائى عنده فلا يتركنى أسافر ومن المحتمل أن يعرض على مصاهرته فأبقى وأنال بغيتى من مالكة فؤادى ولبي وأزمة قيادي واذا فرض وسمح لى بالذهاب وتركنى أسافر فانني أسير الى بلدى حينئذ ومن دون شك فان حب الفتاة تبرد من فؤادي شيئا فشيئا لأنى لا أقدر أقيم هنا ولا أقوى على هذه الحالة التي أنا فيها الآن فكلما رأيت هذه الفتاة ارتجف قلبي والتهب عقلي وجسمى من هواها . فانى عند ما كنت بغير ماء فى الطريق كانت جناية شر علي أنه كان يخرج كوز الماء أمام عيني ويشرب فيغريني نظرى اليه والى الماء على الشرب والعطش وانى أقسم بالله أن هذا العطش هو أشد صعوبة ومرارة من ذاك العطش لأن ذاك العطش كان فداؤه العين أما هذا العطش فضحيته الروح وكل عزيز وغالي لدى .

وبعد أن صرف نحوا من أسبوع فى مثل هذه الأفكار . عاد ذات مساء من

البرية الى البيت وعلائم الكدر وانشغال البال ظاهرة على وجهه .

ولما رأى الراعى حالة خير وماهو عليه من الحزن والملل ارتبك فى أمره وسأله ما بالك ياولدى مهموما وفى أي شيء تفكر .

فنهض اذ ذاك خير من مكانه وقبل يدى الشيخ وقال له اذا كنت تسمح لى رجوتك بأمر أراه لازما . فأظهر الراعى التعجب وقال ماهذا الأمر تكلم ياولدى ولا تخف .

فقال خير . فى الواقع أنك الآن ياسيدى تعاملنى معاملة لايمكن أن يعامل بها الاب ابنه وعينى قد وجدتا النور بواسطتك ولاأزال غارقا فى نعمك ولذلك أرى أننى مدين لك بحياتى وروحى ويجب علي أن أبقي كل عمرى خادما لك وإني أعرف وأعي ف أن ذلك لا يوفى جزءمن الحقوق التي لك على لكن ما العمل فان أمرا مهما فى سرى يدفعنى الي الاستئذان منك بالسفر الى بلدي ومع أنى أرغب فى أن أبقي معكم كل العمر فمن وجه آخر أرى نفسى متعلقة بحبكم فى أى مكان كنت ولهذاترانى متحيرا ومضطربا وخجلا منكم وعارفا بعظم قدر الجميل الذى لكم على .

فلما سمع الراعى كلام خير لم يقدر أن يضبط نفسه من البكاء وتقدم من خير وقبله في جبينه وقال خف الله يا ولدى لقد أحرقت فؤادى بكلامك هذا فأنا لا أريد أن أصرف عمري بدونك وأنا لا أتركك واذا تركتك ماذايا ترى يحل بى فدع عنك هذه الهواجس والافكار فجميع أمتعتى وأموالى التى تراها لك وما عدا ذلك فانى أهبك أيضا ابنتي فأعطيك مقتنياتى جميعا وابنتى أيضا فتكون لى صهرا وابنا فاستلم الجميع ودعني أنا أصرف باقى عمرى تحت عنايتك . دع عنك هذا التصور اكراما لله ولا تحرق قلبى فليس لى أولاد غيركم .

فأخذ خير يرتجف بكمال التأدب والحياء وبعد أن أطرق برهة عادثانية فقبل أيادى الراعى وقال له يعلم ياسيدى أنى لا أريد الانفصال عنكم فى وقت من الاوقات ولا أقدر حتى يوم القيامة أن أنسى معروفكم وجميلكم والآن مادامت ارادتك أن أبقى هنا ولا ترضي لى بالسفر فسأبقى هناوأقوم بخدمتكم باقي عمرى وعلى قدر طاقتي وفوقها .

فسر الراعى من كلام خير سرورا لا مزيد عليه وفي اليوم الثاني عقد لبنته عليه وزوجه بها وصار صهره من ذاك اليوم .

وقد سر كل من خير وبنت الراعي سرورا لا مزيد عليه وتلذذا بوصل بعضهما البعض وكان خير يظن في نفسه أنه أكثر سعادة من زوجته لحصوله عليها وهي أيضا كانت تفكر أنها أكثر منه سعادة لحصولها عليه لأن الحب كان يرى خيرا أنها مع ماهي عليه من الجمال الباهر والحسن الزاهر قد تخلقت بأخلاق الملائكة ولما لها عليه من المعروف والجميل في شفائه وخدمته والاهتمام به كان يعتقد أن منزلتها رفيعة وأنها ربما لا ترضى به بعلا .

فلما حصل عليها تيقن له أن حصل على كنز عظيم ودرة غالية وحصل عليها لسعادته وكذلك الفتاة فانها كانت قد رأت فيـــه من المزايا الحسنة والآداب الرفيعة ورقة الطباع ما لم تره في غيره من أبناء قريتها اللذين كان لا بد لها أن تقترن بأحدهم ولذلك حسبت نفسها سعيدة فوق ما تؤمل وهذه الأفكار كانت تزيد تعلقهما وحبهما لبعضهما البعض .

ولما أصبح خير صهراً للراعي صار في النهار يخرج معه لرعي الأغنام والأنعام وفي المساء يضم اليه زوجته وينام إلى جانبها وكثيراً ما كانت الفتاة تخرج معهما إلى البراري في وقت النهار فيتسلى بها وتتسلي به وهو مرتاح البال ساكن الخاطر قلبه خال من كل هم ففي ذات يوم بينما كان خير يتجول مع حميه لرعي المواشي في البرية صادفا شجرة الصندل التي كانت أوراقها سببا في فتح عينيه ورجوع بصره اليه وإذ ذاك قال له الراعي هاك يا ولدي الشجرة التي أخذت من أوراقها وعالجت بهـا عينيك حتى شفيت ورجع النور لها وتلك الشجرة التي إلى جانبها تفيد أوراقها للصمم . فاذا أخذت أوراقها وعصرتها وقطرت من عصيرها في آذان الاصم شفي . فخف حينئذ خير إلى الشجرتين وأخذ من كل منهما بعضا من الورق وأخذ قطعتين من القماش ثم خاطهما في الحال كيسين وملأهما من أوراق الشجر وقد قال في نفسه ربما احتجت اليها يوما وربما احتاج اليها غيري فأداويه لوجه الله . وعنـــد المساء عاد مع حميه إلى البيت وبات مع زوجته على الهناء والسرور .

ومع أن خير كان مسرورا من هذه العيشة السهلة الحسنة يشكر الله سبحانه وتعالى الذي أوصله إلى بيت هذا الراعي يقطع الاوقات بهناء ولذة لا هم له إلا شكر الراعي وزوجته . لكنه لما كان قد تربى وعاش في المدن ولما لم يكن في تلك الصحراء الواسعة والبراري الشاسعة سكان يتلهى بمعاشرتهم أخذ صدره

ينقبض من الوحدة والانفراد شيئا فشيئا ولذلك كان يقول كم يكون حسنا لو كانت هذه الراحة التى ألاقيها هنا فى بلدى أو لو أننى أمضيت وقتي مع زوجتى فى بلد واسع فكم تكون مسرورة ومنشرحة وكان يفكر باستمرار في مثل هذه الامور حتى لم يعد يخرج من ذهنه أو يبعد عن خاطره أمر سكنه فى المدن وأخيراً بعد التبصر والتفكر قال من المستحسن أن أعرض هذا الامر على زوجتي لأرى هل ترغب فيه أو ترفضه .

فى ذات ليلة بينما كانا نائمين فى فراش واحد يتحادثان ويتسامران قال لزوجته ألا يوجد فى جوار هذه الصحراء مدينة كبيرة كباقي المدن . فأظهرت التعجب من كلامه وقالت له وما قصدك من وراء ذلك وماذا يحصل لو كان بالقرب من هذه الصحراء مدينة .

فقال انى لا أقصد شيئا ولكن أسألك هل أن المدينة تبعد كثير من هنا . قالت كلا لا تبعد المدينة عنا أكثر من اثني عشرة ساعة ويسار اليها على الطريق العام . فأبدي تعجبه واستحسانه لذلك ثم قال لها أى رفيقة حياتى الامينة وحبيبتي الصادقة أليس الاحسن والاجدر بنا أن نذهب إلى المدينة ونكترى لنا بيتا فيها ونعيش عيشة أهل المدن ونشاركهم في حظوظهم ومسراتهم وأنت تتعودين المعيشة فى المدينة وتسكنين مساكنهم الجميلة ان هذا أوفق لنا من البقاء فى هذه الصحراء منفردين لا نشاهد الا صخورا قائمة ووحوشا هائمة وأشجارا ونباتات وأكاما .

وبعد أن فكرت الفتاة برهة قالت له نعم يا حبيبي ولا ريب أن العيشة فى المدينة أحسن وأنسب لك لانك ربيت فى المدن واستمرأت المعيشة فيها فتراها أحسن بكثير من عيشتنا هذه الحقيرة أما أنا فانى وان كنت أفضل المعيشة فى الصحراء والبقاء في هذا البيت على قصور الملوك لكن اكراما لك وحبا لراحتك .أترك هذا المكان وأسير معك الي المدينة وعلي ذلك فاننا فى الصباح نتقدم نحن الاثنان بالرجاء إلى أبى ونستأذنه فى ذلك فسر منها خير ومدح حبها وحسن ادراكها

وفى صباح اليوم الثانى تقدم الاثنان من الراعى وأخبراه بما قر أريهما عليه فى الليل وسألاه أن يجيب التماسهما ورجاءهما فأطرق الراعى برهة فى الارض متفكرا ثم رفع رأسه وقال لخير اطمئن يا ولدى فانى لا أرد لك طلبا ولا أمنعك مما تحب فاكراما لك وانفاذا لارادتك أبيع غنمي وكل أمتعتي هنا وأسير معكما

إلى المدينة لقد صرفت معظم عمرى فى هذه البرية وسأصرف الباقي فى المدينة لأرى ما هو الفرق بين العيشة الهمجية والعيشة المدنية عسي أن يكون فى ذلك راحة لي فى آخر عمرى فأموت قرير العين . لكن إذا كان ولابد لنا من السكني فى المدن فالأوفق أن نقصد إحدى المدن الكبيرة والعواصم العظيمة لأنى أرى أن القرية مثل المدينة الصغيرة فاذا كنت تقبل كلامي وتسمع رأيى فسر حيث أقول وهو أنه على بعد عشرين يوما من قريتنا هذه توجد مدينة بلخ العظيمة فنقصدها ونسكن فيها مسلمين أمرنا لله تعالى فرضي خير وزوجته بذلك وشكرا الراعى على قبوله ترك وطنه ومسقط رأسه وبيع أملاكه ومقتنياته واللحاق بهما كي لا يفارقهما .

أما الراعى فلم يتأخر بل فى الحال باع أملاكه وغنمه وكل ما ملكت يده لأهل قريته ودبر كل ما يحتاج اليه فى سفره .

وبعد بضعة أيام خرج الجميع من القرية وساروا يقصدون مدينة بلخ حتى وصلوا اليها ودخلوها وكانوا في أسواقها ولما كان خير معتادا على المدن ويعرف اصطلاحاتها فقد بحث عن خان موافق استأجر فيه محلا لسكنهم وبعد يومين من وصولهم المدينة وجد خير بيتا صغيرا فاستأجره ونقل اليه زوجته وأخاها الصغير وأباها وأمها فسروا لذلك واستراحوا عدة أيام .

ولما لم يكن الراعى معتادا على المدن كان يدركه العجب والدهشة من كل ما يرى وكان يذهب ويعود برفقة خير على الدوام وكان خير يهتم بجلب احتياجات البيت ويحترم الراعي وعائلته كما كان معهم فى البادية ولم يهمل لهم أمرا قط وكان يدأب على جلب السرور لقلوبهم .

ومر عليهم شهران فى المدينة يصرفون الوقت على مثل ما تقدم وقد رأي الراعى وزوجته وبنته راحة عظيمة فى السكن فى البلاد المعمورة وذاقوا النعيم واللذة في معيشتهم بين الناس وسرهم تخلصهم من الصحراء ورعى الماشية وبعدهم عن البرد فى الليل والحر فى النهار وكل أنواع التعب والعذاب فكانوا يشكرون خير على الدوام ويدعون له بالسعد والتوفيق .

ففي ذات يوم خرج خير من البيت لكي يأتى للبيت ببعض أشياء يحتاجونها وفيما هو يتمشى في الشارع سمع ضجة وضوضاء كأن القيامة قد قامت ورأي الناس من كبيرهم إلى صغيرهم يهرعون ويسيرون كالجيش . فتقدم من أحد الناس

وسأله عن السبب . فقال له إنهم يسيرون للمناجاة على حسب العادة المعلومة .
فزاد تعجب خير من ذلك لانه غريب عن البلدة ولا يعرف المناجاة التي أخبره
عنها الرجل وفي الحال قال حيث أنني لا أعرف هذه المناجاة فالأوفق أن أختلط
بين الناس وأسير معهم فأعرف السبب وماهي المناجاة على حسب العادة المعلومة

فتتبع الناس وسار برفقتهم حتي خرجوا من المدينة وجاءوا إلي محل واسع
في الخلاء بعيدا عن المدينة فألقى كل منهم عباءته عن أكتافه وكشفوا رؤوسهم
ووقفوا حفاة عراة ونظر أيضا فرأى أن جنود المدينة قد جاءوا صفا صفا وكشفوا
رؤوسهم ووقفوا ومن بعدهم جاء الملك بكمال التواضع وهو يبكي وعيونه تذرف
الدموع فكان يمسحها بمنديل في يده ثم وقفت في وسط الجماعة . وأمر الجميع
بالجلوس وبقى هو واقفا .

وكان خير يتعجب من كل ما يرى وقال يا ألله ما هذه الأحوال ماذا
يعمل هؤلاء الناس هنا .

ثم رأى الجميع وقد أصغوا وسكنت حركاتهم كأنهم صم بكم أو كأنما
على رؤوسهم الطير ولم يعد يسمع صوت قط وحينئذ رفع صوته كأنه يخطب فقال
أي رعايايا الأمناء الذين أدخلهم الله في رعايتي وعلمني الواجب علي والمفروض
علي ذمتي من الاعتناء بهم والمحافظة علي راحتهم أنتم تعلمون أني ارتقيت سرير
السلطنة وأنا في الخامسة عشرة والى الآن لي نحو ستين سنة حاكما عليكم وأشكر
الله أني صرفتها على العدالة والانصاف حتى لم أدع أحدا يتشكي أو يتظلم مني
بل كنت أرى بنفسي أمور الرعية خاصة وأمور الدولة بوجه تام وأدبرها على
وجه يرضي الله والعباد وينطبق على شرع العدالة الربانية ولم أغفل أمرا ولا
تغاضيت عن راحة أحد وقد رجوت الله كثيرا أن ينعم علي بخلف يخلفني في هذه
المملكة فأعلمه طرق الحق وأدربه على حب الرعية فلم تشأ إرادته ذلك فتروني
يائسا من أن يكون لي ولد يليني في الحكم والملك نعم ان الله لم يدعني بدون ولد
بالكلية بل رزقني بنتا حسناء اعتنيت بتربيتها وتهذيبها مدة عشر سنين وعلمتها
جميع العلوم والفنون وقمت نحوها بحق الابوة المفروض علي وفيما أنا مسرور
وقلبي فرح وأقول في نفسي سأترك للاهالي والرعية وريثا أكثر مني ادراكا
وأرفع علما وأميل عدلا قضت الارادة الالهية ولا أعلم ما الحكمة بذلك أن تبلى

ابنتي المسكينة بالصمم والعمي فلم تعد تسمع ولا ترى فتقطع قلبي لذلك وضعف لذلك جسمي وعاودني اليأس أكثر من الاول ومع ذلك فأنا أعلم أن لابد من حكمة في ذلك يعلمها الله وقد غابت عن أفهامنا .

نعم اني لم أجبركم ولا أتيت بكم الى هنا بالرغم عليكم بل أتيتم من انفسكم دلالة على حسن رضاكم وسروركم مني وقد حملكم حبكم لي على الخروج مرتين في الاسبوع الى هذا المكان للدعاء والصلاة والتضرع الى الله سبحانه وتعالى لاجل شفاء بنتي .

وقد مضت الآن مدة شهرين ونحن مداومون على الدعاء والالتماس والطلب والتضرع والتوسل اليه تعالى وقد أتينا الآن لهذه الغاية أيضا فأسألكم بل أرجوكم أن ترفعوا أصواتكم بالتوسل للحكيم الشافي عن نيات صادقة وقلوب طاهرة عسى أن الله سبحانه وتعالى يجيب توسلاتنا ويرحم قلوبنا المنكسرة فيفتح عيني ابنتي وأذنيها فتعود الى ما كانت عليه قبلا ولا بد أن لا كثر كم بنين وبنات وانكم تعلمون مقدار حبهم ومعزتهم وكم يكون الاب حزينا منفطر الفؤاد عندما يكون أولاده مصابين بالآلام والاوجاع .

فلما سمعت الرعية كلام الملك الممزوج بالتأوه والتحسر والتنهدات والزفرات فما منهم إلا من بكي وتأثر في قلبه من كلام وحزن أشد الحزن ثم ان جميعهم خروا على وجوههم ساجدين ورفعوا أصواتهم بالصلاة والدعاء الى الله جل شأنه أن يرحم بنت الملك ويشفيها مما هي فيه من الصم والعمى .

كل هذا وخير يسمع ويرى وقد أخذ يرتجف من رأسه إلى قدمه وبقي متحيراً في نفسه غارقا في بحر الأوهام والأفكار . يقول في نفسه سبحان الله كم هو عظيم وكريم ان حكمته قد قضت بذلك لخيري ومنفعتي . ماذا يا ترى أعمل أأتقدم من الملك وأخبره بأوراق خشب الصندل التي عندي أو لا أخبره بها . ولبث برهة يفكر وقلبه يرتجف ثم قال في نفسه يلزم أن أتأنى وأصبر هذه الليلة وأراجع الامر بنفسي لأن من تأنى نال ما تمني ومن عمل عملا بدون ترو وصبر خاف سوء عاقبته ودام على عزمه متعجبا من عمل القدر وحكمة الله الغريبة .

وبعد أن بقيت تلك الجموع مدة ساعتين يبكون مع ملكهم ويتضرعون إلى الله تعالى بقلوب حارة خاشعة رجعوا إلى أماكنهم .

أما خير فرجع الى البيت مفكرا متغير الأحوال لانه كان يبشر نفسه بالسعادة والاقبال من جهة وكان يخاف أن يجذب على نفسه والويل والوهم من جهة أخرى ولذلك ظل غارقا فى التفكير تتجاذبه عوامل الحزن والسرور .

ولما رأى الراعى وامرأته وبنته حالة خير وما هو عليه من الاضطراب وانشغال البال قلقوا ولا سيما زوجته .

فقالت له العفو يا سيدى ماذا أصابك ولماذا أنت مصفر اللون مشتت الفكر فلم يجيبها بكلمة واحدة بل ذهب الى احدى زوايا المنزل وجلس منفردا . فزاد لذلك قلقهم وانشغال بالهم ولا سيما عندما رأوه لا يتكلم فطافوا حواليه وقال له الراعى الرحمة يا ابنى لا تزد قلقنا أخبرنا بالذى طرأ عليك جديدا فى هذا اليوم أجبنا اكراما لله والا قتلت نفسى وقالت له زوجة الراعي لماذا أنت حزين لا تجاوبنا ياولدى وألحت عليه كثيرا حتي عاد اليه صوابه .

فتبسم وقال ماذا حري لم يجر على شيء دعونى الآن بحالى فزادوا عليه فى الالحاح ولا سيما زوجته وأمها .

عند ذلك قال لهم اعلموا أنى لما خرجت فى هذا اليوم من البيت وكنت أطوف فى الاسواق كان جميع الاهالى والعساكر حتى الملك نفسه خارجين الى البرية فذهبت معهم لأنظر ما الخبر فوقفت فى جهة أراقب ماذا يجري واذا بالملك قد انتصب على كرسى عالي بكمال العظمه والاجلال وخاطب الجميع بكلام مؤثر وذلك أن له بنتا صماء وعمياء فسألهم أن يصلوا لله ويسألوه شفاءها .

فلما سمعت أنا كلامه أردت أن أتقدم اليه وأعرض عليه أمر مداواتها وأنا أعتقد أن الصندل يشفيها فلم أجسر فبقيت فى اضطراب وهذا هو السبب الذى من أجله شغل بالي وأحزننى .

وبينما خير كان يتكلم كان الراعى يسمع هذا الكلام فحالما وقع فى أذنه اسم الملك أخذ يرتجف وصاح العفو يا ولدي احذر من أن تتعرض لمثل هذا الامر أأنت مجنون لا تجلب الويل والشر لنفسك بيديك فماذا يعنيك من ذلك وربما لم يصر حسنا فكيف يمكنك أن تتخلص فاكراما لله ولخاطر شيبى وكبر سني لا تترك هذا الامر يجول فى خاطرك بل انصرف عنه بالكلية . العفو ياولدي

يا ربي يقول الملك . أي دخل لك بالملك . ثم أخذ الراعي يبكي وينتحب ويرتجف جسمه من الخوف والذعر فتبسم خير وقال في نفسه إن البدويه مازالت فيه ماذا يعمل الملك هل هو يأكل الناس . للراعى الحق فى أن يخاف من ذكر اسم الملك لأن الحضور بين يدي الملوك ليس بالأمر السهل فان هيبتهم ووقارهم يخيفان الداخل عليهم . . . فالآن بأى طريقة أدخل على الملك وهل يمكننى أن أمتنع عن أن أسعي في شفاء بنته والدواء فى جيبي . وبقى غائصا في هذه الأفكار مدة .

ودام خير أياما على ما تقدم الي أن كان ذات يوم شاهد الازدحام الذى شاهده فى اليوم الماضي ورأى الناس محتشدين فاوتلاط بهم وسار برفقتهم .

ولما وصلوا من المكان المعهود وقف فى محله وقد وقف الشعب ورجال الدولة حفاة عراة وإذا بالملك كاليوم السابق قد علا الدكة وأعاد على أسماع شعبه نفس الكلام الذى ألقاه فى اليوم المتقدم ذكره ولكنه زاد عليه قوله « وانى أيها الشعب الأمين الصادق مسرور منكم وممنون لكم بسبب تحملكم المشقة والتعب لأجلي فجزاكم الله عنى خيرا وأخبركم انى فى الليلة الماضية رأيت فى الرؤيا أن دعانا سيستجاب إما فى هذا اليوم أو فى الغد وأن أذنى ابنتى وعينها ستفتح بواسطة خير .

فلما سمع خير أن السلطان يلفظ اسمه حيث قال إن أذنى ابنتي وعينها ستفتح بواسطة خير لاح له أنه يقصد أنه سيجيء خير ويشفيها فصاح خير فى الحال من بين تلك الجموع نعم أيها الملك أنا هو خير وقد أتيت أوفي وعدك واصدق رؤيتك أطال الله عمرك فأنا قادر على أن أشفي بنتك من صممها وعماها باذن العلى الحكيم .

فلما سمع السلطان والشعب الساجد إلى الأرض هذا الكلام التفتوا بوجوههم إليه وتعجبوا منه ولاسيما عندما رأوه شابا جميلا وبناء على أمر السلطان أحضر خير إلى بين يديه . فقال له السلطان . ما اسمك . أجاب لا برحت أيها الملك السعيد عائشا بالعز والاجلال وزاد الله عمرك وقدرك إن اسمي (خير) فاستبشر السلطان بالفوز والنجاح وقال له أهلا وسهلا إن شاء الله يكون قدومك علينا خيرا . لقد قلت الآن إنك تشفى أذني وعيني بنتى فكيف ذلك فأجابه خير بجراءة ممزوجة بالحيرة والخوف نعم ياسيدى إنى فى مدة عشرة أيام أعيد بنتك أحسن مما كانت وأعدك بذلك وعدا صادقا وحرا .

فبقي السلطان متحيرا من كلامه ولكنه قال له هلم انر وان شاء الله يكون

خيرا . ثم نهض الجميع وجاءوا إلى المدينة فأخذ الملك خيرا معه الى قصره وعين له مكانا مخصوصا ورتب له فيه الخدم والحشم .

الا أن الملك كان في ضميره يتعجب من خير وكان يقول فى نفسه ترى ما يقوله خير صحيح أم هو كذب وكان الملك مرتابا فى صحة دعواه يظنه محتالا وكانت هذه الشكوك مثار تعب وضجر عند الملك فلم يمكنه الاطمئنان فانه نهض فورا ودخل على خير .

ولما شعر خير بقدوم الملك خاف من جهة وفرح من أخري وتقدم الى استقباله بالخوف والفرح .

ولما صار قريبا من السلطان دعاله وأثنى على عنايته به وقبل أذياله فأخذه الملك من يده وقبله فى جبينه ودخل الغرفة التى أعدت لخير فجلس وبقى خير واقفا بين يديه بكمال الوقار والاحتشام الا أن السلطان ألح عليه بالجلوس فجلس تجاهه وبعد أن أظهر مزيد الاعتناء والاكرام هش فى وجهه وبش وآنسه بلطفه ورحب به ثم سأله عن بلده .

فأجابه خير انى من البلد الفلانى من أحقر سكانها وقد أوصلني القضاء والقدر الى هذه العاصمة لكن باذن الله تعالى سأعيد على ابنتك سمعها ونظرها فتصبح أحسن مما كانت والعلاج موجود معى فكن براحة ولا يشغل بالك أمر ولا يدركك شك أو ريب فى حكمة الله تعالى فانى بمساعدته وعنايته أشفي عينى بنتك وأذنيها وليس ذلك على الله بعسير .

فزاد فرح الملك لهذه البشرى ولم تعد الدنيا تسعه ولم يعد يعرف ماذا يعمل ولا بأى شيء يكافىء خيراً لعظم فرحه وسروره منه ومن شفاء ابنته ولكنه مع ذلك كان يتردد وهو يكاد لا يصدق مايسمع ويقول فى نفسه أصحيح ياترى أم كذب .

ومن ثم أحضر الطعام فجلس الملك وخير على المائدة وأخذا يتناولان الطعام وكان العرق يتصبب من جبين خير لشدة خجله ولم يكن يرفع نظره الى وجه الملك من الحياء والأدب وكان لسانه لا يفتر عن الدعاء للملك والشكر له . وهذازاد الملك فيه محبة له وميلا اليه .

وأما الراعى وعائلته فانهم لما رأو أن المساء قد أقبل ولم يعد خير شعروا أن الدنيا بما فيها انطبقت عليهم وصاروا يبكون وينوحون ويقولون ماذا حدث له

ولماذا لم يعد وما هي المصيبة التى حلت به ومنعته عن الرجوع الى البيت .

وقال الراعى انى أخاف أن يكون الجهل والطيش قد حملاه على الذهاب الى مقابلة الملك لشفاء ابنته وبذلك يكون قد جنى على نفسه بيده ولم يلتفت الى نصائحي وأقوالى ولا اعتبر بأقوال الحكماء الذين حذروا من معاشرة الملوك أو القرب منهم فان من أكبر الآفات التقرب الى الملك لأن السلطان كالبحر لا يأمن راكبه من الغرق وقد قال لقمان الحكيم ان السلطان يغضب غضب الولد الصغير وينتقم انتقام الاسد القدير .

ولهذا أقول انه رمي نفسه الى التهلكة بيده وان الحق كله على لانى أطعته فى المجيء الى هذا المكان فياليتنا بقينا جميعنا فى الصحراء سالمين براحة فكر وهدوء ولا أتينا الى هذه المدن فهى التعب وانشغال البال والهلاك وهكذا ظل وبقية أسرته وهم فى هم ونكد صابرين على حكم القضاء والقدر يعلقون آمالهم برجوع خير اليوم بعد اليوم .

فهذا ما كان من الراعى وأهل بيته وأما خير فانه بعد المساء تناول الطعام وصلى ثم نهض مع الملك ودخلا غرفة ابنته فجلسا فيها وكان خير خائفا بزيادة فقد شاهد كل هذا الاعزاز والاكرام والاحترام واضطر إلي مشاهدة حرم الملك فماذا يجرى به إذا لم ينجح وتبين للملك أنه ضحك عليه واستهزأ به إذ لم يكن طبيبا ولا حكيما ولذلك صار يناجى الله فى نفسه قائلا : إلهى الرحمة . إلهى لا تتركنى ولا تتخلى عنى فكما أنك شفيت سمعى وبصرى وأرجعتنى صحيحا أحسن مما كنت فيه سابقا اجعل شفاء هذه الفتاة على يدي ولا تخجلني يا حى يا قيوم .

ثم إن خير هدأ روعه قليلا بتسليم أمره لله فسأل الملك أن يؤتى اليه بهاون فأمر الخدم فأحضروا له ما طلب فأخرج من جيبه أوراق شجرة الصندل التى كان أخذها منها كما تقدم لنا سابقا . وقال للملك كن براحة يا سيدى فان الله قد أرسلني إلي هذه المدينة لأكون واسطه لشفاء ابنتك وبعد أن سحق الأوراق بالهاون واحدة فواحدة عاد فعصرها أيضا واحدة فواحدة وأخرج ماءها وأمر أن يؤتى بزجاجة ثم وضع العصير فيها وأخيرا صب بضع نقط من العصير في

آذان الفتاة وفى عينيها وربطهما . ومنذ وضع الماء في عينيها شعرت براحة وأن الوجع قد سكن ونامت تلك الليلة بهدوء وراحة حتى الصباح .

وعند الصباح دخل عليها خير أيضا وسألها عن حالها فأخبرته براحتها ففرح نوعا ونقط لها من العصير فى أذنيها وعينيها كما فعل أولا وربطهما وعاد إلى المكان الذي أعد له .

وبقي على هذا المنوال يداوي بنت الملك بذلك العصير فى كل صباح ومساء حتى مر عليه عشرة أيام وحينئذ عاد النور إلى عينيها فصارت تنظر وتسمع ورأت كل ماحولها وشاهدت أباها واقفا أمامها ولشدة فرحها لم تعد قادره على الكلام فرمت نفسها عليه تقبله .

فلم يقدر الأب على ضبط نفسه من البكاء العظيم لما لحق به من الفرح والسرور الذى لا يقدر ولا يوصف . فضم بنته إلى صدره وجعل يقبلها ودموع الفرح تتساقط من أعينهما وهما يشكران الله على هذه النعمة .

وبعد مرورة ساعة على هذه الحالة ترك الملك بنته وضم خيرا الى صدره وقال إنى أشكر الله يا ولدي كثيرا إذ أرسلك إلي لتخلص ابنتي من البلايا والأوجاع التى انصبت عليها وما ذلك الا أن الله راض عنك راغب فيك مساعد لك ولا أغلط إذا قلت انك من رجال الله المختارين لأن عملك هذا معجزة فلا أنسى لك هذا الجميل ما دمت حيا وأرى نفسي مدفوعا إلى بالهامات إلهية إلى مكافأتك على جميلك أعظم مكافأة أقدر عيها فما دمت قد دخلت بيتى وأكلت معى على مائدتى كأحد أولادى وشاهدت بنتي ومددت يدك اليها ولم يعد شيء مخبأ أو محجوبا عنك فصار من اللازم أن أزفك عليها وأجعلك صهرا وحاكما فى بلادى تسوس مملكتي وتدبرها لأن الله معك وأنا قد أحببتك ولم أعد قادرا على مفارقتك وبما أنى صرت شيخا وأحب أن أنزوى إلي عبادة الله وأصرف باقي عمرى براحة وسكينة أسلمك زمام الاحكام وأعهد اليك بتدبير الرعية بعد الآن ، فهذه نعمة كبرى قد منحني اياها الله سبحانه وتعالى لأني كنت بهم زائد وانشغال عظيم أنام مكدرا وأقوم حزينا على بلادي ورعيتي لا أعرف لمن أتركهما من بعدي ففي وقت واحد فرج الله عني إذ أرسلك إلى وجعل شفاء ابنتي على يديك ووجدت لى صهرا موافقا وزال عنى الهم والغم حيث وجدتك كفؤا للملك وقادرا على إدارته فاسمك خير وعملك خير وكلك خير فى خير فألف شكر لله تعالى على

هذه النعمة العظيمة

فلما سمع خير كلام الملك أطرق برأســه إلى الأرض حياء وجعل العرق يتصبب من وجهه غير أن الملك لم يتوانى عن الاسراع في انفاذ هـذا الامر ففي الحال أمر باقامة الأفراح وأن تزين المدينة ويعم الفرح سكانها كبيرا كان أو صغيرا وكان الأهالي لما سمعوا بأن بنت الملك قد ملكت صحتها ونالت الشفاء تماما سروا سرورا لا مزيد عليه وزاد سرورهم عند سماعهم بخبر زفافها على الرجل العاقل الحكيم الذى أرسـله الله لشفائها فأسرعوا الى اقامة الزينات وعلائم الافراح والسرور فأنيرت الشوارع ورفعت الاعلام وبقيت المدينة على ذلك الحال مدة سبعة أيام وسبعة ليالى بتمامها وأهالى مدينة بلخ جميعهم غارقون فى الغنـاء والرقص وعمل الولائم واطعام الفقراء والمساكين .

ولما كان الراعي لم يتعود الخروج الى شـوارع المدينة بدون صحبة خير فقد مكث مدة من الزمن ملازما المنزل مع أسرته .

وفى تلك المـدة كان الراعي وأهل بيته قد طارت عقولهم من رؤوسهم لا يذوقون طعم الراحة لا ليـلا ولا نهارا وكل بكائهم وحسراتهم على خير غير أن شـدة قلقهم أخرجت الراعى عن عادته فخرج فرأي المدينة قد زينت وأقيمت فيها الافراح فسأل الراعي بعض الناس عن سبب ذلك فقالوا له ان رجلا اسمه خير جاء المدينة وداوى بنت الملك فشفاها من العمى والصمم فالافراح لهذه الغاية .

فلما سمع الراعى ذلك طار قلبه من الفرح وأصـبح كالمجنون وخف الي بيته فأخبرهم بمـا سمع عن خير وطمنهم عنه فسروا جميعا على هـذه البشرى وشكروا الله وباتوا ينتظرون عودة خير محفوفا بانعامات الملك حائزا على رضاه والتفاته .

وبعد نهـاية الافراح أمر الملك بأن يعقد لبنته على خير وقد عين لهما أجمل قصر عنـده وفرشه بأبهى فرش واهداها الجواهر النفيسـة والاموال الغزيرة وقدم الى ابنته من أنواع الحلى الغالية ما استغرق خزينته برمتها لانه كان يحبها محبـة لا توصف ولعظم فرحه لم يعد يعقل أو يعرف ماذا يفعل .

ولما رأى خير نفسه فى هذه الحال وشاهد تلك النعمة والاجلال والابهة

والكمال شكر الله شكراً عظيما وسر من حسن طالعه وجمال بخته وقد حصل على مرامه ومقصوده من وصال بنت الملك وأصبح صهرا شرعيا له وحينئذ أرسل رجلا أحضر الراعى مع عائلته ونقلهم الى قصر عال جميل وعين لهم الخدم والحشم .

وبعد مرور عدة أيام جلس خير وحده فى غرفة منعزلة عن القصر وأرسل رسولا أحضر اليه الراعى فظن الراعي أنه سائر للوقوف أمام الملك فصار يرتجف كالغصن عند اشتداد الريح من الخوف والرجل ولكنه كان متحيراً عند دخوله القصر من التجملات والملاطفات التى كان يلاقيها فى طريقه الى حين دخوله على خير .

ولما دخل الغرفة نظر الى مافيها باندهاش وتعجب وقد رأى في الوسط خير جالسا على تخت مرصع بالجواهر الغالية منصوب فى الوسط فلم يعرفه لشدة الخوف والاندهاش بل ظنه السلطان نخر ساجدا وقبل الارض بين يديه فنزل خير عن السرير وقبض على يد الراعى فوجدها باردة كالثلج وهى ترتجف من شدة الخوف والرعب نخاف أن يلحق به أذى فقال له لماذا ياوالدى العزيز أراك تضطرب وترتجف ألم تعرفنى وهل نسيتنى في ظرف بضعة أيام .

فلما سمع صوت خير أحدق فيه وقد عاد اليه وعيه فعرفه وصاح من شدة الفرح والف يديه على عنقه وصار يقبله كمن ضاع له ولد وحيد فلقيه بعد زمان طويل . فأخذ خير يده وقبلها وقال له بحياء وخجل اعلم ياأبي وسيدى أن هذه النعمة التي أنا فيها والسلطنة التي أصبحت قابضا على زمامها انها من فضلك وجميلك فالمرجع فى كل ذلك لك وأنا أشكر الله على هذه النعمة بعد أن لاقيت من المتاعب والمشاق فى هذه الدنيا ما استغرق كل عمرك تقريبا . فشكر الراعى الله على ذلك وشكر خيرا .

ثم جلسا يتباحثان ويتحادثان والراعى يظن نفسه فى حلم وكان من وقت لآخر يلتفت الى ما حواليه مندهشا ومأخوذا بتلك الزينات والزخارف الملكية .

وبعد أن مر عليهما ساعة تقريبا وهما على ما سبق قال خير للراعى اعلم ياسيدى أن وقتنا الآن لا يشبه أوقاتنا السالفة فالله وتعالى هو المغير والمبدل فى أحوال الناس ومرتبها فالرجل الذي تراه اليوم فقيرا لا يبعد أن تراه غدا

غنيا والغنى اليوم قد يمكن أن يصبح فقيرا فكم من ملوك انحطت عن عروشها وكم من رجال كانت منحطة ارتفعت على العروش بأمر الله تعالى فلا يعلم أحد منتهى حكمته ولا يدرك سر غاياته فها أنا الآن قد أصبحت صهرا لملك بلخ وحيث أن لا ولد ذكر للملك فاليوم أو غدا أجلس مكانه على تخت المملكة أي أنني صرت ملكا على مدينة بلخ ومهما كانت السلطنة عظيمة فهى معلومة والمراد من كلامي هو أن الانسان فى أي حالة كان يلزم أن يراعى تلك الحالة وينظر نفسه بين أية طائفة أو قبيلة فيلزمه أن يتخلق بأخلاق تلك الأمة أو القبيلة ليحبب إليها وتبادله العطف والحب . فأما أصله فينبغى أن لا ينفصل عنه مطلقا بأى حال من الأحوال وربما تظن من ظاهر حالى أنى أنسى من أنا . أو أتغاضي عن واجباتى مع أنه لا يمكننى قط أن أنسى أحوالى السابقة فكل ما يجول فى خواطرنا هو من صنائع الله فقد سخرك الله أنت لشفائى وجعلك وسيلة إلي أن أعرف العلاج الذى بواسطته شفيت بنت الملك حتى تسنى لى أن أصير ملكا كما سخرنى الله لانقذك من تلك البرية الموحشة التى كنت عائشا فيها منفردا كوحوش البرية وأجىء بك إلي عالم الراحة وحاشا لله أن يتخلى عن أصل الخير والاحسان فليس المرء بأكرم منه وعليه فقد عينت لك قصرا مخصوصا وأعددت لك فيه كل أسباب الهناء المعيشة الصالحة فأقم فيه الآن ولكن عليك بالصبر بضعة أيام لأري ماذا يكون من أمر الملك وفى أى وقت يسلمونى للعرش وليس لي عندك إلا وصية واحدة وهي أن تحفظ زوجتى بنتك لأنها في أول حرمي وتهتم براحتها وهنائها وخدمتها وأخبرها أن لا يشغل بالها ولا تقلق لهذا الأمر وان شاء الله قريبا نتقابل .

وبعد ذلك صرف خير الراعى ليرجع الى بنته ودخل هو الى حرمه وكان يقضى أوقاته معها بالحظ والانشراح وكانت بنت الملك منذ فتحت عينيها ورأت خير لم يعد يطمئن لها قلب ولا يرتاح لها خاطر الا بقربه وقد أحبته محبة زائدة وعلقت به ولم تطق فراقه فكان يهتم بما فيه سرورها وراحتها وكذلك كان خير يسعى لارضاء الملك فكان يرى مصالح العباد بالعدل والانصاف ويساعد الفقير أكثر من الغني ويجبر خاطر الضعيف والمنكسر ويحث الناس على ترك الشر وفعل الخير ومحبة بعضهم البعض لأنهم أخوة فى الوطنية والآدمية ولذلك أحبه الكبير والصغير ومال اليه الغنى والفقير والأمير والحقير .

أما الراعى فانه عند مارجع الي بيته فقد استقبلته زوجته وابنته على الباب وسألتاه عن أحوال خير فحكى لهم قصته من أولها الى آخرها فأظهرتا الفرح والمسرة على ارتياحه وعلو مقامه .

أما الفتاة بنت الراعى وان كانت أظهرت سروراً أكثرمن الجميع لكن وقع على قلبها الحزن الناتج عن الغيرة الشديدة التي تلحق جميع النساء الضرائر . وانتظرت النهاية بفروغ صبرلترى زوجها وتسيراليه وهى تخاف أن ينساها ويكتفي بزوجته الجديدة ولا يعود يفكر فيها وبعد مرور شهرين على ذلك الحال وهم يرتعون فى نعمة المملكة يرسل اليهم كل ما يحتاجونه أرسل خير خلف الراعى ثانية واحتفل به كثيرا وأظهر له منتهى الرعاية والعناية وابان له ان من اللازم ان يوجد معه وفي ديوانه وعلى حجابه ثم فى الساعة نفسها ألبس جماعة من شبان المدينة ألبسة الفرسان وأمر أن يؤتى بالثياب الفاخرة المرصعة فخلعها على الراعي وأقامه رئيسا للحجاب وقائدا عاما على جنود المملكة .

ثم دخل به على الملك وقال له ان هذا الرجل من الشجعان النادري المثال وله فضل علي عظيم فأردت ان اكافئه فأقمته على الجيوش قائدا عاما ولذلك اسألك ان تقبله في هذه الخدمة وتصدق على عملى هذا فالملك اكراما لخاطر صهره قال له افعل ياولدى ماتراه حسنا وموافقا لصالح البلاد والعباد فانى لا ارد لك امرا ولا اخالف لك عملا فسر خير من كلامه وقبل يديه وكذلك الراعى دعا له ولدولته وسار الى بيته وحكى لعائلته كل ما جرى له مع خير ومقابلته للملك وتعيينه رئيسا للجيش فسروا لذلك سروراً لا مزيد عليه واملوا فى خير خيرا زائدا لهم .

ثم قالت درستى وبالاختصار فانه ما مر على زواج خيرا كثرمن سنة ونصف حتي قضي الله سبحانه وتعالى بوفاة ملك بلخ حمي خير فاستقل فى الملك وصار الآمر والناهي فى العباد ولا معارض له ولا مراقب فاجتهد اكثر من الأول فى تنظيم احوال المملكة وترقية جنديتها ورفاهية الرعية وكل من من شأنه ان يزيد محبة الاهالى له ومع كل ذلك لم ينس احواله الماضية فقد خطر على باله ذات يوم مامر عليه من المصائب فشكر الله وقال فى نفسه صدق ما قال ان من يعمل خيرا فى هذه الدنيا يري خيرا ومن يعمل شرا يلاقى مثله فياليتني اصادف مرة ثانية رفيقي (شر) فيري ما انا فيه من الجاه والعظمة والملك فلاريب ان الحسد والغيظ يميتانه .

وكان خير كلما رأى محبة الناس له وميلهم اليه يفرح ويسر ويزيد نشاطا واقدامه وقد نقل إلى دائرة مخصوصة فى قصره الراعي وبنته وباقي عائلته فكانوا يصرفون أوقاتهم على السرور والهناء والفرح ولا يصدقون بالحالة الموجودين فيها وكلما جلس خير على كرسى الأحكام جلس أمامه الراعى كمستشار ومساعد له وهذا أيضا كان يسر الراعى ويزيده حبورا لأنه عندما يقيس حالته الحاضرة بحالته الماضية وهو فى البرارى يقاسى شدة حرارة الشمس وزمهرير البرد لا يصدق أنه فى يقظة ولهذا كان دأب خير والراعي وعائلته الصلاة والشكر لله على انعامه ورحمته .

وهكذا كان خير كلما تقدمت الأيام زاد اهتماما في تدبير المملكة والعدل بين الرعية لا يعمل إلا على مقتضى ناموس الشريعة . وقد أخذ فى عمارة المدن الكائنة تحت تصرفه وتحسين أحوال أهلها وفى ظرف مدة قصيرة انتشر صيته عند الحكام والملوك حتى أنهم حسدوه على عدله وعمران بلاده وحب رعيته له . وكان قد أنشأ فى ضاحية المدينة حديقة غناء للنزهة وراحة الاهلين فكان يذهب اليها فى الاسبوع مرة أى فى كل ستة أيام يوما يستدعى الوزراء ويبقى معهم فى الحديقة إلى المساء يصرفون الوقت فى النظر فى أحوال المملكة وحاجات الرعية والأسباب اللازمة وحالة المتوظفين والحكام ومكافأة من يستحق المكافأة منهم أو يستحق الطرد ثم يأخذون بعد ذلك فى تعاطى أحاديث الصفاء والانس وعند المساء يعود خير إلى قصره .

وكان كعهده مع زوجته بنت الراعى يحترمها ويتجنب كل ما يكسر خاطرها فيذهب ليلة اليها وليلة إلى بنت الملك وعلى هذه الحالة كانت تمر معه الايام والليالى إلى أن كان ذات يوم نهض عند الصباح فركب جوادا كريما عليه عدة مزركشة بالذهب وسار إلى جهة الحديقة والى يمينه رئيس الوزراء وبين يديه الموكب الملوكي يسير بنظام ما بعده نظام .

وقد صفت على الطرقات التى فى جهة اليمين الجنود لاجل السلام وكذلك الاهالى قد أقفلوا دكاكينهم كجارى العادة عند ذهاب الملك الى الحديقة ووقفوا خلف الجند صفوفا صفوفا منتظرين مرور ملكهم إلى أن أقبل راكبا بالأبهة والعظمة والى جانبه رئيس الوزراء ومن خلفه الراعى شاهرا السيف فى يده وكأنه الاسد لانه كان قوى الجسم متين العضلات لا يقدر أحد فى كل مدينة بلخ أن يصرعه .

وكان الحجاب صفوفا صفوفا يتقدمون الملك ويتأخرونه واثنان منهم يسيران الى جانبه وفيما هو سائر كان يتمهل ناظرا فى الاهالى والجنود مسلما عليهم باشا فى وجوههم وهم يحيونه بأصوات الدعاء والشكر وبينما هو على مثل ذلك وإذا به تقع عينه فجأة على شر رفيقه القديم فأصاب شر من جراء نظر الملك خير عليه رعشة وارتجاف شديد سرى فى جسمه فاقترب الملك منه قريبا وأمر الحاجبين اللذين يسيران الى جانبه أن يأتيا به متى وصلوا الى الحديقة وأشار لهما بيده عليه فقبضا عليه فى الحال وساقاه أمامهما وهما متحيران من ذلك ولا يعلمان السبب الذى حمل الملك على الامر بالقبض عليه وقد ظننا أنه تظاهر أمام الملك بما أغاظه .

ولما وصل خير الى باب الحديقة نزل عن جواده ودخلها بالابهة والاجلال وتقدم الى السرير المخصوص لجلوسه فجلس عليه وجلس رئيس الوزراء ورفاقه كل واحد في مرتبته ولبثوا منتظرين أمر الملك وكذلك الراعى فانه جلس خلف الملك والسيف مشهر فى يده وعيناه لا تفارقانه . وحينئذ أمر خير بأن يؤتى بين يديه بالرجل الذي أمر بالقبض عليه . وفي الحال قدم اليه شر فوقف ذليلا حقيرا ولم يكن يعلم أنه رفيقه خير ولشدة خوفه لم يتمكن من أن ينعم النظر فى وجهه ولم يتجرأ على النظر اليه لكنه كان يرتجف كأوراق الشجر اذا هزها الريح وهو يسأل نفسه ماذا يا ترى عملت وما هو ذنبي واذ ذاك التفت خير الي شر وسأله مستنطقا اياه .

خير ــ ما اسمك ؟

شر ــ أطال الله عمر سيدي الملك وبلغه سعادة الدارين أنا اسمى مبشر

خير ــ (مبتسما) هذا ليس هو الصحيح فتكلم بالحق فهو أفضل

شر ــ (بارتجاف واضطراب) معاذ الله ان عبدكم لم يقل الكذب طول زمانه وكل من يعرفني يعلم أن اسمى مبشر .

خير ــ (بحدة) حذار أيها الخبيث ان الكذب بحضور الملوك أمر عظيم أنظن أن الكذب ينجيك من عاقبة غدرك وشرورك .

شر (باضطراب زائد وخوف عظيم) العفو يا سيدى ان شئت تقتلنى وان شئت تبقي على فالامر لك أما أنا فانى لم أتكلم الكذب قط وما قلته هو الصحيح .

خير - (زاجرا إياه بحرق وغضب) تكذب وتقول إنك لا تكذب كي لا يقال انك صدقت مرة ألم يكن اسمك شر الخبيث ألست أنت الذى قلعت عين رفيقك خير ولم تعطه الماء وأخذت منه الياقوتتين وتركته فى حالة النزع ولم تشفق عليه ألست أنت فاعل كل هذه الشرور .

فلما سمع شر من الملك هذا الكلام أخذت ركبتاه فى الرجفان ولم تعودا قادرتين على حمله . فوقع إلى الأرض ثم تجلد ونهض وأمعن النظر فى وجه الملك فعرفه أنه رفيقه خير فتقوى قلبه نوعا لعلمه بسلامة قلب خير ودنا من التخت فقبل أطرافه وقال له بالحقيقة يامولاي إنى أنا شر لكن لى حديث ان أمرت عرضه عليكم وما بعد ذلك مروا بما تريدون اما بجزاء القتل أو بالعفو فالأمر لكم .

فقال قل ما تشاء لأرى ما هو حديثك . قال معلوم عظمتكم أن القضاء والقدر قد حتما بأن يكون اسمكم خير اما اسم عبدكم شر ولأجل ذلك فعلت الشر معكم طبقا لاسمى أما الآن فلا بد أن تعملوا الخير طبقا لاسمكم وهكذا قضاء الله أن تكون صفات كل منا كاسمه .

فلما سمع خير كلام شر تحركت عوامل الرحمة فى قلبه فقال له هيا اذهب فقد عفوت عنك ولم أعاملك بما تستحق جزاء شرك .

وحالما سمع شر كلمة عفو من الملك طار قلبه شعاعا فقبل أذيال الملك وانسحب من حضرته غير مصـدق بالنجاة وما غاب عن العين حتى خرج الراعى فى أثره ولما أدركه صاح به آه يا خبيث ما دام اسمك شر فشرا تلاقي وضربه بالسيف الذى بيده عن قلب مقروح ففصـل رأسه عن جسده ثم فتش جيبه فوجد الياقوتتين اللتين أخذهما من خير فجاء بهما وطرحهما أمام الملك وقال له إن كـنت قد عفوت عن شر لسلامة قلبك فأنا لم أعف عنه خوفا من أن يوصل شره لغيرك فموته أفضل من حياته .

واذ ذاك أخذ خير الجوهرتين فى يديه وأحدق بهما وقد تذكر كل ماجرى عليه وشعر بالآلام التى تألمها من شر فاستصوب عمل الراعي ولذلك قال له ياأبي ان عينى الاثنتين هما هبة منك فاذا شئت فاقبل منى هاتين الجوهرتين هدية فى مقابل معروفك معى لأن عينى أغلى منهما فشكره الراعى وقبلهما تذكارا مقدسا وصرف خير باقي عمره فى السلطنة وبعد نصف سـنة تقريبا ركب وركب معه

نحو خمسمائة فارس من فرسانه الاشداء وسار الى شجرة الصندل التي أخذ أوراقها
فجلس تحتها مستظلا بظلها فوجد عند ذلك أعظم راحة ولذة ثم خاطبها قائلا أيتها
الشجرة المباركة أنت مبعث سعادتي وهنائي فان نور عيني منك وبك عدت
فنظرت هذه الدنيا وأنت التي أعدت بصر بنت الملك ووهبتها الراحة بعد العناء
والأوجاع أنت التي أوصلتني الى درجة الملوك فتزوجت ببنت الملك وعلوت على
عرش السلطنة وانقادت لأمري البلاد والعباد فزادك الله بركة وأطال عمرك وزاد
نفعك في العالم .

ثم أمر أن يبني قصر حول الشجرة وصار يأتي اليه المرة بعد الثانية معترفا
بجميل أشجار الصندل المباركة .

ولما وصلت السيدة درستي بنت كسرى من نسل كيكاوس من سلاطين
ايران السابقين الى هذا الحد قالت أدامك الله يا حبيبي ونور عيني وساكن فؤادي
ان خير بواسطة أشجار الصندل رجع النور عينيه وصار ملكا وفي الواقع ان
شجر الصندل محبوب جدا ولونه يسر الانسان وينشرح له صدره وهو بالحقيقة
لون جميل يمتاز عن غيره من الألوان واذا كنت لا تصدق فانظر ثم كشفت عن
صدرها القميص الناعم الرفيع وقالت له انظر كم هو جميل وبديع عندما يتحد اللون
الصندلي باللون الابيض فيكون لون ابيضا مشربا بصفره

ولما رأى بهرام صدر زوجته يتلألأ بأنوار اللطف والبهاء سر سرورا
لا مزيد عليه وفي الحال أخذ يديها الاثنتين بيديه ومد رأسه حتى أوصل فمه الى
نهديها فاشتم رائحة العطر من ذاك الوادي البهيج . ومن بعد الشم والتقبيل
والامتصاص ضمها الى صدره وانهمك معها بالأنس والصفاء . ولما رأت الجواري
المحيطة بهما غرقهما في بحر اللذات ابتعدن عنهما حتى خلا لهما الجو

وحينئذ جذب بهرام درستي اليه وضمها والتصق بها وأكثر من المداعبة
والملاعبة وما انفك عنها حتى قضى الأمر وقضي كل منهما وطره من الآخر
وبعد ذلك نزلا في الحوض الموجود أمامهما فاغتسلا ومن ثم خرجا من الماء
ولبسا ثيابهما وكان المساء قد أقبل فأمرت درستي باحضار الطعام

وفي الحال هيئت المائدة وكانت من شجر الصندل بجميع ما عليها من الأواني
وكذلك الكراسي المحاطة بها من خشب الصندل ولما وضعت أنواع المأكولات
نهض بهرام وزوجته فجلسا على المائدة وشرعا في تناول الطعام .

ومن بعد أن اكتفيا من الطعام رفعت المائدة واصطفت الجواري وبأيديهن الأعواد وآلات الطرب وصفت الزجاجات المملوءة بأنواع الشراب الفاخر ودارت الكؤس تجلي على نغمات الألحان كجلاء العروس وقد انهمك الزوجان في استجلاء كؤس الأنس والصفا وقد تذكر بهرام ما جري له بالنهار مع درستى فأخذ العود وأصلح أوتاره وضرب عليه وأنشد :

هاتها ضحوة النهار شمولا مثل شمس النهار وسط النهار
فهوة مثل مقلة الديك صهباء كنار الكليم ليست بنار
ذات عمر أدناه عهد أنوشر وان ليست بجرة معطار
تتراءي كالشمس غير سماء تتجلي بين حمرة واصفرار
لا تخف من لطفها بعد سكر من صداع باد ولا من خمار
فأسقنيها واشرب على زهر الروض وسجع القمري وشدو الهزار
واغتنم فرصة الزمان وحث على الخمر قبل صنيعة الأعمار
لا تبالي اذا سكرت بوزر ان مولاك غافر الأوزار

ولما فرغ بهرام تناولت درستى العود وضربت عليه أشكالا وألوانا ثم أنشدت .

أضحى التصبر حبله مقطوعا لما رأيت معذبي ممنوعا
وفقدت قلبي عنده وأظنه لبليتي قد ساء فيه صنيعا
فغدوت أنشد واللهيب بمهجتي والحب جرعني الأسى بجريعا
بالله يا أهل الهوى وبحقه لا زال قدركم به مرفوعا
قولوا لمن سلب الفؤاد مصححا يمنن على برده مصدوعا

وما انتهت درستى من إنشادها حتى سكر بهرام شاه من رقة صوتها وحسن غنائها وفصيح كلامها وغريب حركاتها وتفننها بالغنج والدلال .

وكان قد مضي جانب من الليل قضياه في لهو وطرب وحينئذ وضع كل منهما يده بيد الآخر وانسحبا إلى مكان الخلوة وهو عبارة عن مقاصير مصنوعة من خشب الصندل قائمة في نصف الحديقة تنبعث منها روائح الصندل الزكية فينشرح لها الصدر الحزين .

ولما دخلاها جلسا على سرير مصنوع من الخشب المذكور أيضا وعاد إلى إلى المداعبة والملاعبة والأنس والصفا وما زالا يتعاطيان كؤوس الهوى والشوق

وينتقمان لليالي الوصال من أيام الهجر والعذاب خاضعين لسلطان العشق والغرام سعيدين بالقرب واللقاء إلى أن ولى من الليل جانبه استسلما لحكم النوم فاضطجعا متلاصقين وناما متعانقين وعند السحر استيقظ بهرام من النوم قبل زوجته فنظر في وجهها متأملا وهى ملقية برأسها على الوسادة وغارقة فى بحر نوم لذيذ فرأى وجهها يلمع ويسطع كالقمر فى ليلة تمامه ويزيده رونقا وبهاء لونه المشرب حمرة الورد وشفتاها القرمزيتان تزيدانه زينة وكمالا وعنقها البلوري يتلألأ بلون أبيض بديع فوق صدر مرمرى قد ركب فيه حقان من لجين جل خالقها وجسمها جميعه مغطي بقميص ناعم رقيق من الحرير الصينى. فتوهم بهرام أنها عريانة إلي جانبه فلم يطق صبرا عنها. مع أنه كان لا يرغب فى ايقاظها من راحتها لكن كيف يمكنه أن يتحمل ويصبر وهزة الشوق قد أخذته فهيجته ودفعته إلي وضع الختام وحينئذ ضمها بين يديه ووضع فمه على خدها ثم جبهتها وعينيها وفمها وعنقها وبين نهديها وأقام ثورة من القبلات الحارة التى لا عدد لها ولا حصر ولما فتحت درستي عينيها ورأت زوجها على ماهو عليه طار قلبها شعاعا وامتلأ فرحاً وسروراً وأملت أن تنال منه الوصال فى صباح يومها فلفت يديها على عنقه وضمته إليها وقابلته بالمثل وبجحيم من القبل وكالت له بالكيل الذى كال لها به فزاد هيامه وفرغ صبره فصال وجال وأوسع فى المجال حتى حمى ميدان الضرب والطعان. وكان ما كان من الأمور الحسان التى اصطلح عليها الانسان والحيوان وداما على تلك الحال نحو ساعة من الزمان ثم خرجا من السرير ودخلا الحوض للاغتسال فأقاما فيه عدة دقائق صرفاها فى اللعب والسباحة وخرجا فلبسا الثياب وجلسا للاستراحة.

وقد نظر بهرام فى حاله وفكر في أنه في كل يوم من الأيام الماضية يصرف وقته مع حورية من حوارى الجنان وكان يلاقي من كل منهن صنوف الراحة والبسط والانشراح بعد أن تسمعه حكاية غريبة عجيبة فلم يسعه إلا الشكر على هذه النعمة والسعادة المتناهية.

ولما بزغت الشمس ونشرت أشعتها الذهبية على وجه البسيطة نهض بهرام ولبس أفخر ثيابه وخرج من القصر الصندلي قاصدا القصر الأبيض بالأبهة والاجلال والعظمة كسابق عادته.

وبعد ان سار بهرام قليلا في طريق القصر الأبيض رآه مفروشا على بعد نحو ساعة تقريبا بالمفروشات الحريرية والديباجية البيضاء اللون مما يأخذ الأبصار بهاؤها وسناؤها وقد صف على الجانبين الجوارى البيض يلبسن الملابس البيضاء وبيد كل واحدة منهن طبق من الفضة النقية وعليه حجارة الماس الصافي وتزين بالماس رؤوسهن وأعناقهن حتى زادجمالهن جمالا وبياضهن بياضا ولما رأين بهرام شاه مقبلا لم يجسرن على النظر اليه فأطرقن بأعينهن إلى الأرض والعرق يتصبب من وجوههن كحبات لؤلؤ فوق أطباق من عاج .

ولما دخل بهرام شاه في الممر المؤدى إلى القصر الأبيض استقبله أكثر من ٢٥ جارية بالركوع بين يديه ثم سرن بين يديه يغنين الأغانى والأناشيد التي تشيد بذكره وتصفه أجمل وصف وفيها ابتهالات وتوسلات إلى الله تعالى ليبارك في عمره ويزيد في سروره ويضاعف سعادته حتى وصلن إلى صيوان ضرب هناك لأجل استقباله فنزل عن جواده وجلس على السرير فقدم له الجوارى الألبسة البيضاء المرصعة بحجر الماس الأبيض الشفاف فلبسها وعاد إلى جواده فركبه قاصدا القصر الأبيض والجواري المتقدم ذكرهن يسرن بين يديه .

ولما وصل من باب القصر أخذه الجوارى من تحت ابطيه وأنزلنه عن جواده فدخل بالتكريم والتعظيم .

ولنعد الآن الى السيدة لقمان بنت سلطان الصين فانها على ماتقدم معنا كأنها حورية فرت من الجنان لا يمكن للقلم أن يصف جمالها وكمالها ولا للكاتب البليغ أن يأتى بشرح بديع ما هى عليه من الحسن والجمال والقد والاعتدال والكمال مهما أوتى من سحر بلاغة ورقي خيال وقد زادها أنوارا واشراقا ما أفرغته عليها من الملابس البيضاء البديعة المطرزة بجواهر الماس المتلألئة بشعاعها الشمس الوهاج وعلى رأسها تاج مرصع بعدد من الماس كل ماسة كالجوزة الكبيرة ولما علمت بوصول بهرام شاه تقدمت لملاقاته بين صفين من الجواري الحسان اللابسات البياض وكأنت تنتقل كالطاوس ومن أين للطاوس أن يقلد مشيتها أو لغصن البان أن يعدل ميلانها أو للبدر الوضاح أن يشرق لدى اشراق جبينها فرآها بهرام ... ولكن كيف رآها ؟ رآها ضائع العقل شارد الفكر من شدة تأثير خمرة جمالها ودلالها التي أسكرته بغتة وغيبت رشده عنه فلم ير بدا من الوقوف متحيرا

مندهشا ولم تساعده رجلاه على التقدم فبقي جامداً فى مكانه كالصنم يراقب مشية لقمان وحركاتها .

وعند ما نظرت لقمان اندهاش بهرام تقدمت منه وتبسمت ولكن كيف تبسمت تبسمت عن لؤلؤ ومرجان وتساقط الدر من ثناياها أسماطا وتبع تبسمها اللطيف أن مدت عنقها الى بهرام فطوقها بساعديه وقبلها فى خدها وعينيها وقد فعلت ذلك لتخلصه من الارتباك الذى وقع فيه ثم انها بدورها أخذت عنقه بين ساعديها وردت له مثل فعله ثم مازالا متخاصرين حتى دخلا الحديقة وقلب كل منهما يخفق من شدة الحب والفرح وكلما نظر بهرام الى وجهها تبتسم وتمد اليه عنقها مشيرة اليه بعينيها ولسان حالها يقول له ألا فاقطف تفاح الخدود فيسرع غير متأخر الى اجتناء تلك الأثمار اللذيذة وكأنها تحسده على نعمته وتقتدى بعمله وتبادله التقبيل ومازالا على هذا المنوال حتى وصلا قريبا من السرير الماسى المنصوب فى وسط الحديقة فجلسا عليه جنبا الى جنب .

ولم يكن بهرام ينظر الى جهة من الجهات بل كان نظره لا ينفك عن وجه لقمان مدة ساعات وهما على ماتقدم من تقبيل وعناق ثم نظر الى أمام السرير فرأي حوضا جميلا كبيرا ماؤه صاف رقرقراق ولكن أى صفاء وقد تلاعب النسيم على وجهه فأثر فى صفائه فعقد فوقه سلسلة من زمرد وكان الرائى للماء وان كان غير عطشان لا يمالك نفسه من الشرب .

فسر بهرام من ذلك الحوض ومن مائه فنهض من مكانه طامحا الى الشرب منه والارتواء من شدة ظمأه .

وحالما أدركت لقمان غايته سكتت وتقدم بهرام فأخذ اناء من البللور الصافى كان موضوعا على افريز الحوض ومد يديه قاصدا أن يملأه من الماء واذا بالاناء قد تكسر قطعا ووقع من يده فبهت ومد يده ليلمس الماء فرآه جسما جامدا فغض نظره لانه علم أن لا ماء فى الحوض وأن الذى يراه بشكل الماء هو بللور غريب لا يمكن أن يفرقه عن الماء أبرع الصناع وأمهرهم .

فرجع بهرام عن الحوض متعجبا خجلا والتفت الى لقمان فوجدها تتبسم من عمله .

ولما جلس الى جانبها قالت له كيف رأيت يا سيدى هل أعجبتك معرفة الصينيين .

فقال لها بالحقيقة انها صنعة عظيمة عجيبة فقد ظننته ماء .

فقالت له ان لهذه الصنعة حكاية جميلة وهى أن الصينيين عملوا بوقتها على الطريق حوضا من البللور فكان الواحد من الغرباء لا يقدر أن يفرق قط بين البللور والماء وقد وضع على أطراف الحوض أقداح من البللور الرقيق وكان الواحد منهم يرفع القدح ويمد يديه به قاصدا أن يملأه فيتكسر من اصطدامه بالبللور فيخجل من نفسه

ففى ذات يوم حضر نقاش اسمه مانى فرأى الحوض فظن أن الذى فيه ماء ولما كسر القدح علم أن لا ماء هناك فأراد أن يظهر قوة براعته بفن النقش فرسم صورة كلب غاطس بالماء وقد جرح بطنه وخرج منه دود ملأ الحوض فكان الرائى عندما يأتى الحوض ويريد الماء يظهر له أنه كدر وكله دود وهوام مائية يرجع عن الماء ولا يشرب وبهذه الحيلة تمكن مانى من أن يخلص الغرباء من الخجل والغش . ولما رأى أهل الصين أن صنعة هذا الرسام هي فوق صنعتهم خجلوا من نفوسهم فبحثوا عن مانى واحتفوا به غاية الاحتفاء وأكرموه إكراما لا حد له .

فلما سمع بهرام هذه النادرة من لقهان تعجب غاية العجب . ومع استعظامه لدرجات الصينيين فى الصناعة فقد رأى أن الغريب في عمل النقاش .

وعندئذ انهمكا فى الأنس والصفاء وكانت محبة بهرام لها تزيد كل يوم عن يوم ومال اليها أكثر من الستة اللاتى جاءهن فى الأيام الماضية .

ولما رأت لقهان تزايد عشق ومحبة بهرام لها طار قلبها فرحا فلفت ساعديها على عنقه وضمته إلى صدرها وقالت له العفو يا بهرامى المحبوب وسلطانى العالى الشأن . لا تحبنى إلى هذا القدر ولا تخصص جواريك بهذا المقدار الزائد الحد من الحب :

فتعجب بهرام من كلامها فقلبها فى خدها وقال لها ما هذا الكلام يا حياتى ومهجتى ولماذا لا أحبك أيمكن للعاشق مثلى أن لا يتخذ أعز من روحه أيمكن للذى ينظر هذا الجمال العديم المثال أن يوقف نفسه عن التهور في الحب والغرام . ماذا تقولين . آه يا عينى يا ليتك تعلمين نفسك كم أنت جميلة ومحبوبة لكنت تعذرين محبك ولا تلومينه على حبه . ماذا تقصدين بقولك أن لا أخصك أنت من دون جوارى بأعلى درجات الحب يا حبيبتي

فحرك كلام بهرام إحساسات زوجته وامتلأت أعينها بالدموع على غير قصد منها وقالت لبهرام وقلبها يختلج آه يا سيدى ومعبودى انى أخاف من الدهر الظالم لأنى عندما رأيت محبتك الشديدة لجاريتك المملوكة لك خفت على نفسى لأن عوائد العالم هى من حكم الدهر فالشىء الذى يحب زائدا فلا بد أن يصاب إما بفراق أو ببرود فى الحب وفتور من جهته فالآن لا أطمع بزيادة حب ملك نظيرك ملك أقاليم العالم السبعة كي لا يقع بيننا فراق أو فتور فى الحب مع أن الانسان إذا رغب أو لم يرغب فالدهر الغادر لا يقف عند حده ولا يراعى جانب كبير أو صغير فى حكمه .

فتأثر بهرام من كلام زوجته . وقال لها آه يا روحى اهان وملكتى السحرية لقد أحرقت قلبي ورميت النار فى كبدى فلا شىء يمكنه أن يفرق بيننا سوى الموت الذى يستوى فى شرب كأسه القبيح والجميل والحقير والنبيل والعالى والدون ، أما أنا فانى لن أنفصــل عنك مطلقا مادام فى عرق ينبض أو نفس يتردد فاطردى هذه الأوهام من خاطرك لأن حبك وعشقك ملتصقان بى من الازل وقد دخل حبك فؤادي منــذ الرضاعة وتغذى جسمى بعشقك منذ ولادتى كما يتغذي الطفل بلبن أمه وقد قدر الله سبحانه وتعالى على قبل أن أنظر بعينى هذه الدنيا أنك ستكونين زوجتي ومحبوبتى فلا يمكن لحبك أن يخرج من فؤادى الا مع خروج روحي فما دامت الروح فى الجسد فلا يمكن لحبك أن ينفصل عنها .

ثم عاد فضمها إلى صدره ثانيا وثالثا وقال لها . دعى يا حبيبتى وساكنة فؤادى هذا الكلام ودعينا نغتنم فرصة اللذات ونقتطف من الخدود ورود المسرات ونجنى تفاح الخدود بشهى القبلات واسمعينى من فمك الشهي المبتسم حكاية حسنة فأزيد بها ممنونيتى منك ومن اهتمامك بسروري ونماء حظى . وأجابت اهان طلبه فى الحال بعد أن دعت له بطول العمر ودوام العز ثم بعد ذلك استأنفت الكلام فقالت :

دعوة نساء الوزراء والكبراء إلى الحديقة وزواج ابن الوزير

نعم يا ملك الزمان وأوحد الفرسان في هذا العصر والأوان سأقص على مسامعكم الكريمة هذه الحكاية وكنت قد سمعتها من والدتي فى صغر سنى قالت أمي دعوت ذات مرة جميع نساء الكبراء والوزراء والأعيان إلى وليمة فأمرت بنصب الأسرة والكراسي حول الأفريز الجانبي للحوض الموجود في وسط حديقة القصر الفناء الواسعة المحيطة به من كل جنباته ولما اجتمع نساء الشرفاء الموما اليهن شغلن بالحظ والانشراح واللعب والمزاح واللهو والسرور والانغام والحبور وكانت أحدي أولئك النساء فتاة جميلة قد أرسلت بنظرها إلى أطراف تلك الحديقة فخطر على بالها أمر فصارت تارة تبتسم وتارة تظهر عليها علائم الحيرة (فقالت والدتى) ولما رأيتها على تلك الحال قلت لها على سبيل المزاح يظهر لي أن حديقتنا لم تعجبك . فأجابت الفتاة بلسان الخجل والاعتذار . أستغفر الله يا سيدتى من لا تعجبه هذه الحديقة وهى كجنة الخلد مع أنه لو سمح لى أن أصرف عمرى كله فيها لكان ذلك نعمة كبرى ومنة عظمى في عيني . فقلت لها ان كان الامر كذلك فلماذا نظرت فى الحديقة وتبسمت تبسما معنويا فأجابتني الصبية العفو ياسيدتى يبدوا لى أن حالتي التي حملتك على الظن بأن الحديقة لم تعجبنى والحقيقة أن سبب ذلك أمر خطر لي وحملنى على التبسم واظهار كل ما رأيتيه منى .

قالت والدتى فقلت لها ألا يمكنك أن تبينى الامر الذى جال فى خاطرك فاستحت وسكتت وحينئذ قلت فى نفسي لابد لتبسم هذه الفتاة من أمر غريب وحكاية عجيبة ومالت نفسى إلى الوقوف على ذلك الامر وما زلت ألح عليها وأقول لها ما الموجب للحياء ولا أحد غريب هنا فأطلعينا على السبب الذى حملك على التبسم وإلا اعتقدت أنك تزدرين بالحديقة لانها لم تعجبك . فزاد خجل الفتاة من هذا الكلام وقالت . كلا . كلا . يا مولاتى ليس تبسمى ازدراء بالحديقة فانها غاية فى الكمال والتنسيق وعلى كل حال فما دمت تصرين على معرفة السبب فى تبسمي فاصغى لى لاشرح لك سببه وأسرد عليك أصول علته ثم قالت .

إن جاريتكم بنت الوزير فلان المتوفى فلما كان عمري ١٤ سنة في حياة أبى ذهبت مع عدة من بنات الوزراء للتنزه فخرجنا من المدينة وطفنا مقدار ساعتين

ومن بعد ذلك صادفنا فى ضاحية المدينة حديقة كبيرة وعالية ورأينا على بابها بستانيا شيخا كبيرا جالسا . وحينئذ دفعنا الشوق والرغبة إلى التنزه فملنا اليها ودخلناها .

فلما رآنا الشيخ قام الينا وسلم علينا غير أننا لم نحفل بالشيخ البواب وعلانا الضحك عليه . وما لبثنا أن دخلنا كلنا الحديقة حتي أسرعنا إلى الباب فأقفلناه من الداخل وتركنا البستانى فى الخارج فاحتدم من ذلك غيظا وجعل يقرع الباب ويضربه بشدة مدة ساعة دون أن نلتفت إليه أو نفتح له وحينئذ ترك الحديقة وذهب .

أما نحن فطفنا بالحديقة وأكنافها وبالحقيقة كانت عديمة المثال واسعة جدا ولها سور عظيم عبارة عن حائط مرتفع من كل جهاتها وفيها الورد والياسمين وكل أنواع الزهور وقد زرع شجر السرو بترتيب وتنسيق جميل فى كل أطرافها وكانت أشجاره عالية وقد تلاصقت أغصانها وأوراقها ببعضها البعض وأقيمت كسد منيع بينها وبين حائط الحديقة على الدائر فسحة يبلغ طولها ثلاثين قدما فى عرض عشرة أقدام وقد زينت بالزهور والخضر وكذلك الطريق الآخر قد كُسى على بعد عشرة أقدام أيضا وقد حفرت جداول الماء عند أسفل شجر السرو وخط لها طريقان فى الجانبين وكان الماء أبيض صافيا رقراقا وهكذا قد صف الشجر أيضا صفوفا صفوفا وترك بينها قطع فساح مقسمة إلى ثلاثة أقسام كل قسم عشرة أقدام فالقسم الاوسط ترك للشمس والجانبان تغطيا بالزهور والخضر وقد عرش على بعضهما الكرم وتدلى فيها العنب عناقيد عناقيد وبعض أصناف أخر من الدوالى كاليقطين وأشجار اللوف ونحوهما وقد تدلى ثمرها حتى لم يغد فى وسع الانسان تقريبا الجلوس تحتها ووجدنا فى وسط الحديقة حوضا متسعا كثير النوافذ وقد صف حوله الشجر بانتظام وتزينت بأوراقها وتلاصقت ببعضها البعض حتى صارت كأنها قصر بنى من الشجر وقد أحدثت الشمس فى الحوض وما بين تلك الاشجار حلما رفيعا لؤلؤيا أى كانت تظهر كحبات اللؤلؤ فوق سطح الماء ومن جانبى الحوض الى حد الاشجار ترك مقدار عشرين قدما رصفت بحجارة المرمر الصافى وزينت بالمفروشات المنوعة . وكان يظهر فى طرف الحديقة خرابة قصر قديم قد تركت من زمان لا يعرف أوله بصفة قصر قديم . أى كان متروكا على حاله . وفى احدى الجهات كان شجر التفاح

والاجاص وباقى أنواع الأشجار ذات الأثمار اللذيذة يتدلى منها الثمر ناضجا على أحب ما تشتهى العين .

ولما دخلنا الحديقة المذكورة طفنا فى كل أطرافها متفرجين عليها فأعجبتنا جداً لأنها كانت محكمة الوضع والترتيب ورأينا من المناسب صرف تلك الليلة فيها وكان كل شيء موجوداً فيها وقد أحضرنا معنا كثيراً من أنواع الشراب والمآكل وآلات الطرب كالعود والطنبور والناى .

وبعد أن أقفلنا باب الحديقة جيدا عدنا فطفنا فيها ثانية باحثين عما إذا كان يوجد طريق آخر للدخول اليها غير الباب فلم نر طريقا إلا من جهة مرور الماء وقد تبين لنا أن مدخل الماء يمكن أن يدخل منه إلى الحديقة وعلى ذلك رتبنا قهرمانتين من قهرماناتنا كحارستين عليه تتناوبان الحراسة وأعطيناهما المآكل وكل ماتحتاجانه وأوصيناهما بشدة المراقبة والسهر ثم أتينا إلى الحوض فجلسنا حوله وأخذنا في معاطاة كؤس الأنس والصفاء بعد أن ألقينا الأغطية عنى فكان بعضنا يدير الاقداح وبعضنا يرقص وبعضنا يغن بأصوات جميلة وبعضنا يضرب على الآلات .

وبالاختصار كنا كالحور فى الجنان نفرح ونلعب ومع هذا فكنا جميعنا فتيات فى حال زهونا وصبوتنا وما منا إلا من تفضح البدر حسناً وكمالا ولذلك كانت كل واحدة منا مع كثرة وجود أسباب الحظ والصفاء تري نفسها غير مسرورة لعدم وجود ذكر ولكن ما الفائدة فالمحافظة على الناموس والشرف أمر ضرورى لنا . لاننا مضطرات للمحافظة علي ناموسنا لاننا لو بحثنا عن ذكر وأتينا به إلى ذلك المكان لبطل فرحنا ولم يعد فى امكان واحدة منا أن تخرج صوتها أو تكشف وجهها عليه مع اعتقادنا بأن اختلاط الذكور بنا يلذنا ويطربنا ويشفي قلوبنا .

ولما لم يكن معنا ذكراً فقد أخذنا وظائف الذكور وصرنا نفعل أفعال الذكور مع النساء فكان بعضنا يعانق البعض الآخر ويقبله فى العيون والخدود والاعناق والنهود الى غير ذلك مما يطتب للصبايا فى أوان نضج أثمارهن فكن كمن يهيج النار لاننا لم نتلذذ كما نحب ولا اشتفى لنا فؤاد ولكن ما الفائدة وليس باليد حيلة .

فاكتفينا بهذه التسلية التقليدية فكنا ننشد الاشعار الغزلية والابيات الغرامية وتهيج بها الى الدخول في أبواب العشق . . .

فكانت تدفعنا الي الحمل على بعضنا البعض لاطفاء جمرة الشهوات من لف ساق على ساق الى تطويق بالايدى على الاعناق الي ارتشاف ثغور وامتصاص نهود وضم خصور . ولا أنكر عليك أن مجلسنا كان كاملا ولكنه بالحقيقة كان محتاجا الى ذكور وادخال الذكر بيننا كان مستحيلا لان كل واحدة منا كانت تطلب الذكر ولو وجد لهربت منه حياء من الباقيات وخوفا من ثلم عرضها بخلاف مالو وجد معها في خلوه اذ أن التستر ضروري لربات الخدور وبقينا على مثل ما تقدم الى أن مرت ساعة من الليل تقريبا .

وحينئذ جاءتنا القهرمانتان اللتان أقمناهما الحراسة وكانت احداهما قهرمانتى فتعجبنا من مجيئهما وتركهما الحراسة وسألناهما عن السبب فأجابتا بانهما ملتا الوحدة وتضايقتا من الانتظار فأتيتا للتسلية والاشتراك معنا .

ولما وكنا سكارى لا نعي على شيء لم نعترض عليهما ولا لمناهما وبعد أن أقامتا معنا برهة اعتمدتا على أن ترسل واحدة فواحدة للحراسة فعندما تأتى الينا الواحدة تذهب الثانية وبعد أن تقيم معنا ساعة تذهب الى الحراسة مكان رفيقتها .

ولنترك الكلام عنا وعن ما كنا فيه من الحظ والسرور ولنرجع الى صاحب الحديقة فاننا كنا نجهله ولا نعلم لمن الحديقة ولا فكرنا فيه قط بل كنا جالسين نأكل ونشرب ونتسلى ونلعب وكانت الحديقة لاحد الوزراء القدماء توفى وترك ولداً بين السابعة عشرة والثامنة عشرة فكان جميلا بديع المنظر وقد وصلت الحديقة اليه بالارث الشرعى وكان من عادته أن يأتى في الاسبوع مرتين يتفقدها ويتنزه فيها فصادف أنه جاء في نفس الليلة التى كنا فيها وكان يظن أن الباب مفتوح فرآه مقفلا قفلا محكما ولم ير البواب هناك فوقف متعجبا ثم طرق أذنيه صوت العود والاناشيد فزاد تعجبه من ذلك .

فتلاعبت به الافكار وصار يقول في نفسه من يا ترى في الحديقة هل أن الجنائنى دعا بعض أصحابه واجتمعوا على السكر والخمر . . . لكن لا يمكن أن يكون ذلك لان الجنايني عجوز لا يمكن أن يفعل شيئا من هذا فانه منذ صباه وهو

فى خدمة الحديقة ولم يبد منه أمر مثل هذا فى طول خدمته فاذن من يا ترى داخلها . . . لا يبعد أن يكون جماعة من الجن اجتمعوا فى الحديقة وعمروها وتغلبت عليه الأوهام وخطر له ألف خاطر . . . وأخيرا عقد الدخول فقرع الباب بعنف مدة ساعة فلم يسمعه أحد ولا فتح له الباب فزادت حيرته وأخذ يطرف حول الحديقة يبحث عن طريق يدخل منه ولما لم ير مدخلا إلا من محل دخول الماء حيث أقمنا قهرمانتينا على الحراسة .

ولما رأتاه ظنتاه لصا فضربتاه بالعصي التي بأيديهما فخاف ابن الوزير ظانا أنهما من الجن ووقع من خوفه إلي الأرض فربطت القهرمانتان يديه وبعد بضع دقائق أفاق ابن الوزير من غشيته فرأى نفسه مربوطا فندم على مجيئه إلى ذلك المكان .

وحينئذ قالت له قهرمانتى . أظننت أيها اللص الخبيث أن المكان خال هنا حتى أتيت للعرقه والليل لم يكد يرخى أستاره بعد فمن يا ترى يقدر أن يخلصك من أيدينا .

فأجاب ابن الوزير بحيرة وتعجب . أنا لست لصا ولا سارقا أنا صاحب هذه الحديقة وهي ملكى . وقد أتيت لأتفقدها وأتنزه فيها كعادتى فوجدت بابها مقفلا والجنايني غائبا عنها فتحيرت من ذلك ولما لم يكن لها طريق آخر يسلك منه إلا هذا المكان فقد دخلت غير خائف ففي البداية لم تصدق القهرمانة أنه صاحب الحديقة فسألته عن اسمه وأصله وفصله فأخبرها بذاته وبكل ماهو موجود بالحديقة فصدقته وحلت الرباط من يديه واعتذرت اليه وندمت على ما فعلت به وقالت له إنى لم أكن أعرفك ياولدى فأرجوك العفو أولا ثم أخبرك أن جميع بنات الوكلاء والوزراء قد أتين هذه الحديقة وبقين لتمضية هذه الليلة والمبيت فيها إلى وقت السحر وحيث أننا قد تعدينا عليك وكدرناك فاكراما لخاطرك آخذك إلى مكان قريب منهن فأختفى هناك بحيث تراهن ولا يرينك وأية فتاة أعجبتك فيهن أخبرنى عنها فأحضرها اليك فتتسلى معها هذه الليلة .

فلما سمع ابن الوزير كلام قهرمانتى زادت حيرته واضطربت أفكاره وصار يقول فى نفسه هل يا ترى صحيح أم كذب .

أما القهرمانة فقد أدركت من إطراق ابن الوزير أنه مرتاب فى كلامها

فقالت له لماذا هذا التفكر انى أريد أن أعمل معك معروفا فلا ترتب فى شىء فهلم أمامى ولا تضيع هذه الفرصة فوافقها وجاء إلى احدى زوايا الخرابة القديمة فاختبأ فيها وصار ينظر من ثقب فيها إلى الحوض فرأى حوارى الجنة مجتمعات وقد غاب عقله وفكره من جراء ما رأي ... وفى الحقيقة إنه لا يمكن أن يرانا أحد من الرجال ونحن على مانحن عليه ولا يتحير ويتيه عقله :

وما وصلت السيدة لقمان بنت ملك الصين صاحب الاقليم السابع فى حكايتها إلى هذا الحد حتي فرغ صبر بهرام شاه فضمها وقبلها بين عينيها وخديها وقال لها بالحقيقة إن القلب والعقل لا يتحملان وكيف يمكن للمرء أن يثبت على حاله بعقله عندما يراكن وقد أعطيتن من فضل الطبيعة جاذبية القلوب وخصص جنسكن باللطف والظرف حتى ترفعتن به علي سائر المخلوقات فهل من ذى قلب لا يحب وهل من عاقل ولو كان سليمان فى حكمته لا يسلمكن قياده كل ذلك بتدبير من الله ليشوق المرء إليكن ويرغب فيكن وتعمر بذلك الدنيا ويتصل حبل بنى آدم وبنات حواء الى آخر الزمان ومع أن المحب يتصور أن الضمة والرشفة والقبلة تطفي لهيبا وتشفي أواما ولكن مهما أكثر فيها يرى فورة الحب فى قلبه قد زادت فى الغليان وهذا كما قال الشاعر :

ان الطعام يقوى شهوة النهم

فسبحان من أعطاكن هذا السلطان . وبعد ذلك سألها أن تتم حكايتها . فأفرغت لقمان كل ما عندها من دواعى الحب وقامت بألف حركة ما بين غنج وقصف وضم ومن ثم قالت .

أى بهرامى المحبوب ان والدتى قالت لى ان الامرأة قالت لها ان الفتى صاحب الحديقة جاء الى خرابة القصر القديم فاختفي عليها وصار ينظر الينا من نافذة صغيرة فيها وما لبث أن رأى جمعيتنا وما نحن عليه من الحظ والصفاء اذ كدنا نصل الى حالة التهتك حتى تاه عقله وضاق صبره وتحرك به كل ساكن وهو ينقل بنظره من واحدة الي ثانية كل هذا ونحن لا علم لنا به بل كنا مشتغلين بصفانا منهمكين بحظنا بين الدنيا ومن عليها وكنا جميعا جالسات تجاه خرابة القصر المذكورة نرى منها فتمكن ابن الوزير أن يرانا جيداً ويدقق فى كل واحدة منا وبعد ذلك ... العفو يا ربي ... فأين كان ذلك مخبأ لى ... فبالصدفة كنت أنا الوحيدة التي أعجبته ودفنت فى قلبه وتعشقنى دون كل البنات عند أول لحظة

رآنى بها وفيما هو على هـذه الحال جاءته قهرمانتى وقالت له قل يا ولدى من التي أعجبتك من البنات .

فقال لها الرحمة يا أماه ماذا أقول هل الذى أراه فى هـذه الليلة حقيقة أم ان ساحراً سحر عقلي ماهذا المجلس الغريب وكم هو جميل ولقد ضم الجمال برمته ليست هى حديقة فقط بل ألف حديقة مثلها بل الدنيا بأجمعها فدى لأقدامهن الرحمة العفو يا والدتى أخبرينى من هذه الفتاة الجالسة عند حافة الحوض وهي تبسم عن ثغر كالدر النظيم وبين أناملها العاجية قدح من البلور تريد أن تشرب وهي تمايل بعنقها الفضي كالطاووس إنها التى أغارت على قلبي وسلبت مهجتي وما أملكه من الحواس ياالله كم هى جميلة . الرحمة ياسيدتى . الرحمة أخبريني من هي وبنت من .

فلما رأت القهرمانة أنى أعجبته سرت سرورا لا مزيد عليه وقالت له كن براحة يا ولدى لا تحمل هما ولا تأسف فأنا الآن أحضرها اليك لتتسلى معها إلى الصباح ومهما شئت أن تفعل فافعل . ثم تركته وجاءت .

أما ابن الوزير فوقع فى الحيرة والارتباك وهو يقول فى نفسه هل ما تقوله العجوز صحيح وممكن . كلا . لا يمكن أن يتم . لا بد أنها تنصب لى شركا . من أين لي أن أنال القمر وأنا على الحضيض .

كيف الوصول إلى سعاد ودونها قلل الجبال ودونهن جنوف

الرجل حافية ومالى مركب أسعى اليه والطريق مخوف

أواه . يا ليتنى لم أدخل الحديقة هذه الليلة وكان يحدث نفسه بهذا وعيناه تدمع وقلبه يلتهب من شدة حبه لي وغرامه لى . فلندعه الآن ونأتى إلى الحيلة التي احتالت على بها العجوز .

فلما فارقت العجوز ابن الوزير وجاءت نحونا قالت لقد انتهى دورها بالحراسة فأرسلت عجوزا ثانية مكانها . ودنت مني وجلست بجانبي وأنا غارقة ببحر الهرج والمرج كبقية البنات وما منا الا من لعبت الخمر برأسها فأضاعت صوابها وأنستها الدنيا فكنا نقبل بعضنا ونتبادل العناق والضم وشد الاوساط والخصور وكنت أقول أواه لو عرفت صـديقا يوافينى إلى هذه الحديقة لترويت غليلي وسررت قلبي وتخلصت من هذا العذاب والتحرق . لأن التصاق البنات ببعضهن البعض كان يزيدهن تحرقا ويحرك فيهن السواكن المستترة فى دواخلهن .

وفيما أنا أديم هذه التأوهات والتمنيات التي كنت أري تحقيقها احد المحالات إذ مدت العجوز رأسها الى أذنى وقالت لى لو كنت أجد لك الآن ذكرا ظريفا لطيفا ماذا تعطيني .

فلما سمعت هذه البشارة من العجوز كدت أغيب عن الوجود من شدة الفرح ومع أني كنت في حالة سكر قوى لم يغب عن ذهني أنه اذا كان اجتماعى بالشاب والتقائى به على مرأى من البنات أبقي محرومة من نعمة التلذذ معه ولا أتمكن من شفاء غليلي لأن الذي أتمناه وأتحرق عليه يتمناه الجميع ويتحرقن عليه اذا ما رأينه أو وقع بين أيديهن تخاطفنه وتمنته كل واحده لنفسها .

فقلت لقهرمانتى سرا أصمتى الآن لا تكلميني ولا تدعى البنات يدركن شيئا من هذا الأمر أو يعلمن به فاذا كان يوجد شاب كما تقولين فأنا أسير اليه وأجتمع به علي خلوة .

فقالت لى القهرمانة انهضي اذا بتحيل واذهبي الي الخرابة ترين غرضك ثم أعرضت عنى .

ولما سمعت كلام العجوز وعرفت أن بالقرب منى ذكرا أخذ الفرح منى كل مأخذ وجعل قلبي يضرب واحساساتى تتحرك وسهل لى السكر الفاضح والحظ المتوفر كل صعب فانفردت عن البنات وأخذت أطوف من خلفهن متظاهرة بالرغبه فى التمشى بالحديقة للنزهة والتفريج عن النفس وما زلت سائرة بفرح وشوق غير حاسبة حساب أمر من الأمور

وكان القمر إذ ذاك فى الرابعة عشرة وقد بعث بنوره الى تلك الخرابة فتخلل جدرانها وافترش علي بساطها وحالما دخلتها وقعت عينى على ذلك الفتى اليافع فداومت السير اليه وحالما رآني خف لاستقبالى الي أن صار كل منا فى مقابلة الآخر وفى الحال مد كل منا يديه ولفها على غير انتباه أو وعى على عنق الآخر وكان قلبه يدق ويختلج فيجاوبه قلبي الملتصق به بدقات عنيفة ناتجة عن الخوف والاضطراب

وهكذا جلسنا نحن الاثنين داخل هذا القصر علي ما نحن عليه من الخوف والرعب وبدأنا بالضم والعناق والتقبيل لكننا كنا كالخرس لا هو فاه بكلمة ولا أنا فتحت شفتى بل كنا نرتجف ونضطرب وقلوبنا تخفق ومعلوم درجة الخوف اللازم أن تلحق بنا فى مثل تلك الساعة ومع ذلك فكان يقبلنى فأقبله

ويضمني فأضمه ويلتصق بي فالتصق به . . . لكن لا صوت ولا كلمة إلا خوف متزايد . ولم نكن نعلم سر هذا الخوف الذي استولي على قلوبنا وسيطر على كل جوارحنا حتى أن العرق كان يتصبب منا الي أن تشجع ابن الوزير نوعا ما ومد يده الى تكتى وما كادت العقدة تنحل حتى سمعنا حركه وفرقعة حدثت بالقرب منا فتوهمنا أن أحدا شعر بأمرنا ففاجأنا فبأسرع من لمح البصر انفصلنا وانصرف كل منا الى ناحية ولا أعلم كيف هرب ابن الوزير لشدة خوفي وخلجان قلبي بل أعرف من نفسي أني أسرعت الى ربط تكة سراويلي وخرجت من الخرابة وأني معتقدة أن عينا ترانا وطفقت قليلا حول البنات ثم اختلطت بهن وجلست بينهن واذا هن على ما كن عليه من الأنس والصفاء كأن لا علم لهن بشيء قط .

وهذا زاد تعجبي واضطرابي وقد غصت في بحر من الفكر وصرت أقول لنفسي يا للعجب ما تلك الحركة وعن أي شيء حدثت وقد اطمأننت بعض الاطمئنان وهدأ اختلاج قلبي واسكن اضطرابه ولكن لا أزال أفكر في تلك الحركة وأقول هل رآنا أحد يا ترى لا أظن ما هذا الأمر واذا ما هذا الذي صادفته انها لحلاوة غريبة ولكن دون فائدة أواه من الدهر الغادر لم يتركني أتم هنائي

وفيما أنا على مثل هذه الأفكار أذم الزمان الظالم كانت ظواهري تدل على تعبي . فأدركت القهرمانة حالتي فتقدمت الى وهمست في أذني قائلة . ماذا جرى لك يا بنتي . فأجبتها أواه من الدهر يا أماه فلا يمكنه أن يترك انسانا في هنائه كم أنا قليلة الحظ لقد حرمت التلذذ بتلك النعمة التي ساقها الى في غفلة من الزمان ولكني الآن يئست من الهناء . فكررت على السؤال قائلة . تكلمي يا بنتي تكلمي ولا تخشي شيئا وقولي لي ماذا حدث لك

ولما ألحت علي قصصت عليها كل ما حدث فبعد أن وصلت اللقمة الى الفم وقعت فاننا حين عزمنا على الالتصاق سمعنا صوت حركة بالقرب منا فأجفلنا من الخوف وهرب كل منا الى ناحية بعيدا عن أخيه .

وكان قد مر على ذاك الوقت مقدار نصف ساعة فلما جاءت القهرمانة التي كانت في الحراسة اذ انتهى دورها وجاء الدور لقهرمانتي فنهضت وسارت تفتش وهي تبحث عن ابن الوزير .

أما أنا فبقيت غائصة فى أفكارى لأنى حالما رأيت ابن الوزير تمكن عشقه فى قلبي وأغرمت به وصرت أفكر فى اعتدال قوامه ونعومة خده وحسن منظره وكيف أنه مسكين لما تحركت فيه الشهوة وعزم على اقتناص اللذات والظفر بنوال الأمانى أجفل الطير وأفلت منه وأجفل هو أيضا وكان قلبي محوما فوق تلك الحديقة يفتش عليه وأنا أؤمل الاجتماع به ثانية متكلة على العجوز وكان من اللازم أن أمتنع عن الشرب كي لا أزيد سكرا فوق سكرى ولا أغيب عن معرفة الصواب وماذا يجب أن أعمل كي لا تفلت النعمة من يدي ثانية إذا عادت لى ولكن عدت فاشتغلت بالشرب وعيني تضرب إلى جهة الخرابة .

أما العجوزة فانها مازالت تبحث عن ابن الوزير حتى التقت به فقالت له ماذا جري لك ياولدي وما الذى أفزعك فأخذ الغلام يرتجف ويضطرب وقال لها العفو ياأماه إنى لا أعلم ماذا جري لي فانني بينما كنت جالسا مع الفتاة نتحادث سمعت صوتا يقول : نشاط . باط . فخفت وهرب كل منا إلي ناحية . فذهبت العجوز متعجبة الى جهة الخرابة لترى سبب الصوت الذى سمعناه يردد . نشاط باط . فرأت أن الغربان قد فرخت فى أعلاه فوقع بعض من أفراخها على الأرض فسمع لها هذا الصوت .

ولما تأكد للقهرمانة ذلك ضحكت علينا لشدة خوفنا وعادت الي ابن الوزير فأخبرته بالقصة فندم على ماوقع منه وخجل من نفسه وهذا فى الواقع يمثل جهل ابن الوزير الشاب وجهل محبوبته بحقيقة الأمر مع قدرتهما وتمتعهما بحيوية الشباب ونضارته وقوته كما يمثل تلك القهرمانة العجوز التي عرفت الدنيا وعمرت فيها فأصبحت الحقيقة لديها واضحة لا يخفى عليها شيء من أسبابها بينما ولت صحتها ونضارتها وذبل حسنها وخمدت فتنتها وأصبحت لا تصلح لشيء من الشهوات وملت الحياة وفي هذا المعنى يقول الشاعر :

أواه لو علم الشباب   وآه لو قدر المشيب

وحينئذ قالت له القهرمانة لا تفتكر ياولدى فاذهب الآن واجلس فى مكان آخر وأنا أرسل لك الفتاة حبيبتك فارتمى على يديها يقبلهما وقال لها انى ذاهب لأجلس تحت شجرة السرو هذه فارحميني وتممي معروفك معى . ثم ذهب الى تحت الشجرة وجلس هناك .

أما القهرمانة بعد أن صرفت نصف ساعتها جاءت وأرسلت الثانية لتخفر بدورها . ولما رأيت قهرمانتي تقدمت اليها وقلت لها الرحمة عجلي بالخبر هل شاهدت حبيبي فقالت لي نعم وجدته ماشاء الله عليك وعلى شجاعتك النادرة لقد وقع الى الارض من أعلى الخرابة بعض أفراخ الغربان فهربتم منها فانفعلت عند سماع كلامها وخجلت وندمت على ضياع الوقت ولم أتمالك نفسي من الضحك . ثم سألت القهرمانة أين ينتظرني الآن . فقالت لى تحت شجرة من السرو . وأشارت الى تلك الشجرة فطار قلبي شعاعا وانفصلت بخفة عن البنات لنحو تلك الشجرة وأنا أرتجف ... من أى شيء أرتجف ... لا أعلم ... وحالما رآنى ابن الوزير مقبلة اليه دنا منى فاستقبلنى وحالا عانقنا بعضنا البعض . ولكني لشدة الخوف لم يقدر أحدنا على فتح شفة أو التكلم بكلمة . فجلسنا تحت الشجرة وأخذنا فى المداعبة والملاعبة والتقبيل والضم والشم والمخاطرة فمر علي بضعة دقائق لم يمر على فى زمانى ما يعادلها لذة انقضت بين عناق وتقبيل وشم وضم ثم انفتح فمى بالكلمة الاولى التي خاطبت بها ابن الوزير فقلت . الرحمة أسرع فافعل ماأنت فاعل فلم يبق وقت . والتصق ابن الوزير بى وهو يقول ما أجمل وما ألذ هذه النعمة التي حصلت عليها فى هذه الليلة ثم مد يده الى تكتى ولم يكد يحل العقدة حتي سمعنا صوتا بجانبنا يقول . بام . بام . فقلت فى نفسي أواه ماذا جرى لنا وماذا وقع علينا . واضطرب كل منا وارتجف وتوهمت أن البنات بأجمعهن قد أدركننا ولحق به أيضا مالحق بي وأسرعنا بالانفصال وهرب كل منا الى ناحية وأنا أقطع بوجود عيون شاهدتنا وشاهدت الحالة التى كنا عليها تحت الشجرة وحالما وصلت قريبا من البنات وجدتهن على حالهن من الحظ والانشراح يشربن ويتعانقن ويتباوسن ونهد كل واحدة بفم الثانية الى آخره ...

وكان بعض البنات قد شاهدن حالتى واضطرابى واصفرار وجهي فسألننى ماذا دهاك هذه الليلة فقلت لهن لا أعلم دعونى بحالى لا تشغلن بى فما فى الامر بأس . فقد دخت وانقلبت الدنيا بى ولم أر لى فرجا الا بالقيء فصدقنني وقلن مسكينة لاجلد لها على الشرب فقد أثرت الخمرة فى رأسها فداخت . أما أنا فكنت فى حالة تكاد تخرج لها روحى ... آه من أعمال الدهر الغادر . لا أعرف كيف انى كنت أحس بالخوف والارتباك من دون أن أفهم سرا للخوف والرعب

المستولى على وأنا من القهر والحيرة لا أهتدى الى الطريقة التى يجب على سلوكها اذ اننى أصبحت عاشقة ابن الوزير . وكنت حين ملاقاتى به أمرغ خدى على خده فأشعر به ناعما بأكثر من خدى ومن نظرى اليه فى نور القمر كان يتبين لى أنه أمرد لانبات بعارضيه وأنه كالبنت البكر لم يقده الحب لغيرى بعد . ولذلك فرغ صبرى وتلون وجهى بألوان الكآبة واليأس . فأدركت قهرمانتى أنه لابد أن يكون حدث لى حادث آخر فدنت منى وسألتنى عن السبب فقلت لها . الرحمة ياأماه لا أعرف سببا لسوء البخت فى هذه الليلة . أواه ياليتنى لم أدخل هذه الحديقة ولا رأيت هذا الفتى فأسألك المساعدة بحياتك لانه على ما يظهر لى جميل ولطيف وناعم البدن . ما الفائدة ان الدهر يعاكسنى فى وصاله أواه ماذا أعمل يا مدبرتى ومشيرتى . انظرى لى طريقة خذى لى خبرا عن محبوبى . انظرى هل هو مكدر مما حدث لا ريب أنه مكدر وكنت أتوقع عليها وأرجوها بالاشارة وأنا أغافل البنات كى لا يلحظن شيئا من أمرى .

ولما رأت العجوز حالتى واضطرابى نهضت تفتش على ابن الوزير وبقيت أنا على ما أنا عليه من القلق والتهاب الفؤاد وأعينى تدور في أطراف الحديقة أنتظر عودة القهرمانة .

أما القهرمانة فقد فتشت على ابن الوزير حتى وجدته جالسا تحت احدى أشجار السرو .

فلما رآها آتية اليه أخذته الرجفة من الخوف والحياء فانعطفت اليه وقالت له لتخلصه من الحالة التي هو فيها ماذاجرى لك ياولدى ماهذه الحال التى أشاهدك فيها كأنك لم تعرف ولا سمعت من أحد عن الحب والغرام . أليس من العيب عليك أن تضيع جسارتك واقدامك في المرة الاولى بسبب تحريك أجنحة بعض أفراخ الغربان التى وقعت من أعلى القصر وقع الرعب فى قلبك وقلبها وهربتما كل واحد الى جهة وفى هذه المرة ماذا حدث . وكان ابن الوزير قد هدأ باله على نوع مافقال الرحمة ياأماه . انى أعرف وأسمع عن الحب والغرام لكن الروح عزيزة فانى أخاف أن أقع فى ورطة وأقود لنفسى المصيبة متى افتضح الأمر . فقالت له . ماهذا الخوف يا بنى فالحديقة كما تعلم محفوظة ومصانة فلا يمكن دخول أحد اليها فى مثل هذا الوقت . ولا بد أن الذى حدث فى هذه المرة يماثل المرة الاولى .

فقال لها لا أعلم . والذى أعلمه أنى بينما كنت مع محبوبتى فى ألذهناء وعند أهم نقطة سمعنا أصواتا تقول . بام . بام . وليس مرة واحدة بل تكررت بسرعة عدة مرات فهربنا خوفا من الفضيحه .

فتقدمت القهرمانة بجسارة إلى تلك الجهة التى كنا فيها وبحثت عن سبب الصوت فوجدت أن الفيران تسلقت الشجرة فكانت تقطع بأسنانها قشر الشجرة فيقع إلي الارض فيحدث عنه هذا الصوت .

فلما رأت هذه الحال كادت تقع على الارض من شدة الضحك وقامت فأخذت ابن الوزير من يده وقالت له انظر هذا الذى خفت منه .

وعندما رأى ابن الوزير قشر الشجرة أخذ يضحك من نفسه وقد ندم على ضياع الوقت وصار العرق يتصبب من جبينه لخجله من العجوز على جبنه وقلة شجاعته .

وإذ ذاك أخذت القهرمانة فى تسليته وتطييب خاطره . فقالت له لا تتكدر يا ولدى فأذهب أنا الآن وأرسل لك الفتاة .

ثم جاءت الي . وكان البنات لا يزلن على عملهن من الحظ واللهو والشرب والقصف وقد تحرشن بى عدة مرات وسألنني عن سبب جمودى وكدري فكنت أجيبهن ان رأسى تؤلمنى من كثرة الشرب وقلة النوم .

ولما حضرت قهرمانتى أرسلت القهرمانة الثانية للحراسة وهي لا تنقطع عن الضحك وكانت تحب أن تضبط نفسها عن الضحك فلم تقدر وقربت منى وجلست إلى جانبي على حالتها من الضحك وكنت أتعجب من شدة ضحكها وكذلك البنات وقد سألنها عن السبب . فأجابتهن وهى تضحك قائلة : لقد شغلتن الآن بالأنس والصفاء عن كل أمر وقد طردتن الخولى فمن يعلم إلي أية جهة ذهب . وكذلك آباؤكن وأمهاتكن لا يعلمن الآن أنكن أتيتن هـذا المكان والذي يزيد في ضحكي أن صاحب هذا الحديقة قد أنشأها لنفسه وهو لا يعلم الآن ماذا تعملن بها . فأظهر البنات استهزاءهن للقهرمانة وكلامها ولم يكترثن بحديثها .

وحينئذ نهضت العجوز واتخذت صفة الساقي فملأت الأقداح وقالت :

لا بد يا بناتى الحسان أن لكل واحدة منكن صديقا أو محبوبا فأقسم عليكن بعاشقكن سواء كانوا حاضرين أم غائبين أن تأخذ كل واحدة منكن قدحا

من يدى وتشرب بصحة من أحبته ولا تقفن عن مداومة الحظ والصفاء لأن المرء زائل من هذه الدنيا فمكسبه منها حظه فيها وهي تبقى على حالها فقدجاء اليها قبلنا ألوف وملايين لا تحصى وذهبوا عنها كأنهم لا جاءوا ولا راحوا ومن يعلم أيضا فى المستقبل كم من الملايين الذين سيأتون اليها ويرحلون عنها . فما دام الأمر كذلك فمن اللازم أن لا نضيع هذه الفرصة فأنتن الآن في زمن لهوكن وعشقكن فاسرحن وامرحن ولا تهتممن بغير حظكن والوفاء لمشاقكن ثم أعطت لكل واحدة قدحا مملوءا من الخمر وكان البنات قد تأثرن من كلام القهرمانة فبعضهن أخذ القدح وشربه بحزنه وكآبته وبعضهن بفرح وسرور ورجعن الى حالة الشرب وهاجت بهن دواعى الطرب فأخذن في ضم بعضهن البعض وفى الرقص والغناء .

وإذ ذاك دنت منى العجوز وقالت لي لماذا أنت بهذا المقدار قليلة الجسارة ألا تختشين أبدا من نفسك لقد خفت من فأرة تنقر قشر الشجرة فيقع إلى الأرض وهربت من صوت وقوعه أين شجاعتك .

وبعد أن عنفتنى بمثل هذا الكلام قالت لى انهضي انهضي الآن واذهبي الى هذا الغلام المسكين فقد تقطع قلبه وسليه وتسلى معه ما استطعت .

ولما سمعت منها كلمة تسلى معه تحركت بى جوارحى لأن عشق ابن الوزير كان يزداد بي

فقلت لها الرحمة يا أماه أين هو الآن فأشارت لى على المكان الذى هو فيه فنهضت فى الحال وخرجت من بين البنات بالحيلة . مع أن البنات لشدة ماوقع على من الارتباك والاضطراب والحركات القهرمانة وأقوالها كأنهن شعرن بشىء مما نحن فيه وفهمن سر المسألة .

فلما خرجت من بينهن سألن العجوز قائلات : ماذا حدث لهذه البنت فى هذه الليلة فالذى نراه منها الآن ما كنا نراه منها قبل ذلك أبدا . فأجابتهن وأنا أيضا أتعجب منها فهي تقول لي ان رأسها تؤلمها ولذلك أشرت عليها أن تدور فى الحديقة فدعوها لحالها تفعل ما تشاء سواء كان كلامها صحيحا أو كذبا .

أما أنا فانى بعد أن خرجت من بينهن سرت الى المكان الذى أشارت لى العجوز اليه أفتش على ابن الوزير ويدى ورجلي ترتجف وقلبي يختلج وكان باقى للصباح مقدار ساعتين تقريبا .

وحينما رآنى ابن الوزير مقبلة اليه تقدم لاستقبالى وكنا عند مقابلتنا لبعضنا البعض نرتجف من الجهة الواحدة ونضحك لسبب ما جري لنا من الجهة الثانية ثم عانق بعضنا البعض وأخذنا فى المداعبة . وما كنت أعلم حينئذ أنه ابن وزير لكنى كنت أشعر عند ضمه وتمريغ خدى على خديه ومشاهدتى حسنه ولطفه بعشق زائد له .

وبعد أن تعانقنا على مثل ما تقدم أخذنا نبحث عن مكان نتسلى فيه حتى أتينا سور الحديقة فجلسنا عند أسفله وتهيأنا للعمل ومع أن الخوف كان لا يفارقنا لكننا كنا نرى لذة غريبة . وكان خوفنا يسمع آذاننا أصواتا متنوعة فلم نحفل لها كالعادة . لأن ابن الوزير أصبح عاشقا لي عشقا غريبا كعشقي له ولذلك كنا نظهر لبعضنا البعض رغبة تامة بالالتصاق فتباوسنا على الخدود والعيون وضم كل واحد منا خصر صاحبه وصدرى على صدره بعد دقات قلبه يوما التهبت نار الشهوة فينا حتي عمدنا الى حل العقدة وحالما باشرنا العمل ملتصقين إلى بعضنا البعض لم يقبل الدهر الظالم أن يغفل عنا لنتمم حظنا وذلك آن المحل الذى جلسنا فيه كان على حافة طريق الماء وكانت القهرمانة القائمة على الخفر بدورها قد أخذها النوم وتغلب عليها ومالبث أن علا غطيطها حتى صادف أن بعض القرود والثعالب قد التجأ الى الماء ليختفي فى النهار عن أعين الناس وكان أحد الثعالب قد قفز من الثغرة التي تنام عليها العجوز وجاء بعجلة إلى الجهة التي نقيم نحن فيها وقد أصابت أظافره وجه العجوز فخمشتها فنهضت من النوم مرعوبة وأخذت تصيح وتولول .

أما نحن من الجهة الأولى كنا نسمع صوت خشيش الثعالب بدخولها بين النبات مذعورة ومن الجهة الثانية كان صراخ العجوز يصل الينا قويا فقلنا فى أنفسنا لا شك أن البنات فاجئونا

ولما كانت هذه المرة أشد رعبا من المرتين السابقتين كنا لا نعلم الى أى طريق يجب أن نهرب وكيف يمكننا أن نختفي .

والحاصل أننا بدون أن ينال أحد منا مقصوده من الآخر فر كل منا الى جهة .

أما قلبي فكان يختلج ويضرب بسرعة وشدة . وبرهة وجيزة اختلطت

بالبنات ولونى أصفر كالزعفران وحاولت كثيرا أن أمنع نفسي من الارتجاف فلم أقدر .

وحالما رأينني على هذه الحالة تبدلت شبهاتهن باليقين فقلن لى ماذا جرى عليك وما هو سبب هذا الاضطراب والقلق ان كان رأسك يوجعك نامي قليلا عسى ينصرف عنك الوجع . أما أنا فلم أر مندوحة عن التبسم وقلت لهن ما الذى يهمكن من أمرى فالشيء الذي أصابني لا يوجب انشغالكن عن لهو لكن ومتى نعست أنام .

وحينئذ أدركت قهرمانتى أن لا بد من بلاء جديد وقع على رأسى فغضبت ولكن لم تدع البنات يلحظن غضبها فتقدمت مني وقالت ما هذه الحالة يا بنيتي ولما هذا الخوف والارتجاف ولم تتم كلامها حتى وصلت القهرمانة التى كانت تحرس وهى تصيح وتبكي وتقول . آه . أنفي . أذني . وتقدمت من البنات ولما رأينا العجوز على هذه الحالة نهضنا جميعا ونحن نقول من الخوف والتعجب هل دخل أحد ياترى الحديقة . وقلن للعجوز ماذا جرى لك . فقالت لما كنت أخفر تسلط على سلطان النوم حتى لم أعد قادرة أن أتمالك نفسى فنمت فدخل الحديقة بعض من الثعالب أو الهررة أو القرود أو الجرذان لا أعلم والذى أعلمه أن واحدا منها هجم على وجهى فخدشه وهرب مع رفاقه فجعلت أصيح من الرعب ولم يعد فى امكانى البقاء هناك فأتيت إلى هنا .

ولما سمع البنات كلام العجوز أخذن في الضحك حتى وقعن على ظهورهن وسالت الدموع عن عيونهن واللعاب من أفواههن لكثرة ما ضحكن فجلست القهرمانة وقالت لهن بحدة . اضحكن ماذا جرى عليكن فانكن فى حظ انشراح فزاد ضحكهن وبقين مدة ربع ساعة حتى اغتاظت العجوز وخرجت من بينهن وجلست فى زاوية وأخذت فى البكاء . فنهضت البنات لاجل التسلى وأتين اليها وهن على حالهن من الضحك وصالحوها بألف حركة هزلية . لكن لما ذهبن اليها بقيت أنا وقهرمانتى لوحدنا فدنت منى وقالت لى لقد سمعت ما جرى فلا لزوم للاستفسار منك ولا بد أن يكون ذلك هرة أو ثعلب والذي فهمته أنك لم تنالى مقصودك ولن تناليه إذ أمركما غريب فعانقتها فى الحال لأني وجدتها متكدرة على عدم نوال المراد أكثر منى وقلت لها الرحمة يا سندى ومعينى لا تقطعى

أملى . هذه المرة فقط الرحمة المساعدة يا قهرمانتي فكما أني أتألم فذلك الغلام المسكين يتألم أكثر مني . أواه يا قهرمانتى كم هو لطيف وطرى البدن لا بد أن يكون من الاعيان أو ابن أحد الامراء . ارحميني بحقك مرة واحدة فقط اجمعيني به فاذا كنا في هذه المرة لا نتم عملا فلا عدت تساعدينا وما زلت أتوقع على العجوز حتي اجابت وقالت لى لا تأسفي فعند ما اذهب الآن ابحث عنه . وإذ ذاك كان البنات قد استجلبن خاطر القهرمانة وانثين بها وسارت قهرمانتي لتخفر بدورها .

أما أنا فبقيت جالسة مع البنات وكنت فى الظاهر أضحك معهن على العجوز ولكن في الباطن كان فؤادى يتقطع قطعة قطعة وأقول ما هذا البخت الأسود فى هذا الليلة الشديدة العدواة والذى أخافه أن تنقضي الفرصة بانقضاء الليل ولا أنال وصلا ممن شغل غرامه قلبي وبالى .

وأما ابن الوزير فانه لما هرب مما جرى اختفي ضمن جب لشدة الخوف لكن قهرمانتي بحثت عليه في كل مكان حتي وجدته وما كاد يراها حتي ارتمى على قدمها وهو يقول لها الرحمة يا أماه ماهذه المصائب التى وقعت على رأسى فى هذا الليل ماذا جري ياترى على الفتاة المسكينة وأين بقيت أواه ياليتنى لم آت إلي هذه الحديقة فى هذه الليلة .

فأجابته القهرمانة بحدة ما شاء الله لم أر جبانا مثلك زمانى بطوله حق ولا سمعت بضعف قلب كهذا . أليس من العار عليك . أليس من العيب أن تحسب فى مصاف الذكور . أمن حركة ثعلب أو هو تضطرب وتخاف ألا تخشى من نفسك على هذا الجبن ويلك كيف أن بعد أن وقعت بين يديك فتاة في بدء عمرها جميلة ناعمة البدن وبها أكثر مما بك من العشق والغرام وقد سلمتك نفسها لتفعل بها ما تريد تتركها عند مباشرة العمل مع أن أضعف الناس قلبا فى ظروف كهذه يتشجع فلا يترك صيدته ولو هجم عليه الأسد إلا بعد قضاء غرضه . فقال لها ابن الوزير أتظنين ياسيدتى ان خوفى واضطرابى ناتجان عن خوف وجبن ليس الأمر كما تظنين لكنى أخاف علي ناموسى وناموس الفتاة الاكثر قيمة من ناموسى لان عاقبته الفضيحة وخيمة وعار علينا ومع ذلك فاذا جاءتني مرة أخرى لا أتركها إلا بعد نيل المراد مهما حدث وسمعت .

واذ ذاك رقت العجوز لحالة الغلام وأخذت فى تسليته وقالت له ما دام الامر

على ماذكرت انتظرنى فى مكان موافق وعندما أعود أرسل لك الفتاة وبعد أن فكر ابن الوزير برهة قال لها فاذا أرجوك أن ترسليها الى الخرابة لانها أوفق من سواها فوافقته العجوز على رأيه وذهب الى الخرابة ينتظرنى بفروغ صبر .

أما البنات فمن شدة شرب الخمر سكرن جميعا فمنهن من نامت لا تعى على أمر ومنهن من تمددت على الارض بقصد النوم ولم تبق على الشراب الا ثلاث أو أربع بنات ولكنهن فى سكر عميق .

وفيما أنا أفكر فيهن وفى أمرى وأعيني تطوف فى الحديقة من جهة لى ثانية منتظرة مجيء قهرمانتى واذا بها قد جاءت تلحق بى من ذلك سرور لا مزيد عليه وبعد أن جلست أفهمتنى بأشارة أن ابن الوزير ينتظرنى فى الخرابة . ومالت الى البنات تشاغلهن بالكلام وتغافلهن عنى حتى ملن اليها وانشغلن بكلامها واذ ذاك نهضت قاصدة الانسحاب الى الخرابة فلحظن على ذلك وأمسكننى من ثوبي وقلن لى ما هذه الاحوال وماذا جري لك فى هذه الليلة فلا نراك الا قائمة قاعدة ذاهبة آتية اجلسى فأدركتنى القهرمانة وقالت لهن دعوها يا أولادي فانى أتعجب منها فى هذه الليلة مسكينة يا بنتى يظهر أن مزاجها انحرف فى هذه الليلة فالطواف قليلا والمشي يفيدها وعسى الله ان يصرف عنها ما بها . وبمثل هذا الكلام خلصتنى من البنات وسرت توا الى جهة الخرابة وقلبي يكاد يطير من الفرح لمشاهدة حبيبي وانا اعد نفسي فى هذه المرة بقضاء غرضى ونوال مرادي . وكان شفق الصبح قد بدأ ولم يبق على طلوع النهار الا ساعة واحدة تقريبا ولما صرت قريبا من الخرابة رأيت ... أواه ... ماذا رأيت ... رأيت نحو اربعة رجال او خمسة واقفين يتحدثون . نخفق قلبي وهربت راجعة وانا اقول ما هذا الحظ الاسود والطالع الانكد . وعدت الى البنات فجلست وانا ارتجف من الخوف وقد انخطف لونى فى هذه المرة كثيرا .

فلم تهتم العجوز فى بادىء الامر كثيرا لانها ظنت ان ما وقع فى هذه المرة كالمرات الماضية . فنظرت الى نظر الغضب وقطبت حاجبيها بحنق . فأشرت اليها بأصبعى ان تسكت وقلت لها اني لما صرت قريبا من الخرابة رأيت عدة من الرجال وقوفا وسمعتهم يتكلمون فخفت وعدت فى الحال . فلحق القهرمانة من كلامى خوف واندهال أيضا فنهضت فى الحال وقصدت الخرابة وعندما دنت

منها رأت مثلما رأيت فعــادت تسرع الخطو راجعة وهى تضطرب . فتعجب البنات من أمرها وسألنها عن السبب . فقالت لهن رأيت بعضا من الرجال وقوفا عند الخرابة نخفت وهربت .

فوقع هذا الخبر كالصاعقة على البنات فقد اصـفرت خدودهن حتى صارت كالزعفران وصارت شفاههن بلون الرماد وتحيرن ماذا يفعلن وأيقظن بقية البنات النائمات واخبرنهن بواقعة الحال فأصابهن ماأصابنا وقدتبدل سرورهن وفرحهن بكدر وحزن لأننا لا نريد أن نعلم أحد بحالنا ولا نطيق أن يرى رجل وجوهنا ويفتضح أمرنا .

فنهضنا جميعا ونحن نسأل بعضنا البعض ما العمل وإلي أين نهرب ومن هم الواقفون عند القصر .

ولندع الآن البنات فى خوفهن واضطرابهن ولنسر إلي جهة الخرابة لنعلم من هم الرجال الذين عنده . فان الملك خرج فى تلك الليـلة يصحبه بعض وزرائه وعدة من جنوده فطافوا فى المدينة وفي آخر الليـل صادف أن وصولهم إلى باب الحديقة فرأوا عنـد بابها رجلا عجوزا نائما فأيقظه الملك وسأله عن حاله فصار يرتجف وحكي له مامر عليه وقال له اعلم يا سـيدي أنى خولي هذه الحديقة وهى ملك فلان .

فبينما كنت فى هذا اليوم جالسا عند باب الحديقة جاءنى نحو ثلاثين بنتا جميعهن صبايا فدخلن الحديقة وأقفلن الباب وتركننى فى الخارج فجعلت أضرب الباب بحدة وغضب مدة ساعة تقريبا دون فائدة ولما لم يفتحن الباب عدت يائسا وذهبت الي صاحب الحديقة فلم أره ولا وجدته فى بيته فلم أر أوفق من الرجوع إلى هنا فأتيت ونمت منتظرا الصباح .

فتعجب الملك كثيرا من كلام الخولي وأخذ يفكر قائلا ومن هؤلاء البنات يا تري ولماذا بقين فى الحديقة هذه الليلة ثم سأل الخولي ألا يوجد طريق آخر للدخول منه غير هذا الباب .

ففكر طويلا وقال كلا لا يوجد ممر للداخل إلا من محل مجرى الماء فأخذ الملك يقرع الباب بعنف فلم يجبـه أحد وأخيرا رأي من المناسب الدخول من طريق الماء فأخذ معه ثلاثة من وزرائه واثنين من جنده وترك الباقين عند الباب ولما وصل إلي المحل المذكور وجد عنده القهرمانة التى عيناها للحراسة فأرادت

أن تهرب فلم يمكنها الملك بل قبض عليها وأمر بربطها من يديها ورجليها ثم سألها أن تخبره بالخبر فقالت له اننا دخلنا هذه الحديقة لأجل الحظ والتسلي .

وحينئذ فتح الملك باب الحديقة وسلم العجوز لجنده، وعاد هو يطوف في الحديقة من جهة إلى أخرى حتى وصل قريبا من الخرابة فرأى ابن الوزير مختفيا وراء بعض الصخور .

ولما رأى ابن الوزير نفسه بين يدى الملك أغمى عليه من شدة الخوف فأمر الملك في الحال أن يقيد ويسلم للعساكر .

ثم جعلوا يتفرجون علينا من الخرابة وقد كان الأمر سيئا جداً على إذذاك لأن أبي كان بصحبة الملك الليلة فكان أبي ينظر الى ويلاحظ حركاتي من هناك . ومع أن باقي الوزراء الذين جاءوا مع الملك كانت بناتهم معنا لكن أبى كان أشدهم غيظا لأنه رآنى أنا التي نهضت من دونهن وسرت الى جهة الخرابة ثم رجعت خائفة ومن بعد ذلك سارت قهرمانتي الخاصة وعادت فأوجب ذلك قلقه وارتاب في الأمر وأدرك أنه شعر بشيء مما أنا فيه .

وبقينا هكذا في اضطرابنا نفكر فيما يجب أن نفعله . وكان أبي في حالة سيئة جدا حتى كاد فؤاده ينشق غيظا لشدة القهر مما رأى ولو كان يمكنه في تلك الساعة قتلي أنا وقهرمانتي لما تأخر لكن لا قدرة له على الاتيان بعمل لأنه مع الملك فالقول والعمل للملك .

والذى رآه الملك بعد التفكير والتبصر أن لا يزعجنا لأنه رأى أنه لا يوجد بيننا ذكر قط وليس من الحكمة مفاجأتنا ولا يمكن له أن يحبسنا فطاف الحديقة برمتها ولما لم ير إنسانا غير ابن الوزير الذى قبض عليه تركنا على حالنا وأخذ ابن الوزير والقهرمانة التى كانت تحرس طريق الماء وذهب هو والوزراء إلى قصره وقد سأله الوزراء الذين رأوا بناتهن في الحديقة أن يسمح لهم بالعودة إلى بيوتهم فأبى لأنه كان عاقلا وحكيما وأدرك أن لابد للوزراء من قتل بناتهم عند عودتهن ولذلك لم يسمح لهم بالرجوع .

أما نحن فبقينا نرتجف ونضطرب من شدة الخوف ولم نجترأ قط على الذهاب إلى جهة الخرابة فلبثنا مدة واقفين ينظر بعضنا إلى البعض وإحدانا تقول للثانية أرأيت كيف انتهي حظنا وهذه هي النتيجة . ولا سيما أنا فان روحي قد وصلت إلى حلقي لأني كنت أفكر في ابن الوزير من ناحية ومن ناحية أخرى

كنت مهتمة بمصيبتي الجديدة واطلاع والدي والملك على أمري وبقينا على مانحن عليه من الكدر والقلق حتى طلع النهار وبزغت الشمس .

وحينئذ أتينا جميعنا إلى جهة الخرابة فلم نر فيها أحداً ومشينا الى جهة الباب فرأيناه مفتوحا ثم جئنا إلى طريق الماء فلم نر القهرمانه التي كانت تحرس طريقه فزاد قلقنا وأدركنا سر المسألة وفي الحال وضعنا على رأسنا الأغطية ورجعنا إلى بيوتنا ولبثنا فيها ننتظر تصاريف الأقدار . ولما دخلت غرفتي الخاصة استدعيت قهرمانتي للمشاورة والخوف متسلط علي وعليها ونحن نقول من أولئك الذين جاءوا القصر يا ترى وماذا جرى على ذاك المسكين وإلى أين أخذوه .

أما الملك فقد قاد ابن الوزير والقهرمانة إلى قصره وحبسهما في حجرة وأقام مع وزرائه في حجرة أخرى ثانية وكان الوزراء الذين رأوا بناتهم في الحديقة تكاد مرائرهم تنشق غيظاولا سيما والدي ولو كان الأمر بيده لكان في الحال وبدون تردد ولا امهال قتلني وأعدمني الحياة .

ثم ان الملك أمر باحضار ابن الوزير فحضر بين يديه ودعا له بكل أدب واحتشام وهو يرتجف من الخوف والهلع . فسأله بغيظ وحدة . من أنت وماذا كنت تعمل هذه الليلة في الحديقة ؟

فأجابه أطال الله عمر سيدي الملك وزاد في شوكته واقباله أنا فلان ابن فلان الوزير بحضرة دولتكم قديما وقد توفي والدي وترك لي هذه الحديقة ميراثا وكان عادتي أن آتي لتفقدها في الأسبوع مرتين أو ثلاث مرات فذهبت في هذه الليلة اليها حسب عادتي فرأيت الباب مقفلا والبواب غائبا وسمعت من الداخل أصوات الغناء والطرب بالأوتار فقرعت الباب كثيرا ولكن لم يجيبني أحد ولما لم يفتح الباب زادقلقي وقلت في نفسي لابدلي من أن أقف على حقيقة ماجرى في الحديقة فهل أحد استولى عليها وهل هو من الانس أو من الجن .

فدخلت من جهة مرور الماء ورأيت البنات قد اجتمعن على الأنس والصفاء فندمت على دخولي الحديقة ولكن ما الفائدة ولم يبق في امكاني الرجوع لأني عندما قصدت العودة من المكان الذي دخلت منه وجدت المرأة العجوز جالسة تخفر هناك فأتيت الى الخرابة وأقمت فيها أنتظر النهاية الى أن شرفتم ورأيتموني .

ولما سمع الملك من ابن الوزير هذا الكلام أطرق الى الأرض مقدار ساعة

وقد تبين من كلامه الصدق ورأى أنه لا يجب عليه عقوبة لأنه صاحب الحديقة وقد رآه وحيدا منفردا ولم يره مختلطا مع البنات وانما كان يشتبه فى أمر واحد فقط وهو أنه رآنى لما أتيت نحو الخرابة وأجفلت راجعة وكذلك رأى قهرمانتى وقد هربت عندما رأتهم فى الخرابة ولذلك أرسل ابن الوزير الي حجره منفردة وأمر باحضار القهرمانة ،

ولم تكن هـــذه المسكينة تعلم شيئا مما كان فى الخرابة فسألها الملك من هم الذين فى الحديقة وماذا كنتم تعملون هناك فى هذه الليلة ؟ .

فدعت له ولدولته وقالت له لما كان العدل والأمان ناشر الواءه فى ظلكم السعيد ذهبت بنات الوزراء للأنس والسرور فى الحديقة ولم يكن بينهن ذكر قط حتى ولا خادم .

فأطرق الملك برهة يفكر أما أبى فكان يسمع الـكلام الي نهايته وحينئذ قال للملك لا بد أن ابن الوزير قد كذب علينا وأنكر الحقيقة فلا بد من وجود أمر خفى . لأننا عندما كنا فى الخرابة أرادت واحدة من البنات أن تأتى اليها ولا بد آنها كانت آتية لأجل الغلام .

فقال الملك هذا هو الواقع لكن لا يوجد برهان ظاهر يدلنا عليه هل يا ترى عرف أحد بنت من هذه الفتاة فأجابه أبى والعرق يتصبب من جبينه لشدة الحياء والخجل هى بنتي وكان وهو يتكلم والملك يلاحظ حالته واضطرابه وقد أدرك شدة قلقه فلم يدعه يتمم كلامه ونهض واقفا وقال للوزراء انتظروا هنا الى أن أعود ثم أخذ أبى وخلا به وقال له ان البنت هى بنتك أليس كذلك ؟

أجاب نعم .

قال مادام الأمر كذلك فكيف التدبير لأن الغلام لم يعترف بشىء من ذلك وليس بيدنا اثبات عليه ولو فرضنا أن الاثنين اعترفا به أيمكن افشاء هذا الأمر وايصاله الي اذان عامة الرعية وأعيانها فأطرق أبى الى الارض مفكرا وقد رأي أن الحق بيد الملك وأن الحكمة والعقل كتم هذا الأمر .

وكان يفكر أيضا فى إيجاد طريقة لتدبير هذه المسألة ليبقى شرفه محفوظا .

وحينئذ أمر الملك باحضار ابن الوزير إلى بين يديه ثانيا ولما صار أمامه سأله قائلا . أريد أن أسألك سؤالا فاذا أنت صدقتنى سعيت فى خلاصك ونفعك وإذا أنت حاولت ولم تقل الصحيح فلا طمع لك فى الخلاص . فأنت ابن وزير ومن

الممكن أن تجلس في مكان أبيك فلا يليق بالوزراء أن يقولوا الكذب . فقل الآن الصحيح . لما كنا في الخرابة جاءت نحوها واحدة من البنات ولا بد أنها كانت تبغى الاجتماع بأحد فمن هو يا ترى الذي كانت آتية اليه تكلم يا ولدى بالصدق فتنجو لأن في الصدق السلامة وفي الكذب الندامة .

وحينئذ غاص ابن الوزير متفكرا عدة دقائق وقد رأي من ملاينة الملك ووعده له أن الصدق خير من النكران ولا سيما أن ماجرى بينه وبينى كان من المصادفات الغريبة ومادام لم يتم فيها شيء يغضب الله ولا أحدا ولا سيما وأن بكارتى على حالها فهو لم يمسنى بسوء وخطر له أن هذه الحكاية لا بد أن تسر الملك وأخيرا رفع رأسه ودعا للملك بفصاحة لسانه وقال له نعم ياسيدى ان ماقلته لكم في باديء الأمر لم يكن فيه كذب قط . وأناالآن قصصت على مسامع جلالتكم جميع ماوقع على رأسي في هذه الليلة لا بد أنكم تتعجبون زيادة . وذلك أني مالبثت أن دخلت من طريق الماء حتى رأتني القهرمانة التى كانت موكلة بالحراسة فتوهمت أني لص فهجمت على بالعصا وقد ظننتها جنية أو ساحرة فخفت كثيرا ووقعت إلى الأرض فربطت العجوز يدي ورجلى وأنا أرتجف من الخوف وبعد ساعة عدت إلى نفسى فوجدت رجلي ويدى مربوطة فزاد خوفي واضطرابي فقالت لى العجوز حينئذ أظننت أيها اللص أن المكان خال هنا . فقلت لها . انى لست بلص وأقسم لك يا خالتاه أن هذه الحديقة ملكى وقد أتيت لأتفقدها . فسألتنى عن بعض أشياء في الحديقة فأخبرتها عنها فثبت لديها صدق قولي وفي الحال حلت رباطى واعتذرت إلى وقالت لي لترضيني إن بنات الوزراء قدأتين في هذه الليلة إلي هذا المكان وهن فيه على الحظ والسرور فهلم تفرج عليهن ومن أعجبتك فيهن أخبرني عنها لأرسلها اليك فتتسلى معها إلي الصباح .

ولما وصل ابن الوزير إلى هذا الحد من حكايته أدرك أبى المعنى وصار ينظر إلى الأرض في قلق وحيرة وأما ابن الوزير فمضي يقص حكايته على الملك وقال وحالما سمعت كلام القهرمانة حملني الشباب على مطاوعتى فرضيت باشارتها وذهبت وإياها إلى الخرابة وأرسلت بنظرى إلى البنات فكدت أغيب عن الوجود لما شاهدته من حسنهن وجمالهن ولست أكذب فقد أعجبتني واحدة منهن فأشرت للعجوز اليها ففي الحال ذهبت وأرسلتها إلى .

ولما سمع الملك وأبي كلام ابن الوزير ظنا أن الأمر قد قضي وأنه قد فعل بي منكرا فقطب الاثنان حاجبيهما وأخذ وجهاهما في التلون فأدرك ابن الوزير حالتهما وماتوهماه فاضطر إلى الاسراع في الكلام لنزيل خوفهما وقلقهما ويفهمهما أن الأمر لم يقض فقال نعم أرسلت العجوز البنت فجلست إلي جانبي وتحركت فينا الرغبة إلى قضاء الوطر واغتنام الفرصة فأردنا المباشرة فطرق آذاننا صوت حركة تقول (نشاط . باط) فأجفلنا وهربنا وسار كل واحد منا إلى ناحية بعيدا عن صاحبه وقد ظننا أن أحد الناس فاجأنا وعادت الفتاة فجلست بين رفيقاتها وسرت أنا فجلست تحت إحدى أشجار السرو وقلبي يخفق ويختلج . وفيما أنا على ذلك جاءتنى العجوز وسألتنى عن السبب فأخبرتها به فذهبت إلى الخرابة ورأت هناك بعض أفراخ الغربان تضرب بأجنحتها فخرج عنها هذا الصوت فعادت إلي وأخبرتنى ثم ذهبت لترسل لي الفتاة ثانيا ولكي لا أطيل الأمر أقول ان الصبية أتت فجلست معي تحت شجرة من السرو كالأول ولم يلتصق أحدنا بالآخر حتي سمعنا صوتا يقول (بام . بام) فهلعت قلوبنا من الخوف وتوهمنا أن الناس يروننا فهربنا وعادت هي الى رفيقاتها فجلست معهن ولما أتت العجوز رأت أن الصوت صوت فأر ينقر في قشر الشجرة والحاصل في المرة الثالثة جاءتني الصبية أيضا ولم نأت عملا لأننا قبل أن نبدأ دخل علينا بعض الثعالب والقرود فخفنا وهربنا وفي المرة الرابعة ذهبت الى الخرابة وسارت العجوز لترسلها الى وما لبثت أن وطئت الخرابة حتى شرفتم جلالتكم وقبضتم علي . فهذا هو القول الصدق والله شهيد .

ولما سمع الملك وأبي هذا الكلام من ابن الوزير تعجبا غاية العجب ولا سيما الملك سيما الملك فقد تأمل كثيرا فيما جرى والتفت إلى أبي وقال له حقا انها لوقائع غريبة فهذا هو الصحيح وقد قنعت الآن بأنه قال الصدق لأننا لما كنا في الخرابة جاءت البنت للمرة الرابعة ولما رأتنا في مكان ابن الوزير هربت . والآن الذي أراه موافقا في هذه المسألة أنه من حيث أن ابن الوزير هذا قد رأى بنتك وهي قد رأته ورغب كل منهما بالآخر ولكنهما لم ينالا مراما فأنا أعين ابن الوزير وزيرا ضمن وزرائي وتزف عليه بنتك على مقتضى السنة والشرع . فرضي أبي بأمر الملك وسلم الأمر اليه .

وأما ابن الوزير فانه لما سمع هذه البشارة وأنه سيتزوج بي ويتعين وزيرا ألقي بنفسه على رجلي الملك يقبلهما ودموع الفرح تتساقط من عينيه ولم يعد يعرف كيف يجب عليه أن يفصح بشكران الملك وقد قال لا أعرف بأى لسان أشكر عدلكم ورحمتكم لأنني بينما كنت أرى نفسي مستمعا العقوبة وأنتظر الجزاء على سوء فعلي عاملتموني بمنتهى الرحمة والشفقة .

فسر الملك كثيرا من كلامه وقال له هاأنا منذ الساعة قد نصبتك وزيرا ثانيا ورفعت حماك الى رتبة الوزير الأول

ولما رأى أبي نفسه بعد أن كان الوزير الثالث في الدولة ترقي الي رتبة الوزير الأول وأصبح صهره الوزير الثاني فرح فرحا لا يوصف وكذلك ابن الوزير وقبلا ذيل الملك وشكراه على ما أنعم به ودعيا له ولدولته بطول العمر والبقاء .

وحينئذ زاد الملك في كرمه وتعطفه بأن قال لهما وكذلك فان نفقات الفرح جميعه تكون من خزينتي وأصدر أمري منذ الآن أن يكون الفرح شاملا المدينة سبعة أيام وسبعة ليال والزينات قائمة فيها فلم يعد يعرف كل من أبي وابن الوزير كيف يجيبان الملك ، بل عقد الفرح ألسنتهما عن الكلام واذ ذاك خرج الملك بهما من الخلوة وأطلق سراح القهرمانة التي كانت محبوسة وأحسن الى كل من أبي وابن الوزير بخلعة سنية ولكى لا يسيء باقي الوزراء الظن ببناتهم حكي لهم قصة ابن الوزير معي وأمرهم بغض النظر عن مفاتحتهن

وبعد ذلك رجع أبي الي البيت وهو من شدة السرور والفرح على غير العادة .

ولما جاء البيت دخل احدى الغرف ودعاني اليه فخفق قلبي وضعف كثيرا وصار لوني كالزعفران وقد ظننت أن ابتسامه وبشاشته ناتجين عن الغضب الداخلي المضطرم في فؤاده . وحالما رآني أشار الي كرسي بجانبه وقال لي هلم يا بنتي هلم فاجلسي فجلست وأنا بحالة خجل وقلق شديد ثم التفت الى فقال لي أين يا بنتي قد تنزهت هذه الليلة . فأجبته وأنا مطرقة الى الأرض وقلت نعم لقد ذهبت مع بنات الوزراء الى احدي الحدائق وبقينا فيها مع بعضنا البعض . قال أعرف أنكم كنتم في الحديقة لكن لماذا هربتم من أمور لا تخيف ولا يجب الهرب منها

فلما سمعت هذا الكلام من أبى وصلت روحى الى صدري ووقعت على قدمى أبى . واذ ذاك تحركت فيه عواطف الشفقة الأبوية فرفعنى عن الأرض وقال لى لا تخافى يا بنتى فحيث أن ناموسك بقى محفوظا فلا بأس عليك لكن أخبرينى بكل ما وقع لك فى الحديقة .

ولما تبين لى أن أبى مطلع على الخبر لم يعد فى امكانى الكذب فحكيت له القصة بتمامها .

فقال لقد قلت الصدق . ثم قص على تتمة الخبر وأعلمنى كيف أنه ذهب مع الملك والوزراء الى الحديقة وشاهدنا هناك وقبض الملك على ابن الوزير والعجوز وأتي بهما الى قصره ومن استنطاق ابن الوزير عرف كل ما حدث فى ليلتي معه وكيف أن الملك عامله بالرحمة فعفا عنه وقلده منصب الوزير الثانى وجعل أبى الوزير الأول وفوق كل ذلك فقد أمر الملك بأن يعقد لى على ابن الوزير وأن تزين المدينة وتقام الافراح فيها مدة سبعة أيام ينفق عليها الملك من خزائنه الخاصة .

قالت السيدة لوالدتى ولست أستطيع أن أصور لك يا سيدتي أو أصف الفرح الذى لحق بى فى تلك الساعة عندما أخبرنى أبي بالذى تم بينه وبين الملك من أمر زواجى بابن الوزير فأنا حينئذ لم أعد قادرة على التكلم فرميت نفسى على رجلى أبى أقبلهما فأخذني اليه وقبلنى فى جبيني ووجه الى النصائح المملوءة بالحب والحكمة .

ومن ثم بناء على أمر الملك زينت المدينة سبعة أيام وسبعة ليال وعقد لى على ابن الوزير وحينئذ نال كل منا ما تمناه من الآخر بدون خوف ولا وجل والتصقنا الى بعضنا البعض متلذذين بلذات الوصال ولم يقو على تفريقنا لا (تشاط . باط) ولا (بام . بام) وكنا كلما افتكرنا بأحوالنا فى الحديقة نتعجب مما وقع علينا ونضحك على أنفسنا .

وقد مر علينا نحو خمس سنين على هذه الحالة وبعدها توفي أبى فنصب فى مكانه زوجى وبقي منصب الوزارة مدة سبع سنين ثم توفى الملك فكان ولى عهده من بعده الملك الحالى . وبعد ثلاث أو أربع سنين من توليه عزل زوجى عن وظيفته والآن لا يزال معزولا .

ولهذا رأيتني يا سيدتى أنظر الى أطراف هذه الحديقة متذكرة وأضحك فى نفسي على ما وقع لنا فيها من الأمور المضحكة .

وبعد أن حكت الملكة لقهان بنت ملك الصين صاحب الاقليم السابع هذه الحكاية لبهرام شاه قالت له :

ولما حكت تلك المرأة حكايتها لوالدتى تعجبت والدتى منها غاية العجب وقالت لها حيث ان الحكاية التي حكيتيها لى سرتنى جدا وأعجبتني فأنا أعيد لزوجك منصبه فى الوزراة .

وحالما سمعت المرأة هذه البشرى من فم والدتى كادت تطير من الفرح فألقت بنفسها على رجليها .

ولما عادت والدتى الى البيت حكت الحكاية لأبى من أولها الى آخرها فأعجبته كثيرا وفى الحال أحضر زوج المرأة وأعاده الي منصب الوزارة الأول ودام على سعادته الى الآن بعد أن بقي مدة وهو معزولا مطرودا .

والقصد من حكايتي هذه يا سيدى أن الانسان الذى يسود بخته بحكم الأقدار اذا تلقي المصائب بصبر واحتمال فان ذلك السواد يتبدل بالبياض وتشرق بدور اقباله من ظلام اليأس والقنوط ولأجل ذلك توصف الشمس بالبياض دليلا على السعادة والحقيقة أن اللون الابيض جميل جدا ولذلك فان النهار أبيض الطلعة ينظر فيه كل عمل والوجه الابيض في الانسان دلالة على تفضيله على سواه بحكمة الخالق . انظر الآن هذا اللون الابيض الصافى ما أجمله وما أشهاه وحالما كشفت على صدرها الابيض البللورى وأبرزت نهدين كحقين من لجين على صفيحة من فضة . فطار عقل بهرام شاه من رأسه وفي الحال ضمها اليه وقد فرغ صبره فلم ينتظر المساء بل التصق بها ونال منها وصلا شهيا

وعاد بهرام شاه وزوجته الى الانس والصفاء حتى أقبل المساء وحينئذ مدت مائدة مرصعة بالالماس وعليها الطعام المتنوع فأخذا يتناولان الطعام ولما فرغا من الاكل عادا الي تقاطر كؤوس الانس والصفاء الى أن دنا وقت المنام فانسحبا الى غرفة النوم وهناك نسي بهرام شاه أباه وأمه والتصق بامرأته . . . وما من شيء عجيب في ذلك . . . فلم يقع بينهما الا ما هو معلوم لكل انسان فقد غرقا في بحر اللذات الى أن ولى شباب الليل وغاب وأدركه الضياء فأشعل فيه نيران المشيب وأزيح عن الليل الستار وأقبل النهار الفضاح

وعند الصباح نهضت لقمان قبل بهرام شاه ورفعت الغطاء عن وجهه وأخذت تتأمل فى جماله وحسن طالعه . وكان عمر بهرام إذ ذاك الخامسة والعشرين أى فى أعز الشبوبية وكان وجهه جميلا للغاية وقد حصل من نعمة الله على الملك الواسع والشجاعة النادرة المثال والعقل والذكاء المفرطين والجمال الغير موجود فى سواه فلما رأت لقمان أنوار محيا زوجها يتلألأ بالبهاء والكمال لم تقدر أن تضبط نفسها فارتمت عليه وجعلت تقبله على غير فكر فاستيقظ بهرام من نومه وشاهد بدرا بدور فوقه فمال إلى الاستصباح كجارى عادته . فضم لقمان اليه وطوقها بزنديه وقضى منها وطرا وبعد ساعة نهض من مكانه فاغتسل ولبس ثيابه وودع زوجته وركب بموكبه محفوفا بالعظمة والاجلال وسار رأسا إلى قصر الأحكام فدخله بعظمة فارسية حتى جاء التخت وجلس عليه .

ولما رآه الوزراء ورجال الحاشية وقفوا جميعا بين يديه لتأدية فروض الدعاء وبعد أن تقدم كل بدوره وأدي الواجب عليه وعاد فوقف مكانه أمرهم بهرام بالجلوس موجها اليهم عنايته والتفاته .

ثم انهم كرروا الدعاء بطول العمر له ولدولته وجلسوا فى أماكنهم وأطرقوا برؤوسهم إلى الأرض منتظرين أمره .

وفى تلك الساعة دخل على بهرام شاه رئيس حجابه فقبل الأرض بين يديه ودعا له بدوام العظمة والاجلال وأخبره أن رسولا جاء ويستأذن بالدخول عليه فسأله عن الرسول ومن أى بلد هو وماهى الرسالة فأجاب الحاجب لا أعلم وهو لم يرض أن يخبرنى بحاله فتعجب بهرام شاه وأمر باحضار الرسول فأحضر اليه على الاعزاز والاكرام فأشار اليه أن يجلس في مكان معهود .

ولما رأى الرسول عظمة ومهابة بهرام شاه وقع الخوف والارهاب فى قلبه فتقدم من العرش فقبله وقبل الارض ودعا له بأفصح كلام وأطلق لسان ثم أخرج من جيبه رسالة دفعها اليه وانسحب إلى الوراء وجلس فى المكان الذى أراه إياه بهرام شاه .

أما بهرام شاه فتناول الرساله وفتحها وقرأها وبعد أن فهم مضمونها أعطاها لرئيس وزرائه وأمره يقرأها بصوت عال فأخذها الوزير فى الحال ووقف فى مكانه وتلاها بصوت جهورى سمعه جميع الحضور .

مضمون الرسالة

أطال الله عمر ولدنا بهرام شاه وأحاط دولته باليمن والاقبال وخصه بدوام السعادة وتحقيق الامانى والآمال كما خصه بالشجاعة والاقدام وعلو المنزلة على كل الانام ووسع ملكه الى أطراف الدنيا حتي ملك السبعة أقاليم بالسيف القويم وقبض بكفه علي السبعة بدور . اللاتى لم يخلق مثلهن منذ سالف الدهور دام عرشك بالسعد محفوظا وملكك بالعناية الالهية ملحوظا . آمين .

وبعد فان جل رغبتنا النظر الى بديع محياك الباهر الجمال وقد اتفقنا بواسطة الرسل نحن آباء زوجاتك على زيارة بلادك والتشرف بناديك وعينا موضعا لاجتماعنا فى الجهة الفلانية وأرسلنا اليك هذه الرسالة منتظرين صدور أمرك العالى حفظك الله وأدام بقاك .

الامضاء	الامضاء	الامضاء
حاكم الصين	قيصر الروم	ملك الهند
الامضاء	الامضاء	الامضاء
حاكم الغرب	حاكم خوارزم	حاكم صقلاب

ولما قرأت الرسالة على رجال المعية الملكية نهضوا جميعا فقبلوا ذيل العرش ودعوا بدوام العز واتساع الملك وكثرة البنين ثم عادوا فجلسوا فى أماكنهم .

أما بهرام شاه فقد شكر الله فى قلبه علي ما وصل اليه من العظمة حتي زاره أعظم ملوك العالم بأسره فى وقت واحد . وفى الحال أمر بتهيئة حفلة الاستقبال .

وفى صباح اليوم التالى اجتمع عند باب قصر الحكومة جميع الوزراء والاعيان وأمراء الدولة ومأمورها الاوائل بالملابس المذهبة والخيول المطهمة المسرجة بسروج مرصعة بالحجارة الكريمة وكذلك بهرام شاه جاء مدججا بالسلاح من رأسه الي قدمه راكبا فوق جواد لا نظير له على وجه البسيطة لابسا ثوبا ملوكيا مخصوصا بملوك الفرس تساوى قيمة خزائن الدول وفوق رأسه التاج المشهور الجامع لاغلى وأثمن حجر كريم فى العالم . وحينئذ خرج بهرام لاستقبال آباء زوجاته محاطا بذاك الموكب العظيم .

وحين علم ملوك الأقاليم أن بهرام شاه خرج للقائهم ركبوا خيولهم بالعظمة والاجلال وتقدموا لجهة المدينة أما أهالى المدينة فخرجوا للفرجة من كبيرهم إلى صغيرهم . وبالطبع أن مثل هذه الفرجة لا تترك لأن اجتماع سبعة ملوك أمر عظيم مبهج .

ولما ظهر بهرام شاه للملوك نزلوا جميعهم عن خيولهم وتقدموا لاستقباله فقرب منهم ولم ينزل عن جواده ويفعل كما فعلوا بل بقي راكبا معتزا بشجاعته وعظمته وقد سلم عليهم بشوكة وكبرياء فتقدموا منه وقبلوا ركابه وهذا الذى ناله بهرام شرف جسيم ومركز سامى عظيم ونعمة جليلة قدرها بهرام بالشكر لله وتمجيده .

وبعد أن رحب بهم غاية الترحيب وتبادلت بينهم المجاملات وعبارات الثناء والمدح سألهم الركوب فوق خيولهم ففعلوها وعاد بهرام شاه إلى جهة فى مقدمتهم وكان المنظر مبهجا للغاية ومستحقا للفرجة فبهرام الأسد الكاسر كان مدججا بالسلاح لحد أسنانه وعليه وعلى رأسه من الجواهر مالا يثمن بثمن وبسير خلفه ستة ملوك بالملابس الذهبية وعلى رؤوسهم التيجان المرصعة وهم مع صغر سنه (لأنه كان أوانئذ فى الخامسة والعشرين) ما كانوا يتجرأون على مخاطبته بل كانوا مطرقين برؤوسهم إلى الأرض بينما كان هو يخاطبهم ملتفتا إلى اليمين والى اليسار بعظمة وأبهة نادرتى المثال .

مما يدل على ذلك ما هو مثبوت فى سجلات ملوك الفرس وفى التواريخ العديدة من أنه لم يأت إلى الدنيا قط سلطان عظيم مثل (بهرام جور) وعلى مقتضى قول سجل الملوك كان يقال لبهرام رستم شاه ومعنى رستم فى لغة الفرس (بطل صنديد) لأنه كان شجاعا وباسلا قويا مع عقل وذكاء وحكمة مفرطة .

ومع ذلك فقد مال الى الأنس والصفاء والشغف بذوات القدود أكثر م الملوك مع ما أوتيه من القوة والبسالة النادرة وما أتيح له من العظمة والكبرياء والتغلب على ملوك العالم السبعة ومصاهرتهم وزيادة عن ذلك فما هو القدر والحظ السعيد يتيح له التقدم على ستة ملوك من أكبر ملوك العالم مترفعا عليهم ولكن بالنظر لسنه فانه رضى لنفسه الميل للكبر والخيلاء ولكنه كان محافظا بأبهته على

العوائد الفارسية ولملك لم يحصر الملوك على مساواته ومحادثته والنظر في وجهه ولا تجرأ أحد منهم على أن يسأله سؤالا أو يدنو منه وعلى هذا الوجه جاءوا المدينة ودخلوا القصر وقد أسرع السلاطين بالنزول عن خيولهم وازدحموا أمام بهرام شاه فلم يمنعهم ولا اعتذر اليهم ولا قال لهم أستغفر الله بل بقي على العادة محافظا على الصولة والمهابة . ولكنه كان يقول في قلبه . يا الهي أنت تعلم سبب حالتي هذه انها ليست من قبل الغرور . فاعف عني يا ربي لأني أصغر عبادك لكن لما كنت قد قلدتني بارادتك هذه المملكة الواسعة فأصبح من اللازم علي أن أقوم برسم السلطنة فلا تدع الخوف مني والاندهاش والكبرياء تؤثر على نفسي .

وبقي بهرام شاه سائرا على ما تقدم حتى وصل الى عرشه فنزل عن جواده وصعد الى القصر ومن حوله ووراءه الملوك والاعيان ثم دخل غرفة الردهة العظمى حيث نصب كرسي السلطنة المرصع بكل حجر كريم فجلس عليها وسيفه فوق ركبته وجيء له بالشراب فشرب وكان الملوك الستة لا يزالون واقفين عند الباب ينتظرون الامر بالدخول وهم يتحادثون مع بعضهم البعض متعجبين من شوكة بهرام واجلاله ومن سعة المدينة وعمرانها وكانوا يفتخرون بمصاهرتهم له .

واذ ذاك صدر أمر بهرام فدخل في الاول الملك قيصر ثم ملك الصين ومن بعده سلطان الهند وتبعه حاكم خوارزم ومن خلفه ملك صقلاب فملك الغرب فنهض لهم بهرام على قدميه ونزل عن كرسيه وأخذ يعانق الواحد بعد الآخر مسلما عليه مرحبا به .

ثم جلس على كرسي صغير مجوهر وأذن للملوك بالجلوس من حواليه فجلسوا على الكراسي المجوهرة التي أشار اليهم بالجلوس عليها وهم لا يفترون عن التبجيل والتعظيم والدعاء وعيونهم مطرقة الى الارض وكان كل من ملك صقلاب وخوارزم والغرب لم ير بهرام بعد ولهذا كانوا مأخوذين بجماله وسلطانه وعظم هيبته وكذلك ملك الصين فانه وان كان جاء الى بلاد العجم واستولى عليها كما تقدم معنا في أول القصد لكنه لم يره ولا وقف أمامه وأما ملك الهند وقيصر الروم فقد سبق لهما أن نظرا الى بهرام شاه وعرفاه .

ولما أن استقر كل انسان في مكانه كان بهرام شاه يفتكر في نفسه قائلا ها ان هيبتي ورفعة سلطاني قد وقعتا في قلوب الملوك فمن اللازم جبر خاطرهم ورعايتهم

فدار بوجهه اليهم وخاطبهم قائلا بكل أنس ورقة . انى أشكر الله الذى أرانى إياكم فى بلادى وشاهدتك بخير وعافية كما أشكره على ادخال بلادكم تحت سلطتي وما ذلك إلا منة منه تعالى ولهذا وجب على القيام بكل ما يرضيه . فعلى أن أقي المظلوم ولا أمنع إحساني عن الفقراء وأن أهتم باصلاح البلاد وأن أسير فى هذا اليوم على الطريق المستقيم لأن فى يومى هذا خيرات الغد . واحترامي فى هذا اليوم يغنينى عن الخجل أمام الله سبحانه وتعالي . ومن المؤكد أنى أعاقب كل مجرم وأحسن إلى كل صادق أمين . وأقيم البناء الجيد . وأستأصل الشرس الفاسد . ولذلك أقطع أوهام المتوهمين باجلاسي علي هذا العرش . وأقنع القائمين حولي حولى أنى ما وجدت على السلطنة باختيارى بل ان هذه اللياقة والقوة والعظمة أعطيت لي جميعها من الله حتي أميز بين الحق والباطل . ومع ذلك فشاهدى أنى لا أقتل شخصا بالحيلة والدسيسة مهما استعملت قوتى وسيفي وعدالتى .

ولما سمع الملوك السبعة هذا الكلام الذى تكلم به بهرام تحيروا جميعهم من ذكائه وكياسته وفهمه وفراسته ورفعوا أيديهم لله ودعوا له بالبقاء وطول العمر ولدولته بالتقدم والارتقاء وأظهروا له سرورهم وامتنانهم .

وحينئذ أشار بهرام باحضار موائد الطعام فمدت سفرة فاخرة عليها أشهى الطعام فى أوان مرصعة ثمينة . فنهض بهرام شاه والحكام الستة وجلسوا حول المائدة ودارت بينهم الاحاديث وهم يشتغلون بتناول الطعام . وكانت محبة بهرام تنمو وتعظم فى قلوبهم لاعجابهم بشجاعته وجماله وسمو مداركه ورفعته عن سواه من بنى البشر وهذا مع صغر سنه .

وبعد تناولهم الطعام رفعت السفرة وغسلوا أيديهم ثم بدأوا فى مبادلة الأنس والصفاء وكانوا فى كل كلمة وكل حركة تبدو من بهرام شاه يرون فيها من الحكمة والغرابة ما يبهر عقولهم ويثير حيرتهم واعجابهم به .

ثم انهم استأذنوا بهرام شاه لمشاهدة بناتهم فأذن لهم وأرسل كل واحد إلى قصر ابنته وسار هو إلى القصر المعمول بلون خشب الصندل قصر درستى بنت كيكاوس وبات معها على المسرة والهناء .

وأما الملوك فقد التقي كل واحد بابنته وسلم عليها وفرح بها ورآها كأنها موجودة فى جنة النعيم ولقى عندها من التجملات والترحيب والشوكة والابهة

مالا يفي بوصفه قلم ولا توفيه عبارة . وكانوا مسرورين جدا فرحين بنجاة بناتهم وراحتهن .

ومن بعد ذلك عادوا إلى مجلس بهرام ثانية وعلى هذه الحالة أقام الملوك مدة شهرين عند بهرام شاه على غاية من الاكرام والاعتبار حتى كادوا ينسوا بلادهم وممالكهم وفضلوا البقاء فى ذلك المكان لو أمكن لهم وأخيرا سألوه أن يسمح لهم بالرجوع إلى أوطانهم .

ففي الحال أحضر الخلع الثمينة فأفرغها عليهم ووهبهم خراج بلادهم لمدة ثلاث سنين وأوصاهم بملازمة العدل واتباع خطة الانصاف والسير على الطريقة التي ترضى الله وتسر الرعية . وقد أمر سلطان الهند أن يرسل اليه نحو عشرة آلاف عازف وعازفة بالموسيقى من بلاده من رجال ونساء .

وبعد أن ودع الملوك عادوا الى بلادهم والفرج يقيمهم ويقعدهم ولما وصلوا الى أوطانهم اهتم كل واحد منهم بادارة شئون بلاده وتوخوا أن يعاملوا رعاياهم بالعدل والرحمة والانصاف على حسب ما تعلموه من بهرام شاه .

أما ملك الهند فانه بناء على أمر بهرام شاه انتخب من بلاده نحو عشرة آلاف نفس ما بين ذكر وأنثى كلهم ماهر بالغناء وضرب الاوتار فأرسلهم الى ايران فسر بهم بهرام شاه وفرقهم على الاهالى وأمر بانتشار أعلام الصفاء على كل بيت من بيوت المدينة وأمر أن توزع عليهم مرتباتهم من خزينة الدولة .

أما هو فانه بقي كعادته الاولى فى كل يوم يذهب الى قصر ويبيت عند زوجة من زوجاته ولما رأى أن انهماكه فى الصفاء واللذات يشغله عن مداومة النظر فى أحوال الرعية أقام وكيلا عنه وزيره راست روشن وفوض اليه ادارة مصالح الدولة وانغمس كعادة ملوك الفرس باللذات والصفاء والالتصاق بالحريم ليلا ونهارا والتنعم بكل ما يصل اليه من أسباب التنعم . ولم يعجز ولا فتر ولا كل ولا مل . ومع هذا كله فان نساءه كن عواقر ماعدا درسق فقد ولدت له غلاما ذكرا كانت ولادته سببا فى زيادة حظوظه ومسراته وقد سماه اردشير . ولندع الآن بهرام شاه على صفائه وأنسه ولنتكلم قليلا عن أحوال الحكومة وماجرى عليها بعد أن فوض بهرام شاه أمور ادارتها لوزيره أكد العزم على أن يصرف باقي عمره فى اللذات والهناء والمسرات .

كان الوزير راست روشن الذى قبض على أزمة الحكومة الايرانية شريرا خائنا ظالما عاتيا . فلما رأى نفسه مستقلا بشئون الدولة ولا رقيب عليه جنح إلى الظلم والتعدى ولم يمل قلبه إلى الرحمة أو الشفقة . فلم يمر شهران على وكالته حتى هدم بناء العدل من أساسه . ونشر راية الظلم في كل جهة . وتبدلت الأفراح ودواعى الأنس التى كانت قائمة فى كل منزل إلى أحزان وماتم . وكان يقول ان الشاه قد عهد إلى بتدبير الرعية وأطلق لى الأمر فالذي أفعله باسمه وبأمره أما الوزراء الآخرون فانهم عندما أرادوا ارجاعه للصواب عاملهم بالقسوة والاستبداد وقال لهم . أنتم لا تدرون شيئا ولا تفهمون أمراً . إن الوكالة أمر عظيم . ان الخير للأهالى يزيدهم عتواً وقلة حياء . انهم لم يعرفوا قيمة عدالة السلطان فنبذوها جانبا مع أن من العدالة التهديد والتخويف ويلزم للجريمة ايقاع الجزاء والشدة فيه فاذا كنت لا أقسو عليهم ولا أجازيهم يضيع الملك ويخرب الشاه فلنضعفهم ولنذلهم كل يوم بالتكاليف والأوامر الجديدة ولنثقل كواهلهم بالضرائب الفادحة المبهظة فانهم لدينا كالحيوانات نستخدم الكبير فى حمل الأثقال والمتوسط فى حلب الألبان والصغير نذبحه وبذلك تصبح الرعية طائعة كلها نسوقها سوق الأغنام ومن الواجب أن لا نبقي بأيدى الرعية شيئا وأن لا نسمع الى ندائهم لأن رعايانا همج متوحشون . فاذا لم يكن بأيديهم سيف لا يعدون رجالا . واذا لم يكونوا مقتدرين لا يضروننا بشىء ولا يخطفون أرواحنا واذا كان ملكنا نائما فهو لا يستيقظ من نومه واذا كان لا سياسة عند الملك تذهب حكومته من يده فالملك المتصف بالسياسة هو الذى دائما يخيف أعداءه فالانسان عليه مع السياسة أن يجرى نفوذه وسلطته . ومن اللازم أن لا يغش من أحد ولا يثق بصداقة أحد ولا يركن فى حكم رعيته الى أحد . وليتأكد الانسان أن صديقه هو سيفه والآن فقد عهد الى بهرام شاه بالوكالة على الدولة لأنه أمين منى ولو لم يرى فى الحكمة والدراية ما يحب لما خولني الاستقلال التام . ومادام سيفه وقلمى متحدين فلمن أدعه يندم . فاذا تكلمت أنا قبل هو حتى أنى اذا قلت اقبضوا عليه سمع أمري واذا قلت دعوه نفذت كلمتى .

ومن بعد أن فرغ الوزير من كلامه قال له أحد الوزراء استعمل عقلك وحكمتك فاذا كان قصدك أن تفعل كما تقول فكل عمل تعمله تندم عليه فيما بعد لأنك وأنت فى حال وكالتك ترقبك عين ملكنا بهرام . وما انتهى هذا الوزير

من كلامه حتي امتلأ الوكيل من الغضب فزجره وصاح به قائلا سد فاك أيها الجاهل الخائن لقد أضعت عقلك ولولم تفقد الادراك لما تكلمت بمثل هذا الكلام وفي الحال أمر بالقبض على الوزير المشار اليه . ومن بعد أن ألقاه في السجن بغير ذنب ولا جريمة أمر أن تصادر أملاكه وموجوداته فنهبها وتملكها جميعها وفي اليوم الثاني بدأ في عزل باقي الوزراء من مناصبهم واحدا بعد واحد واستولي على أملاكهم ومن ثم بدأ يعزل سائر رجال الدولة فكان يحبس بعضهم ويبقى البعض الآخر وكان يأمر أيضا بقتل من ينصحه أو يعترض عليه ثم مد يده الى خزينة الدولة فكان يصرف كل ما تصل اليه يده منها واستبد في حكم الرعية وفرط في أحوال المملكة ورجالها وصار صاحب الكلمة فاذا قال احرقوا هذا يحرقونه وافعلوا كذا لم يتأخروا عن أمره ومع أن السرور كان شاملا كل بيت انعكست الحال وصار لا يسمع من كل بيت بل من كل لوح الا أنات الرجال وبكاء النساء . وقد جمع هذا الوكيل الشرير حوله كل خبيث ومحتال . وكان كلما سمع باسم رجل متيسر غني من الأهالي حبسه وصادر أمواله وأملاكه أو قتله أو نفاه الى بلاد بعيدة واستولى على ممتلكاته . وقد استبد وظلم الى آخر درجة من الظلم والاستبداد وفعل في الرعية أفعالا لا يفعلها أكلة اللحوم البشرية .

ولما رأى الاهالي هذه الاحوال تحيروا ولم يدروا ماذا يفعلون فكان بعضهم يدعوا على بهرام شاه وبعضهم يتأوه ويقول أين بهرام شاه يرى حالتنا وبؤسنا وضياع الرعية وما حصل لها من الظلم والاستبداد وما كانوا يرون لهم فرجا الا في الانين والبكاء وكما تقدم كان الوكيل قد نظف دوائر الحكومة من الوزراء الاوائل والمأمورين المعينين من قبل بهرام شاه لثقته بهم وأبدلهم برجال أشرار ولصوص على شاكلته فأخذوا ينهبون ما تصل اليه أيديهم من ممتلكات الاهالي ويبتزون أموالهم ويظلمونهم ظلما فاحشا وفي عدة سنين لم يبق في كل ايران غني مستور بل أصبح الكل فقراء باكين شاكين يكادون لا يحصلون قوت يومهم ومن المقرر أن الظلم والاستبداد لا يحتاج الي مدة لخراب البلاد بل يكفيه خمسة عشر يوما كل هذا والوزير الوكيل يري أن ما يفعله عين العدل والصواب وعين الواجب أن يعمل في الرعية ليقدر أن يضبط زمامها . ومن المقرر أن تأثيرات الظلم في البلاد تقود الي الخراب بسرعة ولا يمكن العدل أن يعيدها الى حالها إلا

بعد مدة طويلة . يعنى أن عمار البلاد ونجاح الذين يحكمونها بالعدل وسهر الحكام واجتهادهم فى مدة خمسين سنة يهدمها الظلم ويبيدها فى أقل من خمسين وربما فى خمسين ساعة والعكس مستحيل في ذلك .

ولهذا كان الأهالى والجند راضين الظلم صابرين على مضض متحيرين لا يقدر أن يشكو بعضهم حزنه ولا همه للآخر خوفا من أن تنقل الجواسيس شكاويهم إلى الحكام فيعدمونهم فى الحال ولم يكن لهم من سبيل إلى الوصول إلى بهرام شاه ملكهم الذى يجهل كل هذه الأمور وهو غير عالم بها بل كل همه والتفاته الى ملذاته وملاهيه والاختفاء عن عيون الناس بين جواريه وحرمه كعادة ملوك الفرس من قديم الزمان .

وفى النهاية زاد الظلم فى الاهالي كثيرا وباتوا غير قادرين على الاحتمال فاختاروا الموت فى الفلوات على البقاء على هذه الحال لا مال بأيديهم ولاهم قادرون على الصناعة أو الفلاحة فكل أملاكهم وأموالهم ومجوهراتهم صارت بيد الوزير ورفاقه ورجال الدولة الحاليين وهم مع كل ذلك يلاحقونهم بفرض الضرائب ويلزمونهم بالرسوم الاميرية الظالمة ولهذا لم يروا بدا من المهاجرة فهاجر كل منهم الى ناحية وأكثرهم فضل سكنى البرارى والصحارى أوهاجر الى البلاد العربية تخلصا من ظلم العمال والحكام وطمعا فى الحصول على القوت لصيانة أرواحهم وأرواح أطفالهم ونسائهم بعد أن كادوا يخسرونها في زمن هذا الوزير الظالم العاتى القاسي فقل عدد السكان كثيرا وعم البلاد الخراب .

ولم يكف الوزير المذكور كل هذا بل انه سعى فى ارتكاب أعظم خيانة فانه كتب كتابا الى سلطان الصين وأرسله اليه سرا يقول له فيه ان دولة بهرام شاه قد انتهت لانه منهمك ليلا ونهارا بملذاته ومعاشرته لنسائه وقد ترك الحكومة وشأنها حتي فرغت الخزينة وهاجر الاهالى وفر الجند وهذه فرصة ذهبية لحصولك على عرش ايران بدون تعب ولا عناء فاغتنم هذه الفرصة فانك بنفر قليل تقدر أن تستولى على مملكته وأنا أعدك وعدا صادقا أنك حال وصولك الى هنا أسلمك العرش لانه في يدى وأكتفي بأن أبقي عليه تحت أمرك وفى حوزتك .

فحرك هذا الجواب طمع سلطان الصين وعزم أن يغتنم هذه الفرصة ليفتح

مملكة الفرس فأسرع فجمع جيشا عرمرما وسار قاصدا به بلاد العجم ولكنه كان يسير بين الفرح والخوف خائفا من بهرام شاه لأنه يعلم عظم صولته وشدة بسالته ويفرح لانه مزمع أن يستولى على مملكة عظيمة صاحبها فى غفلة باتكاله بذلك على الوزراء الخونة .

وما خرج جيش الصين من الصين حتي سارت أخباره فى كل الجهات وأرسلت الرسل السرية من قبل وكيل بهرام في مملكة الصين الى بهرام شاه يخبره بخبر مسير الجيوش لتدويخ بلاده والاستيلاء عليها وينصح له أن يخرج من بين الحريم وينظر فى أمر الرعية ويجازى الخائن على خيانته وكان هذا الوكيل محبا لبهرام شاه وكارها لوقوع النزاع بين الحكومتين .

فلما وصل الخبر بهرام انتبه الى نفسه وخرج كالليث من عرينه وجاء الى دار الحكومة فوجدها قد انقلبت انقلابا عظيما كانت المدينة منذ خمسة وعشرين سنة عامرة آنسة زاهرة فوجدها خرابا ولم أحدا من الرجال الاوائل الذين كان نصبهم للحكم والاحكام ولم ير فى الخزينة دينارا واحدا ولم ير جنديا واحدا قط من جنوده الابطال فطار عقله من رأسه وتفقد وزراءه الامناء فلم ير لاحد منهم أثرا فسأل عن السبب فلم يهده أحد الى الحقيقة ولا قدر أحد من الاهالى فى بادىء الامر أن يتقدم اليه بشكوي خوفا من الوزير الوكيل العام ولا تجرأ أحد أن يخبره بما كان من عمل ذاك الظالم وقد أجابه الوزير أنه فى السنة الفلانية أجدبت الارض ووقع القحط فى كل أرض فارس والتاجر الفلانى أفلس فهرب والوزير الفلانى مات والآخر سافر وصار يعدد أمورا واعتذارات ليس لها حقيقة وما أنزل الله بها من سلطان حتى حار بهرام شاه فى أمره وعاد الي قصره حزينا كئيبا ولم يأخذه نوم كل تلك الليلة .

وفى الصباح ركب جواده وخرج وحده فى ضواحي المدينة وهو مرتبك الافكار لا يعرف كيف يفعل وقد ضاق عليه رحيب الفضاء وأخذ يطوف من مكان الى مكان آخر وكان من النادر أن يرى أحدا من الناس يسير فى تلك النواحي التى كانت تزدحم بأقدام الآتين الى المدينة والخارجين منها ولما تضاحى النهار اشتد عليه العطش فلم يهتد الى ماء ليشرب . وفيما هو على هذه الحالة رأى دخانا عن بعد فمال الى جهته طمعا بالماء ولما وصل وجد هناك راعى غنم عند

خيمة صغيرة وأمام الخيمة شجرة وفى أسفل الشجرة رأى كلبا معلقا فتعجب بهرام شاه من ذلك ووقف فتحيرا .

ولما رأى الراعي بهرام شاه وعليه سمة العظمة والاجلال نهض فى الحال وأمسك بالجواد لينزله عنه وقد ظنه من رجال وكيل المملكة فارتمي على قدميه وقال له الرحمة ياسيدي أشفق على شيخوختي لم يبق عندى إلا هذه الأغنام .

فزادت حيرة بهرام شاه وقال له ماذا تقول يا أبى ماذا أعمل بغنمك قد أتيتك ضيفا أطلب اليك شربة ماء .

فقام الراعى وأحضر للملك إناء مملوءا من الماء فتناول بهرام شاه الاناء وقال للشيخ إنى أتعجب يا أبي من أمر واحد وأريد أن أسألك عنه فاذا كنت لاتخبرنى بحقيقته لاأشرب لك ماء بل أرجع من حيث أتيت . فقال له أخبرنى يابنى مم تتعجب فاني أصدقك الجواب .

فسأله بهرام أريد أن أعرف لماذا شنقت هذا الكلب فى الشجرة هل أتى ذنبا استحق الاعدام بسببه وحينئذ جلس الراعى أمام بهرام شاه وقال له :

اعلم ياولدى أن ذنب هذا الكلب عظيم جدا . كان فى الأول أمينا وحريصا وطائعا يحمى الغنم من الذئب فلا يفقد منها واحدا وكثيرا ما كنت أعهد اليه بالحراسة عليها وأنام مطمئنا مستريح البال من جهتها فلا يدع الذئاب تصل اليها ولكن منذ نحو شهر تقريبا افتقدت غنمى فوجدتها ناقصة سبعا فتعجبت لذلك غاية العجب ثم عددتها بعد ذلك عدة مرات فرأيتها ناقصة هذا العدد وبعد أسبوع عددتها أيضا فوجدتها ناقصــة بزيادة فزادت حيرتى وقلت فى نفسى لابد من وقوع أمر غريب فأخذت من ذلك اليوم أسهر وأراقب وأتحرى الحالة بنفسى لأقف على سبب ضياع غنمي الى أن كان اليوم الماضى ذهبت الى المرعى وأمامى الغنم حتى وصلنا من الـكلأ فبدأت ترعاه وتظاهرت كأني غارق بالنوم وإذا بى سمعت حركة الكلب وقد سار من مكانه إلى جهة ذئب أقبل من بعيــد ولما ألتقيا التحما ببعضهما وكان كلبي ذكرا وتلك أنثى .

فبعد ان فرغ من عمله جاءت انثى الذئب من الغنم فاختارت اسمنها وخفت به والكلب متغاضي عنها كأنها كانت تسمح له بحق السكوت فلم احتمل هذه الخيانة من كلب أقمته حارسا على غنمي فباعها طمعا بقضاء شهوته فقبضت فى الحال على الكلب وجازيته بالشنق وهذا جزاء من لا يسهر على رعيته وبقيت اتتبع انثى الذئب حتي قتلتها ايضا .

فلما سمع بهرام كلام الراعى انتبه إلى نفسه كأنه هب من رقاد عميق وقال في نفسه ان كلام الراعى أكبر نصيحة لي ومنه تعلمت كيف يجب أن أنصرف وفى تلك الحال شرب الماء حتى أروى ظمأه وعاد إلى المدينة والغضب يغيمه ويقعده وبات تلك الليلة يتقلب على الجمر إلى أن كان الصباح نهض من نومه فلبس ثوبا أحمر وخرج إلى دار الأحكام وكان فى ذاك الزمان إذا لبس الملك ثوبا أحمر استدل الشعب على غضبه وانتقامه .

ولما جلس علي سريره أمر أن يدعى إليه جميع الوكلاء والوزراء والقواد وأشاع أن فى عزمه المباحثة والتدبير فى شأن طمع ملك الصين فى الاستيلاء على بلاد ايران فحضر اليه جميع عظماء المملكة وهم في خوف عظيم فجلس كل في مكانه ثم بعث أيضا فأحضر الوجهاء والوكلاء حتى غص المكان بالخاصة والعامة وكلهم منتظر الملك وحينئذ التفت بهرام شاه أمام تلك الجماهير إلى وكيله الذى كان أمينا علي بلاده فرآه يرتجف وقد اصفر وجهه حتي صار كهيئة الموتى فقال له والغضب يلعب به أى وكيلى الصادق الأمين قد أتيت الآن أناقشك الحساب فاخبرنى أين هو ملكي وعظمة دولتي أين جنود مملكتى أين أموال وجواهر خزينتى بل أين رعيتي التي سلمتها إليك لتسوسها بالعدل والانصاف فاذا كنت لا ترعى الجميل الذي عاملتك به فهل لا تخاف الله القادر المنتقم فاذا كنت أنا غفلت عن حقوق العباد فهل أن الله الذى خلقهم لا يسألك عنهم أجبنى فى الحال فوقع الرعب فى قلب الوكيل وانعقد لسانه عن الجواب لشدة خوفه واضطرابه فبقي صامتا كالصخرة الصماء .

وحينئذ وقف بهرام شاه والسيف في يده فلطمه به علي وجهه وأمر أن يقبض عليه وعلى رفاقه الوزراء الذين أطاعوه علي ظلمه وأن يقيدوهم بالحديد ويلقوهم في الحبس .

ثم أمر فى الحال أن يطوف المنادون فى المدينة ليبشروا الشعب بأن ملكهم قد عاد من غفلته ورجع الى عرشه لصيانة حقوقهم فمن كان منهم له حق على الوكيل ورفاقه أو علي أحد من رجال الحكومة فليحضر الى أمام بهرام شاه ويعرض أمره لديه دون خوف ولا وجل وهو مزمع أن يعيد لكل ذى حق حقه ويقاص الظالمين على ظلمهم .

فوقعت هذه البشرى على الأهالي وقوعا حسنا وشعروا بالفرح العظيم وأملوا

في اصلاح أحوالهم فهجموا على دار الحكومة أفواجا أفواجا وقد ارتفعت أصواتهم بالدعاء لبهرام شاه ولدولته بالعز والاقبال وما منهم الا من أبدي له شكواه وشرح له مظلمته لم يكن أحد خلا من ظلم الوزير من الكبير الى الصغير وبهرام يسمع شكاويهم ويطيب خواطرهم وقد ذهب بنفسه الي بيت الوكيل فوجده مشحونا بالجواهر والذهب وأخرجها كلها وصار يفرقها على الناس ويوصل لكل انسان حقه من مال أو عقار فسر الاهالى سرورا سرورا لا مزيد عليه وانتشرت هذه البشرى فى كل أنحاء المملكة فأخذ الذين هاجروا يعودون الى البلاد حتى انهم فى ظرف شهر عاد الاهالى الى أعمالهم والجند الى تولى أعمالهم فانتظمت أحوال الدولة وأقيم الحكماء والعقلاء لتدبير شئون الرعية .

ثم ان بهرام شاه ذهب بنفسه الى السجون فوجدها مشحونة بالمسجونين وكلهم يتظلم ويستغيث فاستدعى سبعة أنفار من السجن وأوقفهم بين يديه وسألهم كل منهم أن يعرض عليه كل منهم سبب سجنه .

وقف (المظلوم الاول) بين يدى بهرام شاه وبعد أن دعا له ولدولته بالبقاء قال اعلم ياسيدى أني كنت اعظم تجار المدينة اعتبارا ففي ذات يوم عزمت أن ارسل اخى بتجارة الى احدى البلاد الخارجية فأعددت له البضائع اللازمة وقبل ان يخرج اتصل الخبر بالوكيل فاستدعى اخي وقال له انت ولا شك جاسوس ومرادك ان تذهب الى اعداء المملكة وتطلعهم على احوالها . وبدون ان يسمع جوابه او يصغى اليه امر بقتله ثم احضرنى بين يديه واتهمنى بتهمة اخى وألقانى فى السجن وضبط كل اموالى واملاكي ولى الآن مقدار سنة فى السجن على ما رأيت .

ثم تقدم (المظلوم الثانى) فقبل عرش الملك وقال اعلم ياسيدى أن أبى ترك لى حديقة غناء عامرة بالأشجار والأثمار لا يوجد مثلها فى بلاد الفرس وكان أبى مولعا بها أنفق كل حياته وأمواله فى إنشائها وتنسيقها فبلغ أمرها لوكيلك فاستدعانى وفى الحال ألقانى فى السجن وأخذها منى بدعوى أن أبى اغتصبها من أملاك الحكومة ولى الآن مقدار سنتين فى السجن .

ولما حضر (المظلوم الثالث) أمام بهرام شاه قال له أنا يا سيدى رجل من اهل المدينة وتجارها وكنت مولعا بالأسفار والسياحة وقد سافرت عنها منذ زمن طويل بقصد الربح والكسب فلما عدت اليها كان معى قسم وافر من الجواهر والحجارة

الكريمة فلما عرضتها للبيع اتصل خبرها بالوكيل فاستدعاني وأخذها مني فسألته أن يدفع لي ثمنها لأنها تعب عمرى فاعتبر طلبي الثمن جريمة ألقاني بسببها في السجن ولي الآن ثلاث سنوات أتعذب فيه .

وبعد هذا تقدم (المظلوم الرابع) وقال أطال الله عمر سيدي الملك أنا رجل من اللذين أخذوا واحدا من المطربين الهنود في بيته واعتنيت به حتى صار آية في الكمال والجمال فسمع به الوكيل فأخذه مني عنوة وألقاني في السجن منذ أربع سنوات .

ثم جيء (بالمظلوم الخامس) أمام الملك فقال له أما أنا يا سيدى فكنت محافظا للمدينة منذ زمان طويل ولما رأيت ظلم الوزير واستبداده بالرعية تكدرت ولكن لما كنت لا أستطيع منع الوزير من ظلمه واستبداده رأيت أن أخفف الظلم عن المظلومين فكنت أعامل المسجونين معاملة حسنة فكنت أرفق بهم وأوصى الموكلين بحراستهم أن يعتنوا براحتهم فاتصل الخبر أخيرا بالوكيل فاستدعاني وقال لي انك رجل غنى جداً وقد تأكدت أن غناك ناتج عن دفائن وكنوز استخرجتها من الأرض وفي الحال أمر بمصادرة أموالي وكل ما أملك وألقاني في السجن وبقيت فيه سنتين حتى أخرجتني .

ودنا (المظلوم السادس) وقبل الارض بين يدي بهرام شاه وقال له أنا يا مولاى القائد فلان وقد خدمت الحكومة مدة طويلة ولما ظهرت الثورة الفلانية أمرتم في الاول بالقبض علي وقتلي لكن بعد أن ثبت لديكم براءتى وأمانتى أنعمتم علي بالقرية الفلانية وعينتم لي معاشا دائما وذلك من كرمكم وحلمكم ففي ذات يوم حضرت لأقبض معاشى كجارى العادة فأحضرني الوكيل بين يديه وقال لي لماذا تطلب المعاش هل فتحت قلعة جديدة أو استوليت على مملكة ومع ذلك فاننا لم نعد في حاجة الى رجال الحرب فاطرد الجند الذين تحت قيادتك واذهب إلى حيث شئت فقلت له ان كان سيدي بهرام شاه قد انهمك في ملذاته ونسائه ولا يعلم ما هو جار في بلاده فأنا أسير اليه وأعرض عليه أمرى فقبض علي وألقاني في السجن ولي فيه ست سنوات .

وأخيرا تقدم (المظلوم السابع) وقال لبهرام يامولاى وأنا كما ترانى شيخ مسن وقد رأيت ما جرى في المملكة فانسحبت الي خلوة أتعبد الله وأدعو لسيدى بهرام شاة بطول العمر وأسأله تعالى أن ينتشله من غفلته ويعيده لرعيته . ففي

ذات يوم استدعاني الوكيل وتهددني واتهمني بأني أدعو عليه وأتمنى إبادته ثم ألقاني في السجن فأقمت فيه مدة سبع سنين .

فعرف بهرام شاه أن باقى المسجونين لابد أن يكونوا من هذا القبيل قد حبسوا ظلما وعدوانا ووضعوا فى المحبوس بدون محاكمة فأمر باخراجهم جميعهم وفرق عليهم الاموال الطائلة ورد إليهم الاملاك التي سلبت منهم . ومن بعد ذلك أمر أن يعدالموظفون الذي اتفقوا على خراب المملكة فأخبرأن عددهم ثلاثمائة نفس فأمر أن ينصب فى ميدان المدينة مشنقة .

وفى اليوم المعين أطلق مناديا ينادى في المدينة أن بهرام شاه عزم على شنق الظلمة الخائنين وهو يدعو الناس للفرجة عليهم والتشفي بالنظر إلى تعذيبهم فتسارع الناس من كبير وصغير الى ساحة المدينة ولما رفع الخائنون الى الاخشاب ضج الناس بالدعاء لبهرام شاه وهجموا على الوكيل ورفاقه يرمونهم بالحجارة ويتمنون لو يقطعونهم بأسنانهم إربا إربا .

ومن ثم خاطب بهرام شاه الاهالى بصوت عال وقال لهم هكذا قدر الله وحكم أن تكون آخرة الذين يظلمون العباد فليعتبر خلفاؤهم والذين عهد اليهم بتدبير عباد الله فتكرر الدعاء لبهرام شاه ولدولته وانصرف الناس مسرورين بهلاك الظالمين .

ولنرجع الى جيش الصين فان الملك قبل أن يصل الى حدود ايران بلغه أن بهرام شاه هب من رقاده وعاد الي ادارة مصالح رعيته بيده فتوقف عن السير بعث بالجواسيس يتجسسون حال بهرام شاه ووكيله فعادوا اليه بالاخبار الاكيدة وأعلموه بكل مارأوه وسمعوه فى ايران أنهم شاهدوا بهرام شاه بعيونهم كالاسد فى العرين ينظم الجيوش ويتهيأ للحرب بعد أن أهلك الوزير وأتباعه فوقع الرعب فى قلب ملك الصين فأرسل الهدايا والتحف لبهرام شاه وكتب اليه كتابا يعتذر فيه ويخبره بخيانة وكيله وأرسل الجواب الذى أرسله اليه وسأله الانتباه لنفسه ومجازاة الغادرين فقبل بهرام شاه الهدايا واعاد الرسل معززين مكرمين .

وبعد ان انتهى بهرام شاه من كل ما تقدم تذكر الراعى الذى قابله فى البرية وعلمه كيف يجب ان يتصرف وكيف يترتب عليه ليرضى رعيته ويصونها من

الذئاب الخاطفة فأرسل ما استدعى اليه وخلع عليه الخلع السنية وغمره بالعطايا وأقامه فى وظيفة مستشاره الخاص .

وبناء على رأى هذا المستشار الأمين هدم قصور نسائه السبعة وجمعهن كلهن فى قصر واحد وشغل من ذلك الحين بروية مصالح الدولة وجاب الخبر لبلاده ورعاياه وسهر على الامن العام سهر الاب على اولاده حتى عمرت البلاد اكثر مما كانت فى الاول بكثير وزاد غنى الاهالى وسرورهم وتضاعف الصادر والوارد وصارت مملكة الغرب في ظرف اثنتى عشرة سنة جنة حافلة بأنواع الهناء والراحة وكان العدل منتشرا فيها عظيما ولم يعد للظلم اثر قط . وشاخ بهرام شاه لتجاوز الستين سنة وكان دائما يفكر في الموت ودنوه وقرب اليوم الاخير وكان كلما تذكر ما وقع على رعاياه من الظلم والجور بسبب اهماله شئونهم ولهوه وعكوفه على اللذات والنساء وتغلب شهوته على عقله تنحدر الدموع من عينيه فيستغفر الله ويسأله العفو والتجاوز عن ذنوبه . الى ان كان ذات يوم ضاق صدره وشعر بثقل على عاتقه فخرج للصيد مع بعض وزرائه وفرسانه ولما تبطنوا القفار بدأ فى القنص .

وحينئذ وقعت عين بهرام شاه على غزال فطارده ففر من امامه فتأثره ومن خلفه ثلاثة فرسان ولا زال فى اثره حتي غاب عن وزرائه وحاشيته وفى النهاية لجأ الغزال الى مغارة ضيقة فدخلها ليختبىء فيها فتبعه بهرام شاه ودخل بجواده ولما وصل الفرسان الثلاثة الذين كانوا فى اثره الي باب المغارة وجدوها ضيقة لا يمكن للانسان ان يدخل فيها فوقفوا عند الباب متحيرين مبهوتين حتى وصل الوزراء وباقى الفرسان المتأخرين فلم يروا بهرام شاه ورأوا الفرسان الثلاثة على تلك الحالة من الحيرة فسألوهم عن بهرام شاه فأخبروهم أنه دخل المغارة فلم يصدقوهم ولما يئسوا من وجود بهرام شاه قبضوا على الفرسان الثلاثة وعادوا إلى المدينة فأخبروا بالخبر فخرج الاهالى من كبيرهم الى صغيرهم حتي جاءوا باب المغارة وكذلك والدة بهرام شاه فانها كادت تغيب عن الصواب وانفطرت مرارتها ونهضت مسرعة حتى جاءت المغارة المذكورة فوجدت الاهالى يزدحمون عندها وقد ملأوا الفضاء وحينئذ أمرت أن تحضر المغارة . وعلى رواية من روى أنهم لازموا الحفر مدة أربعين يوما حتى انتهوا الى الماء ومع ذلك لم يروا آثرا لبهرام شاه ولا لجواده ولا للغزال الذى قاده الى هناك وكانوا كل يوم

يستحضرون الفرسان الثلاثة للاستنطاق ويعذبونهم بالضرب الشديد فيغلظون الايمان أنهم رأوا بهرام شاه دخل بجواده في باب المغارة وتوارى عن نظرهم . وفى النهاية ثبت أن ما كان هو بأمر الله جل جلاله وأن بهرام أخذ الى حيث قادته العناية عند حلول يومه الاخير وأن تعذيبهم للفرسان ظلم وجور وأخيرا أجلسوا فى مكانه ابنه أردشيرشاه فسار على نمط أبيه وأما نساء بهرام شاه فقد اشتد حزنهم على غيبته عنهن فجأة ولبسن ثياب الحزن والحداد وقد اشتد الوله والحزن ببعضهن فلم يطقن الحياة فى مدينة ايران فغادرتها الى بلادها وبعضهن فضلت العيش فيها وتعزين برؤية الحيطان وتقبيل الجدران لما فقدن السكان وعدمن أشجع الشجعان ولكن الصداقة والمحبة كانت قد ربطت بينهن برباط مقدس فكن يرسلن الى بعضهن بالمكاتبات ويتسلين بالشكوى من الزمان الغادر حتي أتاهن مفرق الجماعات وهادم اللذات وتجرعن كاس المنية وصرن بعد الحقيقة أثرا ولمن بعدهن عبرا وعدى الموت على تلك القدود وجرى الدود فوق المحاجر والخدود وفتك بالعيون الفواتك وداس بهن تحت السنابك فأسال منهن الصديد وفرقهن على الصعيد وجرى عليهن حكم الموت فى العبيد منذ خلق الله الخلق الي يوم الوعيد ، فسبحان من انفرد بالبقاء ، وحكم على العباد بالفناء ، هو الحى القيوم لا اله الا هو .

انتهت قصة بهرام شاه

(والحمد لله أولا وآخراً)

